ديوان تسابيح وتأملات

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م

المملكة الاردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٢/١٠/٣٩٨١)

٨١١.٩
عبده، خالد فوزي
ديوان تسابيح وتأملات /خالد فوزي عبده_ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٢.
(٣٤٤) ص
ر.أ: (٢٠١٢/١٠/٣٩٨١).
الواصفات: /الشعر العربي //العصر الحديث

❖ **يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.**

ISBN 978-9957- 77- 150- 8 (ردمك)



ديوان تسابيح وتأملات

خالد فوزي عبده



بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلـــى خـــالقٍ جلّـــتْ نـــواميسً خَلْقِـــهِ

وجــلَّ الــذي، بالحُسْــنِ، أبــدعها خلْقــا

إلـــى مَـــن حبـــاني بالحيـــاة، وشـــاءني

شَـكوراً قنوتـاً حـين قــدَّر لــي رزْقــا

إلـــى مـــن هـــداني فـــي تســابيح خلـــوتي

لِشــعرٍ يُبــثُّ الشــكرَ والحمــدَ والصــدْقا

إلـــى مـــن بـــه الآمـــالُ أضـــحتْ بنورهـــا

شموســاً، فمــا لاحــت شــهاباً ولا برْقــا

إلـــى مـــن لـــه عمـــري تهجَّـــدَ ضـــارعاً

ليُلهِمَـــهُ الإيمـــانَ والخيـــرَ والحقّـــا

ومـــا ضـــارَني أنْ مـــرَّ كـــاللَّمْح جُلُّـــهُ

فيومــاً سيمضــي، فالحشاشــةُ لــن تبقــى

عمان ٢٠١٢/١/٢

الشاعر خالد فوزي عبده

شخصه وشعره

خالد فوزي عبده شاعر نسيج وحده، لا تجد في شعره مهما حققت ودققت صدى لصوت أي شاعر آخر، في ديوان الشعر العربي.

وخالد فوزي عبده يصح أن تصفه بأنه ناسك في عوالمه الشعرية الخاصة، لا يشغله عنها شيء حتى ليتملكك إحساس إنه يوظف كل شيء في الحياة لغاياته الشعرية وليس العكس كغيره من الشعراء.

وخالد فوزي عبده طاقة شعرية طاغية مهيمنة على العملية الشعرية عروضاً وقافية، وقد تجده في بعض الأحيان يتحرى القوافي النادرة أو الصعبة ليدخل نفسه في اختبار قوة معها، فتجده وقد آلان عصيها ودجّن شاردها.

وخالد فوزي عبده يمتلك قدرات لغوية ونحوية وصرفية هائلة، فهو نادراً ما يقع في خطأ أو محظور لغوي أو نحوي أو صرفي.

وخالد فوزي عبده لديه جلد غير عادي على كتابة الشعر، حتى ليكاد يشعرك أنه لا يعيش إلا لكتابته وقراءة ما يكتب، وحتى لتكاد تحس أن الشعر طوع بنانه في أية لحظة يريد، وفي أي موضوع يريد وبطول النفس الذي يريد، وقلما تعثر في قصائده على ما دون الخمسين بيتاً. وخالد فوزي عبه شاعر غزير الإنتاج في شعره، ويستطيع أن يكتب لك أكثر من قصيدة في الموضوع الواحد، حتى أنني أحصيت له أكثر من خمس عشرة قصيدة كتبها في مدينة البتراء لوحدها، يقلبها بين يدي قوافيه كيف يشاء ويسبغ عليها من ألوان لوحاته وقوافيه ما يشاء.

اللغة بمفرداتها والشعر بأوزانه وقوافيه، عجينة طيعة بين يديه يشكلها على النحو الذي يشاء، بدون أن يشعرك أنه يقاسي أي عناء.

إنه يشعرك بالهوس الشعري، إنه لا يعيش لغير الشعر ولا تشغله قضية سواه، ودون كلل أو ملل حتى لتشعر إنه إحدى ضحايا بيت عنكبوت وأخطبوط شعري، وقع فيه بمحض اختياره ولا يريد منه فكاكاً، أو لا يستطيع منه فكاكاً.

إنه قادر أن يلتقط أبسط الأشياء والقضايا التي لا تلفت انتباه أحد، فيكتب فيها قصيدة عصماء توصلك حد الذهول، وهو يقلبها على نيران شاعريته على كل الوجوه، ويأخذك العجب لانشغاله بتلك الأشياء، ونتساءل إن كانت تستحق

منه كتابة قصيدة عنها، كما إنه يستنزف موضوع قصيدته ومعانيها، ويقلب أفكارها على كل الوجوه، فلا يترك في أمرها شاردة ولا واردة.

إنه يشعرك أنه في صراع مع نفسه ومع عمره، ويريد أن يكتب أكبر قدر من القصائد قبل أن تفاجئه لحظة التوقف عن نبض الشعر أو القلب، فالأمر عنده سيان وكأنه يغرف من بحر، فلا بحر الشعر ينضب ولا هو من نظمه يتعب.

في ديوان خالد فوزي عبده الشعري كله، وليس هذا الديوان فحسب، تشعر أنك تسير معه في مروج لا حدود لها، خالية من الوهاد والقمم، بسيطة يسيرة غير مرهقة، لعل أكثر ما يدهشك فبها قلة تضاريسها.

وإذا صدق قول النقاد أن الكاتب أو الشاعر هو الأسلوب، فإن شعر خالد فوزي عبده خير مثال على ذلك، فشعره مثله لين هين بسيط، وصوره خالية من التعقيد حتى لتحس أنه لا يوليها اهتماماً، وإنما تجئ عفو الخاطر، فهو لا يريد إبهارك ولا استعراض قدراته في بناء الصورة أمامك.

إنه يريد بشعره أن يربحك لا أن يتعبك، أو يتحداك أو يستفزك وأن يطمئنك ولا يقلقك، وأن يقدمه لك سلساً سهلاً بسيطاً دون أي تعقيد أو مبالغة أو إدهاش.

وأنا في هذا التقديم لست أدري أكتبت عن خالد فوزي عبده أم عن شعره وديوانه، غير أني تحريت أن أكتب عن أحدهما أو كليهما بصدق إحساسي، وحاولت ما أمكنني أن أكون محايداً وموضوعياً، وآمل أن أكون قد وفقت في بلوغ ذلك وأن أكون قد وقفت على مسافة واحدة ما بين الشاعر والمتلقي.

عمان في ٢٠١٠/١/٢٥م

الشاعر الناقد

محمد سمحان

السيرة الذاتية

خالد فوزي عبده

- من مواليد نابلس ١٩٢٧.
- حاصل على دبلوم في المحاسبة العالية.
- حاصل على إجازة (ليسانس) في الأدب العربي.
- عمل محاسباً في نابلس لمدة سنتين تقريباً حتى نهاية عام ١٩٤٩ .
- عمل محاسباً في الكويت في عدة شركات منذ بداية عام ١٩٥٠ وحتى أغسطس ١٩٦١، ثم عمل محاسباً في وزارة المالية من أغسطس ١٩٦١ وحتى سبتمبر ١٩٨٧.
- كانت له في الكويت نشاطات شعرية مستمرة.
- نال في الكويت جوائز شعرية عديدة.
- عمل محاسباً في شركة عقارية تجارية كبيرة منذ سبتمبر ١٩٨٧ وحتى أوائل عام .١٩٩١
- عاد إلى الأردن في أوائل عام ١٩٩١ بعد أزمة الخليج .
- عضو في اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين .
- عضو في رابطة الأدب الإسلامي.
- عضو في دارة المشرق للثقافة والفكر.
- عضو في جمعية عيبال الخيرية.
- عضو في منتدى عمون للأدب والنقد.
- صدرت له عشرة دواوين.
- له مخطوطان جاهزان للطباعة.

مع الله والنفس

مضَــى العمــر وقــراً رُحْــتُ بالصــبر أحملُــهْ
ويُرهـــقُ خطـــوي بالعنـــاء، فيُثقِلُـــهْ
ســـلكتُ بـــه دربـــاً جهلـــتُ ختامَـــهُ
فقــد غــاب عــن عِلمــي، كمــا غــاب أوّلُــهْ
ولكنّـــــه سَـــــعْيٌ علَـــــيَّ مُقـــــدَّرٌ
ومـــا كنـــتُ أقصِـــي حينَـــهُ أو أُبدِّلُـــهْ
سيسْـــعَى بـــيَ الخطـــوُ الـــدؤوبُ لغايـــةٍ
فســـيّانِ فيـــه ريْثُـــهُ وتعجُّلُـــهْ
أتيـــتُ إلـــى الـــدُّنيا علـــى غيـــر موعـــدٍ
وأمضـــي بوعـــدٍ مُبْـــرمٍ لا أُوَجِّلُـــهْ
صَـــحِبتُ طمـــاحَ العمـــر منـــذ طفـــولتي
يُعلِّلُنـــي آنـــاً، وآنـــاً أُعَلِّلُـــهْ
ومـــا لـــيَ مـــن ذنْـــبٍ إذا غـــار مـــأربٌ
كـــنجمٍ طوتْـــهُ فـــي دُجَـــى الغيـــب أسْـــدُلُهْ

وكنـــتُ عليمـــاً بالـــذي كـــان بـــاذلاً
وكـــان عليمـــاً بالـــذي كنـــتُ أبذلُـــهْ
أرى أوْجُـــهَ الآمـــال حـــولي بَهيَّـــةً
وتمـــلأُ قلبـــي بهجـــةً، فتُؤمِّلُـــهْ
فـــإنْ لاح لـــي وجْـــهٌ يرينـــي تجهُّمـــاً
وجـــدْتُ لـــه عـــذراً، ومـــا كنـــتُ أعذلُـــهْ
ولـــم يَبْـــدُ فـــي سَـــمْتٍ مـــن الخطـــب شـــائهاً
فقـــد كنـــتُ بالصـــبر الجميـــل أجمِّلُـــهْ

لَئِنْ عبَسَ المغَنّى الكئيبُ بعوسجٍ
تبسَّمَ مزهُوّاً إذا هشَّ سُنبُلُهْ

وإمّا تعرّى الروضُ عند خريفه
أتاهُ ربيعٌ بالبُرودِ تُسَرْبِلُهْ

فتِلكَ هيَ الدُّنيا وذلك شأنُها
وما كنتُ حتى في اليفاعة أجهَلُهْ

ألَمْ ترَني الدنيا وطرفيَ مُسْهَدٌ
وبالفيض من دمعِ حزينٍ أكحِّلُهْ!

ولم يبْكِ طرفي مِن قنوطٍ، وإنما
ليُطفئَ نارَ القلبِ حين يُبلِّلُهْ

أما شاهدتْ دربي مخوفاً عثارُهُ
ولكنَّ ذِكْرَ اللهِ كان يُذَلِّلُهْ!

ألم ترَني والشعر ضيفٌ أُجلُّهُ
فطابَ له في يقظة الفكر محفلُهْ!

وما خطَّ إلاّ ما تخيَّرَ وارتضى
بما نال من جودي، فما كنتُ أخذلُهْ

فيا رُبَّ شعرٍ قد ألِفْتُ اصطحابَهُ
على كلِّ أحباب الحياة أفضِّلُهْ

فقد حلَّ عندي راضياً خيرَ موئلٍ
فلاذ قريراً بي وقد عزَّ موئلُهْ

يُفيءُ عليَّ العلمَ مِن غير منَّةٍ
ويكفيه أنّي، ما حييتُ، أُبجِّلُهْ

وكم مَشْهَدٍ كالنبع يجلو جمالَهُ
وقد سكنتْ عيني عليه تُقبِّلُهْ

فتنهلُ منه صافياً مِن فُراتِهِ

فمـا ضـنَّ مجـراهُ، ومـا غـاض منهلُـهْ

أرى اللهَ فـي زهـر يضـوع عبيـرُهُ

لـدَوْحٍ كـريمٍ بالحنـان يُظلّلُـهْ

وأرمقُـهُ نـوراً أتَـى الفجـرَ زائـراً

فمُـدَّتْ إلـى الليـل المـودِّع أنمُلُـهْ

وأبصـرُهُ عنـد الغـروب وقـد جـلا

فُلـولَ نهـارٍ حينمـا ارْتـدَّ جحفلُـهْ

وأشـهدَهُ فـي الـنفس طُهْـرَ تهجُّـدٍ

يفـيضُ علـى غـمٍّ تليـدٍ، فيغسـلُهْ

وأبصـرُهُ فـي الـزرع حـان حصـادُهُ

وقـد ضـمَّهُ بالحـبِّ والشـوقِ منجلُـهْ

وأسـمعُهُ فـي شـدْوِ طيـرٍ سَـرتْ بـه

نُسـيمةُ فجـرٍ للسـمواتِ ترُسـلُهْ

يُرتِّلُـهُ شـكراً لِمَـنْ فـاض فضـلُهُ

وعلّمـهُ بـالوحيَ كيـف يُرَتِّلُـهْ

وأرنـو إلـى تُـرْبٍ فيـوحي جلالُـهُ

بمـا يبهَـرُ العقـلَ الرشـيدَ، ويُذهلُـهْ

هُنـا الـزادُ والمـأوى وآيـاتُ روعـةٍ

وأشـهى متـاع العمـر فيـه، وأجملُـهْ

وفيـه لِكُـلٍّ فـي مـدى العمـر منـزلٌ

وتحـتَ الثـرى يومـاً يلاقيـه منزلُـهْ

ومـا المـرءُ فـي الـداريْنِ إلاَّ مسـافرٌ

فتحملُـهُ أقـدارُهُ، وتنقلُـهْ

حبَتْـهُ حنـانَ الـرَّوْح آخـرُ رحلـةٍ

فمـا عـاد قيـدٌ فـي الحيـاة يُكبِّلُـهْ

هُنـا اليـومُ ذو حـالَينِ يجلـو تناقضـاً

ولـــــيس غريبــــاً أو مريبــــاً تحوُّلُـــــهْ

فأقصَــــرُهُ يبـــــدو طــــويلاً لقـــــاعِسٍ

وبـــيْنَ مجـــالي الأُنْـــسِ يقصـــرُ أطولُـــهْ

وكــــم أمـــلٍ فيـــه تبـــاهى وقـــد زهـــا

ببُـــردٍ بهـــيِّ الوشـــي، فالســـعد مغزلُـــهْ

ويــــا رُبَّ يــــأسٍ خــــادعٍ فـــي توَسُّـــلٍ

عســـاني أداريــــهِ بصـــبري، وأمْهِلُـــهْ

ولكنـــــه كــــالحُلْمِ ولَّــــى بضِـــغثِهِ

فمـــا عـــاد يُجـــدي شـــكوُهُ أو توسُّـــلُهْ

ولِلْـــــوهْمِ إيحــــاءٌ يُخــــادعُ مطمحــــاً

يُحَرِّمُــــهُ حِينــــاً، وحينــــاً يُحلِّلُـــــهْ

ولكــــنَّ عقلـــي مــــا تناسَـــى يقينَـــهُ

فمـــا شـــاء وهْمـــاً مســـتطيراً يُضَـــلِّلُهْ

تضـــــرَّعتُ للـــــرحمن أطلـــــبُ رحمـــــةً

ومَنْ لـي سوَى الرحمنِ في الرَّوْعِ أسألُهْ!

مـــلأتُ بــــه آفــــاقَ نفسِـــي فضــــوَّأتْ

فنـــورُ إلهـــي لـــيس يخمـــدُ مِشـــعلُهْ

تنقَّـــلَ شـــعري فيـــه هيمـــانَ هانئـــاً

وطـــوبى لشـــعرٍ كنـــتُ بـــالله أشْـــغِلُهْ

كـــأني جعلـــتُ الشـــعرَ محـــرابَ خلـــوَةٍ

بأسْـــمَى أحاســـيس التَّهَجُّـــدِ أدخُلُـــهْ

رجـــوْتُ لـــه بابـــاً مـــن الأُنْـــسِ مُشْـــرَعاً

ومـــا غيـــرُ عمـــري فـــي النهايـــة يُقفلُـــهْ

عمان ٢٠١/١/١٣

في حفل قران

آثــرَ الشــاعرُ صــمتَ الــركنِ فاختــار محلــهْ
وأجـالَ الطـرفَ إذ يسـخر مـن ضوضـاء حفلـةْ
لــم يمــلَّ الشــاعرُ الــركنَ، ولا مثــواهُ ملــهْ
حسـبَ المثـوى غـدا شمسـاً علـى الجمـع مطلـةْ
حـين ظـنّ العزلـة المثلـى مـع الضـجةِ سـهلةْ
ولـــه فيهـــا مـــن الخلـــوةِ دنيـــا مســـتقلةْ
فرنـــتْ للشـــيخ ضوضـــاءُ، وقـــد أزرتْ بعزلـــةْ
لـــم يهبـــهُ صـــخبُ الليلـــةِ للخلـــوة وهلـــةْ
فـــإذا مـــا صـــار مغنـــى الأنـــس للشـــاعر نزلـــهْ
كيـــف لا تفتنـــهُ الغيـــدُ، ولا تـــذهلُ عقلـــهْ!
هھنـــــــــــا مجلـــــــــــسُ حســـــــــــنٍ
مـــــــــــا رأى الشـــــــــــاعرُ مثلـــــــــــهْ
وينـــابيعُ مضـــتْ تنســـابُ، بالســـحرِ مدلـــةْ
ربَّ خـــودٍ نســـجَ الحســـنُ لهـــا أجمـــلَ حلـــهْ
وحباهـــا روعـــةَ الإشـــراقِ فـــي وجـــهٍ ومقلـــةْ
والبهـاءُ النضـرُ قـد أعطـى لهـا سـيماءَ طفلـةْ
طرفهـــــــــــا الآســـــــــــرُ يبـــــــــــدي
ضـــــــــــعفهُ مـــــــــــن غيـــــــــــر علـــــــــــةْ
فتــراءى مُرهفــاً كالســيف، إذ يُنضــى لصــولةْ
جـــــــــــلَّ مـــــــــــن أعطـــــــــــاه حـــــــــــداً
مـــــــــــن قـــــــــــرابِ الســـــــــــحر ســـــــــــلهْ
رُبَّ صـبٍّ شـاء ضـمَّ السـيفِ إذ يحضـنُ نصـلهْ
أو تمنـــى فـــي عنـــاق الطـــرف أن يلـــثمَ كحلـــهْ

فهوَ يحيا عندما يحسنُ حسنُ الطرف قتلهْ

بفتورٍ مستبدٍّ

تعرفُ العشاقُ هولهْ

وسواءٌ شاء منه

ظلمهُ أو شاء عدلهْ

أسعدتهُ نظرةٌ ظمأى، وإنْ لم تروِ غلةْ

ما كفتهُ قطرةُ الغيث وقد أمسكَ وبلهْ

فانبرى باللحظِ يحسو

نهلةً تتلى بعلةْ

ما رأى الإعجابَ ذنباً

أو رأى النظرة زلةْ

رمقتهُ الغادةُ الحسناءُ لا تقصدُ عذلهْ

أسعدتها نظرةُ الإعجابِ في الطرف المولهْ

هل يلامُ النورُ إنْ نال من الوردة قبلةْ

أو تلامُ الزهرةُ الفيحاء إنْ هشتْ لنحلةْ

غيرَ أن الشيخ لم ينسَ بطهر العمر نبلهْ

قال بالتلميح ما لم

يقدرِ التصريحُ قولهْ

بثهُ في جملةٍ بتراءَ لا توضحُ سؤلهْ

ما استطاع الهمسُ أن يسمعها إلاّ أقلهْ

إذ تعالتْ ضجةٌ فالتهمتْ أشلاءَ جملةْ

كانت الجملةُ إنكاراً لما يشهدُ حولهْ

فجمـــــــــالُ الغيـــــــــد يـــــــــدري
أنـــــــه يعـــــــرضُ ذلـــــــــهْ
حـين يبـدي ضـِعفَ مـا يخفـي، ولا ينكـر فعلـهْ
غـــــاب تيـــــهٌ عـــــن غـــــوانٍ
فهـــــو فـــــي نشـــــوةِ غفلـــــهْ
مـا أعـزَّ الحسـنَ إنْ شـحَّ، ومـا أوضـعَ بذلـهْ
بئســــــــــــهُ إنْ جـــــــــاد، أو إنْ
لـــــم يُـــــرِ المفتـــــونَ بخلـــــهْ
شـــــــاءه الشـــــــيخُ كنبـــــــعٍ
مـــــا حبـــــا الصـــــاديَ نهلـــــةْ
أو كـــــــدوحٍ قـــــــد تســـــــامى
فرمـــــــى للتـــــــرب ظلـــــــهْ
أو كطــودٍ راســخ الأركــانِ قــد عــزّ بقلــةْ
أو كعــــــــــذقٍ يتبــــــــــاهى
أنـــــهُ فـــــي حضـــــنِ نخلـــــةْ
حـــــــدق الشـــــــيخ طـــــــويلاً
فـــــي وجـــــوهِ الخـــــود حولـــــهْ
ربَّ عشـــــــــــاقٍ ســـــــــــبتهمْ
هـــــــذه الفتنــــــــةُ قبلـــــــهْ
لـــــــم يعـــــــدْ مثـــــــلَ هشـــــــيمٍ
خـــــاف مـــــن لفحـــــةِ شـــــعلةْ
فـــــــالغواني صـــــــرنَ أنســـــــاً
ضـــــمَّتِ الأفـــــراحُ شـــــملهْ
ذكرتـــهُ بالثمـــانين طواهـــا جهـــدُ رحلـــةْ
وبـــــــأوجٍ مـــــــن شـــــــبابٍ
محـــــــتِ الأيـــــــامُ شـــــــكلهْ

كــان ثوبــاً حاكــهُ العمــر، ولــن يرجــعَ غزلــهْ
وهــوَ لــن ينســى نقــاءَ الثــوب أو يجحـد فضـلهْ

عمان ٢٠١٢/١/٢٠

ليتنا كالملائكة

ظـــلَّ عمـــري عـــن الكبـــائر ينـــأى
وســـيبقى ختمـــاً كمـــا كـــان بـــدءا
صـــنتُ نفســـي لمـــا كـــلأتُ خلاقـــي
فحبـــاني الإلـــهُ صـــوناً وكـــلأا
شـــئتُ للطـــين طهـــرَ خلـــقٍ كـــريم
شـــاءه اللهُ فـــي الملائـــكِ بـــرءا
كـــم دعـــاني الصـــبا لمنهـــلِ لهـــوٍ
غيـــرَ أنـــي تركـــتُ نفســـي ظمـــأى
لـــم تصـــرْ غُلّتـــي لـــواعج شـــوقٍ
مـــا تمنـــى الفـــؤادُ مـــنهنَّ بـــرءا
أو أردتُ الإعجـــابَ بالحســـنِ عشـــقاً
حينمـــا هزنـــي شـــعوراً ومـــرأى
فبـــدتْ مهجتـــي كحصـــنٍ منيـــع
مـــا أصـــابتْ منـــه الخرائـــدُ شـــيئا
لـــم تكـــنْ أفرغـــتْ مـــن الصـــبر لمـــا
خلتهـــا بالبهـــاء والســـحر مـــلأى
وحســـبتُ الحســـان شـــئنَ اختلابـــي
بلحـــاظٍ تمـــورُ كبـــرا وهـــزءا
ســـاورتني الغيـــدُ الغـــواني بحســـنٍ
لـــم تعـــاينْ لـــه النـــواظر كفئـــا
فـــانبرتْ فطرتـــي لـــه باعتـــدادٍ
ليصـــيرَ الإبـــاءُ للســـحر درَءا
فحملـــتُ الجـــراحَ مـــن ذكريـــاتٍ
لـــم يعـــد حملهـــا، مـــع الصـــبر، عبئـــا
فتعودتهـــا جـــوىً واحتمـــالاً

وتقبلتهـــــا انتكاســـــاً ونكئـــــا

حضـــــنتْ عــــزةُ الشـــموخ اصــــطباري

مثلمــــا تحضـــــنُ الــــدياجير ضـــوءا

جـــلَّ مـــن فـــي الفـــؤاد أســـكنَ خيـــراً

وحبـــاني هـــــدىً لأزجـــــرَ ســـــوءا

فيقينـــــــــي برأفـــــــة اللهِ عــــــينٌ

مـــا اســتطاعت لهـــا الهـــواجسُ فقئـــا

صـــار عمـــري كدوحـــةٍ حـــين أعطـــتْ

لغـــروب الحيـــاةِ وكنـــاً ودفئـــا

لتحيـــــلَ المســـــاءَ أمنـــــاً ورَوْحــــاً

وليــــاذاً وطيـــــبَ مثـــوىً وفيئـــا

أو بـــــدا مثـــــلَ موجـــــةٍ تتلـــــوَّى

فـــوقَ لـــجٍّ لكـــي تصـــارعَ نـــوءا

واحتواهــــا العُبــــابُ حتـــى تشـــظتْ

فرماهــــا للشـــظِّ جُـــزءاً فجـــزءا

أو كَلَيْــــــلٍ مُحـــــــدَّدٍ، فسَــــــواءٌ

أجهـــدَ الخطـــوَ أو تريَـــثَ وَطئـــا

قـــد أنيطــــتْ ســــاعاتهُ بقضـــاءٍ

فطواهـــا الزمـــان هـــدءاً فهـــدءا

لا أرى للقضـــــاء ظـــــلاً لـــــوزرٍ

أو أرى فـــي تصـــرُّم العمـــر رُزءا

مــــا تهيبَّـــــتُ زائـــــراً قـــــدَرياً

مـــا لحـــيٍّ منـــه نجَـــاةٌ وَمنـــأى

إنّ للمـــــوت سِـــــرَّهُ إنْ تَـــــوَخَّى

عَجَـــلاً فـــي القُـــدوم أو شـــاء بُطئـــا

عمان ٢٠١٢/١/١٥

الرحلة

مــــــا كنـــــــتُ أنتظـــــــر القــــــدرْ

كــــــلاّ، ولا العمـــــــر انتظـــــــرْ

لأحــثَّ خطــوي فــوق دربٍ كالغيابــات اســتترْ

فــالعمرُ منــذ هنَيْهــة المــيلاد قــد بــدأ الســفرْ

لمــا احتــواني حــبُّ أمــي بالرعايــة والســهرْ

لتحــيطَ مهــدي بــالفؤاد وبالبنـــان وبـــالنظرْ

فأصـــــــــيرَ فــــــــي آفاقهـــــــــا

شمســــــــاً إذا الليـــــــل اعتكـــــــر!

مــا كــان أحلاهــا أوبقــاتِ الطفولــةِ والصــغرْ!

ويمــرُّ عمــري مثــلَ حلــمْ، بعــد إيمــاضٍ، عبــرْ

لــم يعننــي فــي ســيرهِ المكــدودِ طــولٌ أو قصــرْ

أو يعننــــــــــــي إنْ كـــــــــان ذا

رغـــــــدٍ، وإن كـــــــان افتقـــــــرْ

حســـــــبي حبـــــــورُ الزهـــــــر، فـــــي

قفـــــــرٍ ترعـــــــرعَ وازدهـــــــرْ

ما ذلَّ في أسرِ الكؤوسِ، فأرضـهُ المثوى الأغرْ

كـــــــم مـــــــن لحيظـــــــاتٍ بـــــــدتْ

فـــــي جـــــنح عمـــــري كالشـــــررْ

لأرى بهــا وجهــاً لأمســي مــن دياجيــه ســفرْ

فـــــــي صـــــــورةٍ قـــــــد عانقـــــــتْ

مــــا ضــــمَّ مــــاضٍ مــــن صــــورْ

فعهـــــــودُ عمـــــــري أدمجـــــــتْ

فـــــي واحـــــدٍ مـــــلأ البصـــــرْ

لاحت كبيتِ الشعرِ ينظمه البيانُ بما نثرْ
أعجبْ بفكرٍ كالصبيِّ إذا تلهى بالأكرْ!
لأرى الفتى والطفلَ والشيخَ الضيوفَ على الكبرْ
لم أنسَ درباً دونهُ
يشقى وينتحبُ الوطرْ
وكأنّ سعيي فيه ذنبٌ آثمٌ لا يغتفرْ
فنيتْ به الأنوار والأزهارُ، والعطر انتحرْ
لم يبقَ من ورد الطفولةِ واليفاعةِ من أثرْ
وخبتْ سمواتُ الشبابِ، فلا نجومَ ولا قمرْ
لم يبقَ إلا الشوكُ يلقاني بسيفٍ من إبرْ
وحشودُ آمالٍ غدتْ
ظمأى يساورها الخورْ
ضنيتْ على الدرب الطويل، وهدها سهدُ الضجرْ
منيتها بالنبع أستجديه من قلب الحجرْ
وبغيمةٍ كانت وعوداً، من جهامٍ، بالمطرْ
وسرابِ وهمٍ بالشراب المستطاب قد انتشرْ
صبَّرتُ آمالي فإنّ الحرَّ في البلوى صبرْ
كالروضِ ينتظر الربيعَ لكي يعيدَ له الزهرْ
كالمدلج الملهوفِ يصبو للضياء المنتظرْ
كالعقد يرجو أن يُنضِّدَ ما أضاع من الدررْ
سلَّمتُ أمري للقضاءِ، وقد صدعتُ لما أمرْ
هو صاغرٌ مثلي لما
قد شاءهُ ربُّ البشرْ
لو كان يمتلكُ الشعورَ بما جناهُ، لاعتذرْ
شيخوختي طودٌ، وعنه السيل بالقهر انحدرْ

يـــــــــــــــزري بإعصـــــــــــــــارٍ إذا
مـــــــا مـــــــــرَّ ولَّـــــــــى وانـــــــــدحرْ
ســـتظلُّ آمـــالي قيـــاثرَ لا يشـــيخُ لهـــا وتـــرْ
لتظـــلَّ صـــادحةً لتســـمعها النوائـــب والغيـــرْ

عمان ٢٠١٢/١/١٨

أحبُّكَ يا عراق

طـــاولِ الشـــمسَ يـــا عـــراقُ سُـــموًّا
واجعـــلِ الحـــقَّ للمطـــامح شـــأوا
واجعـــــلِ الـــــدهر بالثنـــاء لســـاناً
للَّـــذي كـــان عـــن جلالـــكَ يُـــروى
فلكـــمْ قـــد رآكَ فـــي حـــرب خصـــمٍ
تـــاه فـــي بغيـــهِ ولـــجَّ غلـــوا
مـــا خشـــيتَ الـــوغى كمـــا لـــو تبـــدى
فـــي ســـبيل الحمـــى مراحـــاً ولهـــوا
فاشـــخذِ العـــزمَ فـــوق جلمـــودِ خطـــبٍ
مســـتطيرٍ، فأنـــتَ بالخطـــب أقـــوى
مـــا أظـــنُّ التـــاريخَ إلا ســـطوراً
راشـــفاتٍ مـــن راح عـــزكَ نشـــوى
تتبـــاهى بـــكَ المعـــاني احتفـــاءً
وتمـــورُ الألفـــاظ فخـــراً وزهـــوا

والمـــــروءاتُ والمحامـــــد ترنـــــو
وامقـــاتٍ، ولا تمـــلُّ رنـــوا
كـــم رغـــابٍ أودى بهـــا الخســـفُ غـــدراً
فهـــوتْ للفنـــاء شـــلواً فشـــلوا
فتـــــداركتها بـــــروح فـــــداءٍ
فأماتـــت بـــه غوائـــلَ بلـــوى
زدتَ بأســـــاً وهمـــــةً وثباتـــــاً
كلمـــا اشـــتطت الكـــروبُ عتـــوا

حينمـــــا ثــــــرتُ فاصـــــطخبتَ برعـــــدٍ

مــــلءَ ســــمعِ الزمـــان صـــاح ودوى

كــــان شـــعري يُكِـــنُّ همـــاً وبؤســـاً

ويـــداري أســــىً ويكـــتمُ شـــجوا

شـــأنهُ يــــا عـــراقُ شــأنكَ، لمـــا

رمـــتَ عـــزاً، فمـــا ذللـــتَ بشـــكوى

فرحمــــــتُ النخـــــل الشـــهيدَ تهـــاوى

مســــتجيراً علـــى الثـــرى يتلـــوى

ورحمـــــتُ الفـــــراتَ يجــــري دمـــاءً

دافقـــاتٍ، منهـــا الجبـــابر تـــروى

وعشــــقتُ الأبـــــاة تجــــرع صـــــاباً

مـــن صـــعابٍ ليصـــبح المـــرُّ حلـــوا

يـــا عـــراقَ الإبـــاء خلــدْ نضـــالاً

صـــار شـــعري بـــه صـــداحاً وشـــدوا

عشـــتَ حـــراً، لـــه بآفـــاق مجـــدٍ

ســـؤددٌ يزدهــــي ســــنىً وعلـــوا

إذ لبســـــتَ المضـــــاءَ بـــــرداً قشـــيباً

مـــن شـــموخٍ لينبـــذَ الضـــيمَ نضـــوا

رفـــــع النخــــلُ هامـــــهُ باعتـــــدادٍ

بعـــدَ أن عـــزَّ فـــي شـــهامة مثـــوى

ودَّ لــــو هــــبَّ راقصـــاً مـــن حبـــورٍ

وانتشـــاءٍ، لـــو كـــان يســـطيعُ خطـــوا

وتهـــادى الفـــراتُ يأســـو جراحـــاً

نازفـــاتٍ يرجـــو لهـــنٌ ســـلوا

ربَّ جـــرحٍ مــــنهنَّ قـــد كـــان وزراً

مـــن حبيـــبٍ، فشـــئتَ للـــوزر عفـــوا

وبـــــدا غيـــــرهُ رغيبـــــاً بطعـــــنٍ

مـــن أخٍ غـــرهُ الخصـــام وأغـــوى

شـــئتَ صـــفحاً لكـــي تصـــونَ إخـــاءً

فلـــهُ طـــاب فـــي فـــؤادكَ مـــأوى

فمحـــــوتَ الـــــذي تُقـــارفُ قربـــــى

مـــن ذنـــوبٍ، فمـــا أحَـــيْلاهُ مَحـــوْا!

صـــانك الله يـــا عـــراقُ، وطـــوبى

لضـــميرٍ يضـــوعُ بـــراً وتقـــوى

لـــيس ترقـــى إليـــكَ ألفـــاظُ حبـــي

وهيـــامي، ولا تســـابيحُ نجـــوى

مـــا كثيـــرٌ إنْ قلـــتُ إنـــك عشـــقي

وقليـــلٌ عليـــكَ إنْ قلـــتُ أهـــوى

عمان ٢٠١٢/١/١٩

دعاء

ربـــــــــــــــاهُ، إنْ أعطيتنـــــــــــــــي

أزراً، فــــــــلا تجعلـــــــــه بطشـــــــــا

قربــهُ مــن خيــرٍ، وأبعــدْ عنــه شــراً إن تفشــى

وأبــنْ لــه نهجــاً، مــع الإيثــار والرحمــى تمشــى

لأحســـهُ بشــراً، تــلألأ فـــي أســاريري، وبشــا

ويصـــــــــــيرَ فـــــــــي إشـــــــــراقهِ

عطفـــــــاً، فــــلا يرتـــــدُّ وحشـــــا

فـأراهُ قـد أضـحى حرامـاً، إن طغـى فتكـاً ونـهشـا

وأراهُ وزراً هــزَّ وجـداني وإحساســي، وغشــى

واختـــــــال مـــــــن كبـــــــرٍ، ومـــــــنْ

صـــــلفِ المقـــــامِ، وتـــــاه طيشـــــا

وغـــــــــدا بســـــــــكرةِ ظلمـــــــــهِ

متناســـــــياً أجـــــــلاً ونعشـــــــا

متجـــــــــــاهلاً أنّ الثـــــــــــرى

للحـــــــيِّ عاقبـــــــةٌ ومنشـــــــا

مـــــــا زاد عـــــــن نقـــــــشٍ علـــــــى

لـــــجٍّ، فلـــــيس يصـــــون نقشـــــا

وكنـــــــوزهُ مـــــــا عادلـــــــتْ

إمـــــــا أتـــــــاهُ المـــــــوتُ، قرشـــــا

ربـاهُ، لا تجعـل أحاسيسـي بسـحر الجـاهِ تنشـى

جنِّـــــــــبْ فـــــــؤادي غيـــــــهُ

فبـــــه يكـــــون القلـــــب أعشـــــى

صيِّرْ، بفضلكَ، كلَّ خطبٍ صـاغراً مـا هزَّ جأشـا

وأدمْ ليَ العزمَ الصبورَ أمامَ هولِ الخطب جيشا

يـــــا ليتنــــــي طيــــــرٌ بنــــــى
فــــي روضــــةٍ مثــــوىً وعشــــا

بــالقشِّ شــيدهُ ليحــرزَ للفــراخَ الزغــبِ فرشــا
لكــنْ إلــى أمــدٍ، فــإنّ العــشَّ ســوف يعــود قشــا
يكفيــه أنْ حيّــا الصــباحَ، وللضــياء شــدا وهشــا
يــا ليتنـــي أغــدو بــدائعَ لوحـــةٍ فنــاً ورقشــا

لأظــــــلَّ أحيـــــا فـــــي الــــــذي
قــــد خــــطَّ فنــــانٌ، ووشــــى
أو كنــتُ بيــتَ الشــعرِ هزَّضــميرهُ ســرٌّ فأفشــى
أو زهـــــــرةً عاشـــــــت علـــــــى
عطــــشٍ، فلــــم تأنفــــهُ عيشــــا
عـــــــزتْ بموطنهــــــا، ولــــــو
ظلــــتْ طــــوالَ العمــــر، عطشــــى

عمان ٢٠١٢/١/١٠

مع العزلة

رضـــيتُ بهـــا منـــأىً رحيمـــاً ومـــوئلا
وهمـــتُ بهـــا مثـــوىً كريمـــاً ومنـــزلا
وأحببـــــتُ فيهـــا صـــمتها إذ حســـبتهُ
يبـــــثُّ بنجـــــواه حـــــديثاً مطـــــولا
يطيـــبُ لهـــا ســـردٌ، فألبـــثُ صـــامتاً
ومـــا كنـــتُ، إذ أصـــغي إليهـــا، لأســـألا
فتنســـجُ لـــي ثوبـــاً مـــن الفكـــر ســـابغاً
قشـــيباً لكـــي يبقـــى عزيـــزاً علـــى البلـــى
تحـــدثني عـــن عاشـــقٍ هـــاج شـــوقهُ
وفـــوق فـــراشٍ مـــن ســـهادٍ تململـــا
تمنـــى هنيهـــاتٍ مـــن النـــوم علـــهُ
يـــرى نحـــوه طيـــفَ الحبيبـــة مقـــبلا
وعـــن صـــابر عـــانٍ بـــراهُ عيـــاؤُهُ
وأزرى بـــه طـــولُ العنـــاء، ونكـــلا

ولـــم يـــنسَ ذكـــرَ الله فـــي بـــثِّ شـــكوهِ
فقـــد هـــان فيـــه ســـقمهُ حـــين بســـملا
وعـــن كـــلِّ ذي قصـــدٍ نبيـــلٍ مشـــرفٍ
فمـــا هجـــر الـــدربَ الســـويَّ ومـــا ســـلا
يظـــلُّ طهـــورَ الـــروح يحـــدو بـــه الهـــدى
إلـــى غايـــة تـــأبى الســـبيلَ المضـــللا
تعشـــقتها نبعـــاً لـــه الشـــعر قـــد صـــبا
وقـــد فـــاض بالعـــذب الـــزلال لأنهـــلا

ومـــا كنـــتُ أبغـــي فـــي احتســـاءٍ تعجـــلاً

فمـــا لـــــذَّ إلاّ إنْ حســـــوتُ تمهـــــلا

وربَّ مقـــــــالٍ أفسَـــــــدتْهُ عجالـــــــةٌ

فأصـــبح هـــذراً شـــائهَ اللفـــظ مهمـــلا

وأحمـــــدُ شـــــعري إذ يرافـــق عزلتـــي

ليســـموَ إيحـــاءً، ويرقـــى تخـــيلا

أجمعـــــهُ لفظـــــاً ومعنـــــىً وفكـــــرةً

وقافيـــةً مثلـــى ومبنـــىً لـــيكملا

تمنيتـــــهُ يجنـــــي ورودَ بيانـــــهِ

ومـــا شـــئتهُ قـــد صـــار للشـــوك مـــنجلا

توخيتـــهُ ســـمحاً جـــواداً ببذلـــهِ

وطـــاب لســـمحٍ أن يجـــودَ ويبـــذلا

ومـــا شـــئتهُ صـــدًّا وبخـــلا بآيـــهِ

وحاشـــاه يومـــاً أن يصـــدَّ ويـــبخلا

كمـــرجٍ تخلـــى عنـــه مـــزنُ ربيعـــهِ

فلـــم يحصـــدِ الصـــيفُ المؤمـــلُ ســـنبلا

تخيلتـــهُ قـــد صـــار طرفـــاً محلقـــاً

ومـــا بـــين آفـــاقِ رحـــابٍ تـــنقلا

تظـــلُّ نـــواميسُ الوجـــود تهـــزهُ

ولـــيس غريبـــاً أن تهـــزَّ وتـــذهلا

غـــوامضُ خلـــقٍ خلـــد الله ســـرها

ولـــيس بجهـــدِ الطـــرف والعقـــل تجتلـــى

كمـــا رافقتنـــي أمنيـــاتٌ عزيـــزةٌ

وقـــد طفقـــتْ تزجـــي إلـــيَّ توســـلا

طويـــتُ بهـــا عمـــري ولوعـــاً وحســـرةً

وقــد صــبرتْ بالوعــد حينــاً تعلــلا

وكـــم خلتهـــا ترنـــو إلـــيَّ تولهـــا

وأنّ مُحيّاهـــــا بشــــوقٍ تهلـــــلا

وأنّ بهـــا حســـاً رهيفـــاً ولهفـــةً

لتقـــراً مـــا قـــد خـــطَّ فكـــري وســـجلا

ويـــا ربَّ خطـــبٍ داهـــمٍ قـــد حملتـــهُ

فـــأرهقَ خطـــوي للطمـــاح فـــأثقلا

ولكنـــه مـــا أوهـــنَ العـــزمَ لحظـــةً

فـــإنْ جـــلَّ كربـــي زاد عزمـــي تحمـــلا

فلـــذتُ بأذيـــال الثمـــانين راجيـــاً

دماثـــة عـــذرٍ بالســـماح تجمـــلا

ورافقتـــي ليـــلٌ رؤوفٌ ألفتـــهُ

وظـــلَّ رفيقـــاً حانيـــاً مـــا تبـــدلا

أظـــلُّ أوافيـــه إذا هـــاجني ضـــنىً

لأحمـــلَ آلامـــي إليـــه لتغســـلا

وقـــد بـــثَّ فـــي نفســـي الســـكونَ ســـكونهُ

ويـــا ربَّ صـــابٍ بالتصـــبر قـــد حـــلا

وكـــم مـــن هزيـــعٍ كنـــتُ منـــه ســـلبتهُ

ومـــا شـــاء يومـــاً أن يثـــور ويعـــذلا

كفـــاهُ شـــعورٌ أننـــي ذبـــتُ صـــبوةً

إليـــه، فقـــد أضـــحى الحبيـــب المفضـــلا

بـــه تصـــبح الآمـــال منـــي قريبـــةً

وتصـــبح آلامـــي أخـــفَّ وأســـهلا

أردتُ لـــه النقصـــان، وهـــو يزيـــدني

عطـــاءً، وعنـــه لـــيس يبغـــي تحـــولا

عشـــقتُ رغابـــاً أطلـــعَ الليـــل فجرهـــا
وكـــان عليهـــا غيهـــبُ الأمـــس مســـدلا
يصـــير قصـــيراً حـــين يحضـــن بهجتـــي
ويغـــدو إذا مـــا عـــانق الحـــزن أطـــولا
ســـــهرت، وســـــماري نجـــــومٌ حســـــبتها
عيونـــــاً تـــــأبَّى حســـــنها أن تكحـــــلا
فأصـــبح شـــعري مثـــلَ ثغـــرٍ صـــبا لهـــا
وفـــوق خـــدود الـــنجمِ حـــطَّ مقـــبلا
إذا أعطيـــــتْ للشـــــعر أســـــبابُ نضـــــجه
وآيـــــاتُ إبـــــداع، أجـــــاد وأجـــــزلا
ليلبـــــثَ حـــــرّ الشـــــأو جلـــــداً، فإنمـــــا
حـــــرامٌ علـــــى حريـــــةٍ أن تكـــــبلا
لأجعلـــــهُ كـــــالراح مـــــن غيـــــر مـــــأثم
وإن شـــربتْ منـــه القلـــوبُ لتـــثملا
هنـــــا عـــــالمٌ ارتـــــادهُ كـــــلَّ ليلـــــةٍ
وقـــد غـــاص فكـــري فـــي الحيـــاة تـــأملا
أنقـــلُ طرفـــي جـــائلاً فيـــه راحـــلاً
ولـــذَّ لطرفـــي أن يجـــول ويـــرحلا
ويرتـــدَّ حينـــاً تاليـــاً مـــا كتبتـــه
فيهتـــزُّ مزهـــواً بمـــا كـــان قـــد تـــلا
ومـــا كـــان أغلاهـــا علـــى الـــنفس عزلـــةً
تصـــيرُ أشـــجاني غنـــاءً مـــرتلا
ليصـــبحَ شـــدوي للأمـــاني عزاءهـــا
فـــإن المنـــى بالصـــبر تصـــبح أنـــبلا
وأوغلـــتُ فـــي ليـــل فغـــارت نجومـــه

وأبحـــر شـــعري فـــي الخيـــال، وأوغـــلا

فأدركـــــتُ أنّ الليـــل قـــد غـــاب وانقضـــى

وأنّ ســـــــنى فجـــــرٍ إليـــــه تســـــللا

عمان ٢٠١٢/١/١٢

أمام لوحة سريالية

ســـــرَّحتُ فـــوق خفايـــا اللوحـــة النظـــرا
فارتـــدَّ مـــن حســـرةٍ عـــنهنَّ، وانحســـرا
كأنهــــا قفـــــرةٌ شــــوهاءُ موحشــــــةٌ
فلـــيس تعـــرضُ إلا الشـــوكَ والحجـــرا
رأيــــــتُ فوضــــــى لألــــوانٍ مشـــــوهةٍ
فلـــم أجـــدْ لجمـــالٍ بينهـــا أثـــرا
كأنمـــا كـــلُّ لـــونٍ كـــان يهـــزأ بـــي
وأنّ راســـمهُ مـــن دهشـــتي ســـخرا
لكـــنْ دعـــاني فضـــولُ الطـــرف ثانيـــةً
لنظـــرةٍ، لأرى مـــا كـــان مســـتترا
لـــم ألـــقَ إلا غموضـــاً مـــا وجـــدتُ لـــه
معنـــىً، فقـــد شـــوهَ الألـــوان والصـــورا
فيـــه التهاويـــلُ تلقـــاني جهامتهـــا
كأنهـــا الليـــلُ إمـــا جـــنَّ واعتكـــرا

فخضـــتُ فيـــه، ومـــا لـــي فـــي مجاهلـــه
إلا الخيـــالُ، فخطـــوُ العقـــل قـــد عثـــرا
وانفـــضَّ عنهـــا خيـــالي بعـــد رحلتـــه
وقـــد أثـــارت بـــه الإعيـــاءَ والضـــجرا
أفرغـــتُ لوحـــةَ زيـــفٍ مـــن بهارجهـــا
وهـــل لفارغـــةٍ أن تمـــلأ البصـــرا!
كأنمـــا الحـــالمُ المـــذهولُ راســـمها
أو كـــان راســـمها الأعمـــى إذا ســـكرا

عجبـــتُ كيـــف غـــزا ســـخفٌ مخليتـــي

وكيـف طرفـي، علـى قـبح بهـا، صـبرا!

ولســـــتُ أعجـــــبُ إنْ ظلـــــتْ معميـــــةً

فوجههـا مــن جــلالِ الحســنِ قــد صــفرا

كـــم قيـــل لـــي إنهـــا مـــن صـــنع نابغـــةٍ

أجادهـــــا، وبأمثــــــالٍ لهــــا اشــــتهرا

وإنــــه قـــــد حباهـــــا روحَ فطنتــــهِ

لمـــا أطـــال عليهـــا الجهـــدَ والســـهرا

وســـــرَّه أن يراهـــا النـــــاسُ غامضـــــةً

وأنهــــا بخــــداع هــــزتِ الفكـــــرا

وأنْ يــــرى معجبـــاً ظـــنَّ الخـــواءَ بهـــا

ســـحراً، فظـــلَّ بـــه هيمـــانَ منبهـــرا

ليجهـــلَ العقـــلُ مـــا يعنيـــهِ مـــن وطـــرٍ

فـــإنّ إبهامـــهُ قـــد أصـــبح الـــوطرا

وقيـــل لـــي إنهـــا عقـــدٌ بروعتـــه

وإنّ حباتــــهِ قــــد فاقــــتِ الــــدررا

وإنهــــا ثمـــــرٌ نمّــــاهُ مبتـــــدعٌ

مـــن زرع إلهامـــهِ، يـــا بئســـهُ ثمـــرا!

ومــــا تخيلتهــــا إلا احتشــــادَ حصـــىً

وفـــوق رمـــلٍ كئيـــبِ الســـمتِ قـــد نثـــرا

أو أنهــــا عوســــجٌ قـــد هاجـــهُ طمـــعٌ

فـــراحَ يغصـــبُ رفـــداً مـــن ثـــراء ثـــرى

مـــا أبغـــضَ الضـــيفَ لا يـــدعى لمأدبـــةٍ

لكنـــه لـــم يـــزلْ يصـــبو لطيـــب قـــرى!

وأعجـــبُ الأمـــر أنّ اللوحـــةَ امتُـــدِحتْ

لأنهــا أذهلــتْ أو أعجبــتْ نفــرا

تخيلوهــا غـــدتْ للفَــنِّ ذروتـــهُ

فــأيٌّ فــنٍّ تــرى مــن ســخفها انحــدرا!

أو أنّ فيهــا غموضـــاً لا مثيـــلَ لــه

تغيــبُ كــلُّ فنــون الرســم إن حضــرا

وأنهـــا وحـــيُ إبـــداع، ومعجـــزةٌ

جُلّــى، وفيهــا اكتمــال الصــنعة انحصــرا

ولــم تكــنْ غيــرَ قيثــارٍ بــلا وتــرٍ

فمــنْ ضــحالةِ فكــرٍ أحــرز الــوترا

منّيــتُ عينـــي بفــنٍ ناضــرٍ عطــرٍ

حتــى يظــلَّ خيــالي ناضــراً عطــرا

فمــا رأتْ بعــد صــبرٍ مجهــدٍ وضــنىً

إلاّ قتــاداً لتبقــى تحضــنُ الإبــرا

رحمــتُ حســي وقــد أبــدى توجعــهُ

لمــا شــجاهُ امتعــاضٌ بالــذي شــعرا

مــا أتعــسَ الفــنَّ لــم يعــطِ الــدعيُّ لــه

روحــاً، ليتركـــهُ بالســخف منتحــرا

وظلـــتِ اللوحـــةُ الحمقـــاءُ ترمقنـــي

كبــرا، فقــد نالــتِ الإعجــاب والظفــرا

أعطـــتْ لهـــا حطـــةُ الأذواق عزتهـــا

ففـــي ســماءِ جــدارٍ أصــبحتْ قمــرا

فكــم علــى الحســنِ حــاز القــبحُ منزلــةً

وكــم علــى الحــقِّ فــاز الغــيُّ وانتصــرا

الفـــنُّ كالشـــعر إذ صـــارت أصـــالتهُ

ضـــحيةً لـــدخيلٍ كالوبـــاء ســـرى

لكـــــنْ ســـــيبقى لكـــــلٍّ نبـــــلُ جـــــوهرهِ
فـــالزيفُ، مهمـــا اختفـــى فـــي مـــدعٍ، ظهـــرا

عمان ٢٠١٢/١/١٤

سباعيات

أنــــا يـــــومٌ غــــاب عنـــــه فجــــرهُ

وضـــــحاهُ، وتـــــولى عصــــــرهُ

مــــا درى المغـــربُ فـــي أســـر القضــا

أطويـــــــلٌ أم قصـــــــيرٌ أســـــــرهُ!

ربمــــــا لـــــم تبـــــقَ إلا ســــاعةٌ

مـــن هزيـــع مــــا عنـــاهُ أمـــرهُ

لــــم يرعــــهُ وجـــهُ ليـــلٍ إن بـــدا

مكفهــــــراً، أو تـــــوارى بـــــدرهُ

كـــان يـــدري أنــــه فـــي عـــالمٍ

ســـوف يمضـــي، فلكـــلٍّ عصــــرهُ

وهــــو ســــــرٌّ لقضــــاءٍ كــــامنٌ

فقضــــاءُ الله يخفـــــى ســــــرهُ

كـــلُّ مـــا فـــي الكـــون يومـــاً زائـــلٌ

بائـــــدٌ مهمـــــا تســــامى قـــدرهُ

***

أنــــا مـــــوجٌ فـــي خضـــمٍّ مزبـــدٍ

ولكــــــمْ راق لمـــــوجٍ بحــــــرهُ

ضــــمهُ البحـــــرُ إلــــى لجتــــهِ

واحتــــواهُ بهيـــــامٍ صـــــدرهُ

فهــــو يحيـــا طائعــــاً مستســــلماً

لمصـــــيرٍ قـــــد وعـــاهُ صـــبرهُ

حـــين يــــدعوهُ بمــــدٍّ شـــطهُ

ثــــم يــــذروه هبـــاءً جــــزرهُ

إنهـــــا خلـــــــةٌ بحـــــــرٍ عابـــــــثٍ

ولـــــه، مهمــــــا تجنـــــى، عـــــذرهُ

عشـــــــقَ الـــــــزوارُ فيـــــه طلعـــــةً

فــــي ســـــناها يتـــــوارى غــــدرهُ

وأحبـــــوا الهــــولَ فــــي أعماقـــــهِ

فمـــــــنَ الهـــــــولِ أتـــــــاهمْ درهُ

***

أنــــــا دوحٌ راســــــخٌ فــــــي أرضـــــه

لــــم يــــزلْ يزهـــو بعـــزٍّ جــــذرهُ

لـــــم ينـــــلْ منـــــه هجيـــــرٌ لاهـــــبٌ

أو وهـــى مـــن عصـــف ريـــح أزرهُ

فتباهـــــــــــــتْ ذروةٌ باســـــــــــقةٌ

كلمـــــا حــــــطَّ عليهـــــا نســـــرهُ

لــــم يُثِـــــرْ فيــــه ســــموٌّ كبـــــرهُ

حينمـــــا حـــــقَّ لحــــرٍّ كبـــــرهُ

ســـــرهُ أنْ قــــد ترامــــى ظلــــهُ

بعـــــدَ أن لاذ بفـــــيءٍ زهـــــرهُ

فأحـــــــبَّ الزهـــــــرُ أن يشــــــكرهُ

بامتنـــــــانٍ، فعصـــــــاهُ شـــــــكرهُ

فرنـــــا الــــــدوحُ إليـــــه باســـــماً

بحنــــــانٍ، إذ كفـــــاهُ عطـــــرهُ

***

أنـــــا تـــــاريخُ تـــــرابٍ خالـــــدٌ

مـــــا طـــــواهُ أو ســـــلاهُ ســـــفرهُ

ســــــطرتهُ قــــــدرةٌ مــــــن خــــــالقٍ

جـــلَّ فـــي خفقـــةِ قلـــبٍ ذكـــرهُ

عانقتـــــــهُ الأرضُ فـــــــي أحشـــــائها
حـــــين ســـــاواه خلــــوداً دهـــــرهُ
لـــيس يفنـــى، فهـــو عنهـــا مـــا مضـــى
لفنــــاءٍ، حـــــين يفنــــــى عمـــــرهُ
فهـــــو منهـــــا، وإليهــــــا عائـــــدٌ
مثلمــــــا يبعـــــثُ غرســــــاً بــــــذرهُ
مـــــا عنـــــاهُ دهـــــرُهُ إمـــــا دهـــــى
بخطـــــــوب، أو عنـــــــاهُ مــــــرهُ
أو شــــكا مـــــن قلــــةِ الشــــأنِ، ففـــي
ظلمـــــاتِ التــــربِ يزهــــو تبــــرهُ

***

أنـــــا ديـــــوانٌ دعـــــاهُ شـــــأوهُ
لابتــــــداع، فتعـــــالى قـــــدرهُ
بتســـــابيحَ ســـــما، إحساســــــهُ
وبتصـــــويرٍ تنـــــامى فكـــــرهُ
تنتشـــــي الألفـــــاظ إمـــــا اجتمعـــــتْ
مـــذ ســـباها مـــن بيـــانٍ ســـحرهُ
ربَّ لفـــــظٍ زان معنـــــىً رائعـــــاً
مثلمــــــا جمــــــلّ ورداً نشـــــرهُ
أو تبـــــدى فـــــي قصــــيدٍ تاجـــــهُ
وهـــو فـــي إحســـاسِ ســـطرٍ فخـــرهُ
أو تــــــــراءى كغنـــــــاءٍ تـــــــارةً
أو بـــــدا كالـــــدمع، حينـــــاً حبـــــرهُ
حســــــبيَ الــــــديوان يبقــــــى شــــــاهداً
صـــــادقاً بعـــــدي، ويبقـــــى شـــــعرهُ

عمان ٢٠١٢/١/١٦

الحقُّ فطرة الوجود

مـــلءَ ســـمع الـــدهر يبقـــى شـــاديا
ويظـــلُّ المجـــدُ عنـــه راويـــا
ولـــه فـــي مهجـــة النبـــلِ صـــدىً
ضـــجَّ مثـــلَ الرعـــد حـــراً داويـــا
وهـــو مـــن حـــثَّ نجيعـــاً، فجـــرى
علَّـــهُ يـــروي ترابـــاً صـــاديا
هـــزَّ بـــالنزفِ عتيـــاً جـــائراً
ولكـــمْ أفـــزعَ قَـــدْماً باغيـــا
وهـــو أسٌّ للمـــروءات التـــي
مـــا رأتـــهُ باكيـــاً أو شـــاكيا
مـــا ارتـــدى مـــن نســـج هـــونٍ بـــردةً
فهـــو مثـــلُ النـــور يبقـــى عاريـــا
أو تغشـــاهُ قنـــوطٌ مـــاحقٌ
كلمـــا صـــارعَ خطبـــاً ضـــاريا
إذ رأى الـــواديَ أضـــحى قمـــةً
ورأى القمـــة أضـــحتْ واديـــا
ذاك يزهـــو بشـــموخٍ كـــاذبٍ
وهـــيَ تبكـــي عـــزَّ مجـــدٍ ماضـــيا
بـــوركَ الحـــقُّ رعتـــهُ همـــةٌ
ولـــه الـــرحمنُ يبقـــى راعيـــا
صـــار ســـيفاً خلدتـــهُ صـــحوةٌ
لـــم تدعـــهُ فـــي قـــرابٍ غافيـــا
فتحـــدى غاصـــباً مســـتكبراً
وظلومـــاً مســـتبداً طاغيـــا

وبـــــه الجـــــرح تســــامى عــــــزةً

كلمـــــــا لاح رغيبـــــــاً داميـــــــا

حســــبه عـــــزمٌ مــــن الســــيف الــــذي

صـــــار للجـــــرح ضــــماداً شــــافيا

مــــــن نــــــواميسِ وُجــــودٍ جاءنـــــا

جــــوهرُ الحـــــقِّ حكيمـــــاً قاضـــــيا

جـــــلَّ مــــــن أعطــــــى لكــــــلٍّ حقــــــهُ

وبمـــــا أعطِـــــيَ أمســـــى راضـــــيا

لــــيس يفنـــى النـــورُ حتـــى لـــو بـــدا

خلـــــفَ أســــــدالِ مســـــاءٍ فانيـــــا

فشـــــروقُ الشـــــمس بـــــالحقِّ غـــــداً

مرجـــــعٌ بـــــالنور فجـــــراً آتيـــــا

وثـــــواءُ الــــدرِّ فـــــي غيـــب الثـــرى

لـــــيس ينســـــينا البـــــديعَ الغاليـــــا

حســـــنهُ المهجـــــورُ فـــــي أغـــــواره

لـــــم يصــــــيرهُ هبـــــاءً باليـــــا

ربمـــــا صـــــار لـــــــخَوْدٍ حليــــةً

تهـــــبُ العقـــــدَ بهـــــاءً زاهيـــــا

ذاك حـــــقُّ الــــدرِّ فـــــي روعتــــــه

حينمـــــا يملـــــكُ حظـــــاً وافيـــــا

ويظـــــلُّ العشـــــبُ يبغـــــي حقـــــهُ

مــــن ثـــــرىً يبقيــــه حيـــــاً ناميـــــا

يـــــا لتـــــربٍ ظـــــلَّ ســـــمحاً مغـــــدقاً

وعلـــــى جـــــوع زروع حانيـــــا!

ولنـــــا مــــن زهـــــرٍ قفـــــرٍ عبـــــرةٌ

حـــين لـــم يصـــبحْ بلفـــح ذاويـــا

صـــارعَ القـــيظَ، فأعطـــاه النـــدى

قطـــرةً ردتـــهُ غضـــاً ناديـــا

شـــاء شـــكراً للنـــدى فـــي نســـمةٍ

فغـــدا الشـــكرُ عبيـــراً ســـاريا

ولكـــمْ مـــن عِبـــرةٍ قـــد صـــيَّرتْ

ظلمـــةَ الجهـــل نهـــاراً ضـــاحيا

فهـــدتْ، بعـــد ضـــلالٍ، جاحـــداً

وأثـــارتْ، بعـــد لهـــوٍ، ناســـيا

فمـــنَ الســـنبلِ ضـــاعت آيـــةٌ

لـــم تـــدعْ عقـــلاً بريـــبٍ داجيـــا

فانتشـــتْ حبـــةُ قمـــح غبطـــةً

وهـــيَ بالإيثـــار تغـــذو طاويـــا

لـــم تمـــتْ فـــي الأرض لمـــا غيبـــتْ

إذ حبتهـــا الأرضُ عمـــراً ثانيـــا

فأحســـتْ أنهـــا قـــد أرجعـــتْ

حقهـــا لمـــا أعانـــت عانيـــا

فرحـــتْ لمـــا تـــراءى جـــائعٌ

كـــان للهِ بشـــكرٍ داعيـــا

وبـــدا الصـــيفُ ســـعيراً ظامئـــاً

وعلـــى البحـــر ترامـــى حاســـيا

شـــربَ الأمـــواجَ إذ صـــيرها

زبـــداً عبـــرَ عنـــانٍ طافيـــا

فغـــدتْ غلتـــهُ غيمـــاً، وقـــد

صـــار غيثـــاً فـــوق قفـــرٍ هاميـــا

تلـــــك كانــــت فطـــــرةَ الغــــيم الــــذي

شـــــاءه اللهُ مغيثـــــــاً ســـــاقيا

كــــــلُّ خلــــــق اللهِ فـــــي إعجـــــازهِ

كـــــان حقـــــاً آمـــــراً أو ناهيـــــا

كــــلٌ نجـــــمٍ قـــــد حبـــــاهُ قـــــدرهُ

أفــــقَ حــــقٍّ فــــي عــــلاهُ ســــاميا

هانئـــــــاً يزهــــــو بعــــــزٍّ بـــــاذخٍ

ولجييـــــرانٍ، بحـــــبٍّ، رانيـــــا

كـــــان عونـــــاً لســـــراةٍ، ســـــرهُ

أنــــه مــــا كــــان عــــنهم لاهيـــا

كـــــان يــــدري أنـــــه يعطــــي لهــــم

حقهــــم نــــوراً مبينــــاً هاديـــا

ســـــيدوم الخيـــــرُ فــــي الأرض إذا

ظـــلَّ معنـــى الحـــقّ فيهـــا باقيـــا

٢٠١٢/١/٣٠

ثنائيات ساخرة

تـــــاهَ شـــوكٌ إذ مضـــى يظهـــر كبـــرهَ

بعـــدَ أن جـــاور مهـــدَ الـــوردِ عمـــرهْ

ظـــــنَّ أن الحســــنَ أضـــحى حســـــنهُ

ثـــم ظـــنَّ العطـــرَ قـــد أصـــبح عطـــرهْ

***

هتفـــــتْ، مِــــن صـــــخرةٍ، ســــاخرةً

زهـــرةٌ تزهـــو بإشـــراقٍ ونضـــرةْ

ســـوف أبقـــى طـــول عمـــري زهـــرةً

وســـــتبقين طـــوال الـــدهر صـــخرةْ

***

ورأى البحــــــر حصــــــاةً غرهــــــا

أنهـــا، مـــن حظهـــا، تســـكنُ غـــورهْ

وهمـــــتْ، قـــــربَ محـــــارٍ، أنهـــــا

أصـــبحت فـــي حســـنها أجمـــل درّةْ

***

وازدهـــــى بـــــرقٌ بـــــومضٍ خـــــاطفٍ

لـــم يـــزدْ فـــي لمحـــه عـــن عمـــر نظـــرةْ

ظـــــنَّ، مِـــــن ســـــخفٍ وجهـــــلٍ، أنـــــهُ

صـــار مثـــلَ الشـــمس إشـــراقاً وســـورةْ

***

ولكـــــمْ خـــــالَ غـــــرابٌ أنـــــه

عنـــدليبٌ حينمـــا جـــاور وكـــرهْ

فتبـــــاهى بنعيـــــبٍ ظنـــــهُ

مالكـــاً روعـــة تغريـــد، وســـحرهْ

***

ورنـــــــا وادٍ لطـــــــودٍ قـــــــائلاً

إنـــــه أصـــــبح للغيـــــث مقـــــرهْ

صـــمتَ الطـــودُ، ولـــم يعبـــأ بـــه

كيـــف تصـــغي عـــزةُ الطـــودِ لحفـــرةْ

***

ولكـــــمْ حفـــــلٍ تبـــــدى منصـــــتاً

لهـــراءٍ بـــات يســـتنفد صـــبرهْ

ودَّ لـــــو أصـــــبح فـــــي آذانـــــه

صـــممٌ يغنيـــهِ عـــن بـــؤسٍ وحســـرةْ

***

يـــا لطـــرسٍ قـــد تشـــكى ألمـــاً

مـــن دعـــيٍّ فوقـــه يقـــذف هـــذرهْ!

هـــان فيـــه اللفـــط حتـــى أنـــه

لـــيس يســـتأهل، بـــالتثمين حبـــرهْ

***

عمان ٢٠٠٧/٩/٢٣

الأسيرة

رمقتنـــــــي زهيـــــرةٌ فـــــي كـــــأسِ
بلحـــــاظٍ مـــــا غشّـــيتْ باليـــــأسِ
فبـــــدا المـــــاءُ أدمعـــــاً ســـــفحتها
حـــــرةٌ أصـــــبحتْ ضـــــحية حـــــبسِ
وتخيلتهـــــــا تبـــــــثُّ حـــــــديثاً
ينفـــثُ الحـــزنَ فـــي كآبـــة جـــرسِ
رنّ فـــــي مســـــمعي دويـــــاً ملحـــــاً
يـــا لرعـــدٍ مجلجـــلٍ بـــالهمسِ
تلـــك شـــكوى التـــي تـــودع عـــزاً
ثـــم ترضـــى مـــن بعـــده بالتأســـي
أصـــغت الكـــأس، إنمـــا لا تبـــالي
كيـــف يرجـــو الـــدفين رحمـــة رمـــسِ!
ثـــم منَّـــتْ علـــى الزهيـــرة مـــاءً
يتمنـــــى زلالـــــهُ كـــــلُّ غـــــرسِ
حـــينَ قالـــت وقـــد زهاهـــا غـــرورٌ:
لـــكِ فـــي صـــحبتي مّســـرّات عـــرسِ
كـــم يطيـــب الشـــراب عنـــدي ويحلـــو
بارتشـــافٍ، فينتشـــي كـــلُّ حـــسِّ
فاخلســـي فـــي المقـــام بعـــض ســـرورٍ
لـــيس يحنـــى إلا بلـــذة خلـــسِ
فرنـــتْ نحوهـــا الزهيـــرة غضـــبى
ثـــم صـــاحتْ مـــن هـــول غـــمٍّ وبـــؤسِ:

لســـتِ يـــا كـــأس غيـــرَ ســـجنْ ظلـــومٍ

وضـــــعتني فيــــه هنيهـــــةُ نحـــــسِ

ســـــلبتني أبهـــــى وأجمـــــلَ مثـــوى

والـــــذي فيــــه مـــن هنـــاءٍ وأنـــسِ

لا أرى المـــــاءَ غيـــــر ســـمٍّ زعـــافٍ

موغـــلٍ فـــي حشاشـــتي، منـــدسٍّ

لا أرى غيـــــر لوعـــــةٍ فـــي ليـــالٍ

موحشـــــاتٍ مـــن التفـــردِ، دمـــسِ

لســـتُ أنســـى روضـــي وأرضـــي وصـــحبي

والـــذي فـــات مـــن مبـــاهج أمـــسِ

أرقـــبُ الفجـــرَ وهـــو يفـــتح جفنـــي

ثـــم أحظـــى منـــه بقبلـــة شـــمسِ

ويهـــبُّ النســـيم حـــولي علـــيلاً

فأحييـــهِ حـــين أرفـــع رأســـي

مـــلأتْ خـــاطري حـــلاوةُ روضـــي

لا تظنـــي مـــرارةَ الســـجن تنســـي

حيـــثُ جـــذري مـــا زال فـــي التـــرب حـــراً

بالـــذي فيـــه مـــن مضـــاءٍ وبـــأسِ

آنـــفُ النهـــلَ مـــن هـــوانِ مقـــامٍ

حـــين أعطـــي لســـورةِ الأســـر نفســـي

إنّ حريتـــــي يقـــــينٌ مبـــــينٌ

لـــيس يعـــروه زيـــفُ ظـــنٍّ وحـــدسِ

وهـــيَ أغلـــى عطيـــةٍ مـــن إلهـــي

فشـــعوري بـــالحقِّ، كـــالحقِّ قدســـي

سلمى/ اللاذقية

٢٠٠٧/٩/١٣

مع القوافي

قيـــــلَ إنـــــي أجـــري وراء القـــــوافي
حـــين أشــكو منهـــا النـــوى والتجــافي
كيــــف أجـــري وراهــــا وهـــــيَ روحٌ
لشـــعوري، ونبضـــةٌ فـــي شـــفافي!
كنـــــتُ أرضــــيتها بـــــأحلى وأغلـــــى
كلمـــــاتٍ، وبالمعــــــاني اللطـــــافِ
فأقامـــــت قريــــــرةً فــــي خيــــالي
لـــيس بينـــي وبينهـــا مـــن خـــلافِ
كلمــــا ضـــمني مــــع الشـــعر ليـــلٌ
رمقتنـــــي بلهفــــــة وانعطــــــافِ
وأنــــا أصـــــطفي التــــي بهرتنــــي
ببهـــــاء الســـــماتِ والأوصـــــافِ
شـــــكرتني وقـــــد تباهــــت ببـــــردٍ
مـــن بيـــانٍ منمـــنم الوشـــي ضـــافِ
لســـــتُ أختارهـــــا بـــــأمرٍ وقهــــرٍ
بــــل بــــأنقى مــــودةٍ وائــــتلافِ
فأنــــا قـــــد حضــــنتها فـــي خيــــالي
كــــاللآلي تقــــرُّ فـــــي الأصـــــدافِ
فُتِّحــــــتْ كلهـــــا ســــخاءً، وأعجـــبْ
بــــالتي لا تـــــلام فــــي الإســــرافِ
ســــــرني أنهـــــا تلبـــــي بشــــوقٍ
فهـــيَ إنْ أومــــأ القصـــيد تـــوافي
وترانـــــي أســــــترفد الليــــلَ وحيـــــاً
لأراهــــــا بنظـــــرة استشـــــرافِ

فزهاهـــــا أن اســــــتحالت عقـــــوداً
وهبتهـــا الســـموَّ فـــي الإنصـــافِ
وترانـــــــي أرودُ آفـــــاقَ فكـــــرٍ
بخيـــــالٍ مجـــــنح الأعطـــــافِ
وكـــــأني غـــــدوتُ للشــــعر ضـــيفاً
وعســـــاهُ الكـــــريمُ للأضـــــيافِ
لـــــيَ فــــي بيتـــــهِ مقـــــامٌ رحيـــــبٌ
بعطايـــــاه ســــــابغُ الرفـــــد، وافِ
والقــــوافي تطـــوف بـــي ناشـــطاتٍ
لـــم يَضِـــرها الزحـــامُ بعـــدَ الطـــوافِ
أقبلـــــتْ بـــــالهوى خفافـــــاً، ولكـــــنْ
بمعـــاني الكمـــال غيـــرُ خفـــافِ
ضـــمها الواقـــع المشـــوق، وكانـــت
لمحـــاتٍ مـــن روعـــة الأطيـــافِ
وبيـــاضُ الطـــروس يكســـى ســـواداً
يـــا لصـــبح يضـــيءُ بالأســـدافِ!
وكـــأنّ الألفـــاظَ تغـــرفُ نـــوراً
مـــن قـــوافٍ تســـخو بطيـــب اغتـــرافِ
رحلـــةُ الشـــعر فـــي قـــوافٍ وفكـــرٍ
وبيـــــانٍ معبـــــرٍ شـــــفافِ
فـــــوق دربٍ ممهـــــدٍ بالمعـــــاني
وجليـــل الرغـــاب والأهـــدافِ
لســـتُ أرضـــى مـــن القـــوافي غثـــاءً
بالـــذي فيـــه مـــن قـــذى الإســـفافِ
يلهـــثُ الســـقمُ فـــي خطاهـــا حســـيراً
وهـــي تســـعى كليلـــةَ الأطـــرافِ

شـــــــئتها مـــــــــنهلاً يفــــــيض زلالاً

فحــــلا طعمـــــهُ بطيــــب ارتشــــافِ

شـــــــئتها روضـــــــةً تتيـــــهُ بزهـــــر

وهـــــيَ تغـــري متيمــــاً باقتطــــافِ

شـــــئتُ إعجازهـــــا بســــبكٍ خفـــــيٍّ

لبيــــانٍ ملألــــئٍ غيـــرِ خـــافِ

لســــتُ أرضـــى بهـــا إذا هـــاج نقـــدٌ

ورماهـــــا بنظـــــرة اســــتخفافِ

لســــتُ أرضـــى بهـــا دلالــــة معنـــىً

جـــائع بـــات يرتضـــي بالكفـــافِ

لســــتُ أرضـــى بهـــا دعيّـــاً ذلـــيلاً

يتبـــــاهى بعـــــزة الأشـــــرافِ

إن يكـــنْ قــد غـــدا جـــلالُ المعـــاني

أعـــينَ الشـــعر، فـــالقلوب القـــوافي

سلمى / اللاذقية

٢٠٠٧/٩/٧

عذراً يا عُمْر

يـــا عمـــرُ عـــذراً لا تكـــنْ لائمـــا
إنْ خلتنـــي فـــي مـــا مضـــى صـــارما
إذ كانـــــت الـــــدنيا علـــــى رُحبهـــا
تغريـــكَ كـــي تبقـــى بهـــا حالمـــا
وددتَ لـــــو أوغلـــــتَ فـــــي حســــنها
تظـــــلُّ منـــــه راشــــفاً طاعمـــــا
يـــــدعوكَ فـــــي أوج الصـــــبا وجـــدهُ
وقـــــد تبـــــدى لاهبـــــاً داهمـــــا
مـــا كنـــتَ تلقـــى ناصـــحاً رادعـــاً
عـــن ضـــلةٍ، أو زاجـــراً حازمـــا
لـــو لـــم أكـــنْ أحميـــكَ مـــن فتنـــةٍ
أو لـــم أكـــنْ مـــن نـــزوةٍ عاصـــما
للهِ كـــم فـــي الزجـــر مـــن رأفـــةٍ
وكـــم تـــراءى مشـــفقاً راحمـــا
مـــا زلـــتُ أرعـــاكَ كمـــا شـــاءني
ربـــي، لتبقـــى هانئـــاً ســـالما
هدهـــدتُ فيـــكَ البغـــيَ فـــي صـــحوهِ
فصـــار فـــي حضـــن الهـــدى نائمـــا
بنيـــتُ صـــرحَ الخلـــق حتـــى عـــلا
ولـــم تكـــنْ يومـــاً لـــه هادمـــا
أطعتنـــــي وأنـــــتَ لـــــي ســـــيدٌ
وكـــم أطـــاع الســـيدُ الخادمـــا
فلـــم تصِـــرْ مســـتكبراً عاتيـــاً
ولا عنيـــداً غاضـــباً ناقمـــا

حملتنـــــــي وقـــــــراً فمـــــــا آدنـــــــي
إذ لـــــم أكـــــنْ فـــــي حملـــــه راغمـــــا
يـــــا عمـــــرُ أرجـــــو العـــــذرَ إذ خَشْـــــيتَي
قـــــد صـــــيرتني آمـــــراً حاكمـــــا
لكننـــــــي يـــــا صـــــاحبي عـــــادلٌ
مـــــا كنـــــتُ يومـــــاً جاحـــــداً ظالمـــــا
مـــــا شـــــئتُ أن ألقـــــاكَ فـــــي غيهـــــبٍ
أو قفـــــرِ زيـــــغ ضـــــائعاً حائمـــــا
حتـــــى تـــــرى النجـــــدين مسترشـــــداً
وموقنـــــاً، لا حـــــائراً واهمـــــا
إمـــــا انجلـــــى معنـــــى الحيـــــاة التـــــي
أصـــــبحت فيهـــــا المـــــدركَ الفاهمـــــا
فقـــــد بـــــدا دربُ الرشـــــادِ الـــــذي
تخطـــــو عليـــــه واثقـــــاً عالمـــــا
ترنـــــو إلـــــى الحســـــنِ بـــــلا ريبـــــةٍ
حتـــــى ولـــــو بـــــثَّ الهـــــوى العارمـــــا
يكفيـــــك أن يبقـــــى الهـــــوى خافيـــــاً
والقلـــــبُ يبقـــــى صـــــابراً كاتمـــــا
ولـــــم يـــــزلْ فـــــي الوجـــــه إشـــــراقهُ
إمـــــا رأينـــــا ثغـــــركَ الباســـــما
كـــــي تجلـــــوَ الإعجـــــابَ فـــــي نظـــــرةٍ
بـــــرَّأتَ فيـــــه طرفـــــكَ الهائمـــــا
فالحســـــنُ لا يحلـــــو لمـــــن رامـــــهُ
إلا حـــــلالاً طيبـــــاً ناعمـــــا
فكـــــم ثمـــــارٍ أورثـــــتْ حســـــرةً
لمـــــا غـــــدا مـــــن حازهـــــا نادمـــــا

وكيـــــف لا تغـــــدو لــــــه غضـــــةً
وقـــــد جناهــــا غاصـــباً غاشــــما!
وكــــــم زهــــورٍ صـــــيرتْ معجبـــــاً
لمـــــا احتوتهــــا كأســــــهُ، آثمـــــا
بـــــاهى بهــــا مســــتمتعاً مــــذ غـــــدا
مــــن حســــنها أو عطرهـــــا غانمــــا
لــــــم يغنـــــهِ لمـــــا ذوتْ أنهــــــا
بــــدتْ هشـــيماً، أو بـــــدا هاشـــــما
بالــــذنبِ يـــــا عمـــــري سنشـــقى معـــاً
نلقـــى المصـــيرَ القــــاهرَ القاصــــما
طويـــــتَ يـــــا عمـــــري معـــي رحلــــةً
فصـــنتَ عهـــداً لـــم يـــزل قائمـــــا
نســـعى علـــى المرســـوم مـــن بعـــدنا
إذ القضـــا قـــد أصـــبح الراســـما
لــــم يبــــقَ إلا النـــــزرُ مـــــن صــــحبةٍ
حتـــــى يـــــتمَّ البـــــاقيَ القادمـــــا

عمان ٢٠٠٧/١١/١

إلى التي جعلت من أمسيات منتدى عمون للأدب والنقد متعة وسروراً،
إلى رئيسة المنتدى الأديبة البارعة الأستاذة صباح المدني... أقدم هذه التحية...

عندما تصبح الحقيقة كالأسطورة

امحقـــي الحـــزن والجـــوى يـــا صـــباحُ

فلكـــمْ يمحـــقُ الظـــلامَ الصـــباحُ

إذ ســـما فـــي اســـمكِ المعبـــر وحـــيٌ

لحبـــورٍ بـــه الأســـى ينـــزاحُ

الـــــدياجيرُ حولـــــهُ تتهـــاوى

والأمـــاني بفجـــره تنـــداحُ

كـــم صـــدحنا بلفظـــهِ فســـعدنا

مثلمـــا يســـعدُ الطيـــورَ الصـــداحُ

شـــاءكِ اللهُ أن تفـــوزي بلفـــظٍ

فيـــه لطـــفٌ وبهجـــةٌ وانشـــراحُ

فحبـــا روحـــكِ النبيلـــة معنـــىً

تتبـــاهى بنبلـــهِ الأرواحُ

كـــي تحـــوزي بـــه جـــلالَ ســـطوعٍ

مثلمـــا يســـطعُ الضـــحا الوضـــاحُ

مـــا أراه إلا رفيقـــاً لســـعيٍ

وجهـــادٍ، بـــه يـــتمُّ الفـــلاحُ

وهـــو حـــثٌّ يجلـــو يقـــينَ نهـــارٍ

تتـــوارى بنـــوره الأشـــباحُ

كـــم رآكِ الخيـــالُ فـــي أوج عمـــرٍ

يتجلـــى بـــه الصـــبا الممـــراحُ

كـــان عهـــداً يحـــدوه حـــسٌّ وخلـــقٌ

وضـــميرٌ حـــيٌّ، ولهـــوٌ مبـــاحُ

لـــم تنـــالي إلاّ الـــذي نـــال صـــدقٌ

ونقـــاءٌ، كمـــا أراد الصـــلاحُ

فـــإذا الطهـــرُ فـــوق هامـــكِ تـــاجٌ
تتبـــاهى بـــه الحســـانُ المـــلاحُ
والأســـاريرُ فـــي محيـــاكِ بشـــرٌ
وتقـــىً مشـــرقٌ، ونبـــلٌ صـــراحُ
خلبتـــكِ الفصـــحى بـــألوانِ ســـحرٍ
فـــإذا الســـحرُ صـــبوةٌ وطمـــاحُ

فصـــنعتِ الإبـــداعَ أحلـــى عقـــود
مـــا تســـامى لوصـــفهنَّ امتـــداحُ
كـــلُّ لفـــظٍ فيـــه تـــأنقُ بـــردٍ
وعلـــى عـــاتق البيـــانِ وشـــاحُ
ورآكِ الزمـــان بـــالعمر جـــذلى
والمنـــى فـــي مهودهـــا ترتـــاحُ
شـــئتها زورقـــاً جـــرى مطمئنـــاً
فاطمـــأنّ الشـــراعُ والمـــلاحُ
فاشـــرأبتْ لـــه المـــوانئُ حبـــاً
وحنينـــاً، فشـــوقها بـــواحُ
شـــئتها تنتشـــي بأجمـــلِ عمـــرٍ
حـــين يحلـــو لهـــا المـــراح المتـــاحُ
وهـــي تســـقى بلاغـــة الضـــاد فيضـــاً
كـــي تـــروى بهـــا المعـــاني الفصـــاحُ
وعجيـــبٌ تســـقى وترجـــعُ ظمـــأى
كلمـــا شـــاقها الـــزلالُ القـــراحُ

والشـــبابُ الـــدؤوبُ يخطـــو حثيثـــاً
حـــين هشـــتْ لـــه الـــدروبُ الفســـاحُ

تقطفـــــين الآمــــالَ أزهـــــارَ روضٍ

لـــم يغـــبْ عنـــه عطـــره الفـــواحُ

وتوشـــــين بالتفـــــاؤل عمـــــراً

عانقتـــــه الســـــعودُ والأفـــــراحُ

كلمـــا نلـــتِ مـــن نجـــاحٍ نصـــيباً

بطمـــوح الصـــبا، تـــلاهُ نجـــاحُ

حـــدقَ الـــدهرُ ذاهـــلاً، فتلظـــتْ

فيـــه للحقـــد ســـورةٌ وجمـــاحُ

إذ تحـــداه فيـــكِ عـــزمٌ وحـــزمٌ

وذكـــاءٌ مشـــرفٌ لمـــاحُ

هاجـــهُ بغيـــهُ، ولـــيس يبـــالي

حـــين يجنـــي، فمـــا عليـــه جنـــاحُ

فانتضـــى ظُلمَـــهُ ليجتـــاحَ حقـــاً

إنمـــا ديـــدنُ الزمـــانِ اجتيـــاحُ

مـــا عنـــاهُ عمـــرٌ ينـــوءُ بســـقمٍ

أو شـــبابٌ معـــذبٌ مســـتباحُ

فـــإذا أنـــتِ بالشـــموخ كطـــودٍ

تتهـــاوى علـــى ذراه الريـــاحُ

إنهـــا الحـــربُ لـــم تنـــلْ مـــن إبـــاءٍ

يـــا لحـــربٍ فيهـــا الإبـــاءُ ســـلاحُ!

إن طغـــى فـــي الخطـــى عيـــاءٌ وبيـــلٌ

فثبـــاتُ الجنـــان فيـــكِ كفـــاحُ

مـــا تهيبـــتِ إذ تخوضـــين لُـــجّاً

مـــن ديـــاجٍ، فعزمـــكِ المصـــباحُ

مـــا اســـتطاع الســـقامُ إيصـــادَ بـــابٍ

مـــن رجـــاءٍ، فصـــبركِ المفتـــاحُ

كـــم بعـــينِ الخيـــال لحـــتِ لعينـــي

إذ تغنـــــي تحـــت الضـــماد الجـــراحُ

بلحـــــونٍ مــــن المبــــاهج تشــــدو

صـــــادحاتٍ، لتخســـــأ الأتـــــراحُ

فـــــإذا أنـــــتِ تبلغـــــينَ ســـــماءً

لـــيس يرقـــى إلـــى مـــداها جنـــاحُ

عمان ٢٠٠٧/١١/٢٨

الحقُّ العربيُّ يتحدث

أنـــا الحشاشــــةُ مــــن تهويمـــة الحلـــمِ
هاجــت بهـــا ســـورةُ الرؤيـــا، فلـــم تـــنمِ
صــــحتْ علــــى كنهِهـــا فاســــتلَّ واقعهـــا
بقيــــةَ العـــــزم مـــــن أحبولـــــة العـــــدمِ
مـــا عـــدتُ مثـــلَ هزيـــعٍ قـــد مضـــى بـــدداً
مضــــيَّ منهـــــزمٍ فــــي إثــــرِ منهــــزمِ
لــــم يبكــــهِ الليــــلُ فالإشــــراقُ أذهلـــهُ
وراح ينســـيهِ مـــا قـــد فـــات مـــن ظلـــمِ
رأيــــتُ كـــــلَّ خيــــوط الفجــــر مزلفـــةً
فرحــــتُ أنســــج مـــن لألائهـــا شــــممي
لبســــــتها حلــــــةً لــــــم تبـــــلَ جـــــدتها
وقـــد جعلـــتُ لهـــا وشـــياً مـــن الشـــيمِ
جعلـــــتُ تـــــاريخَ مجـــــدٍ بـــــاذخٍ حكمـــــاً
يقضــي بعــدلٍ، ومـــا أســـماهُ مـــن حكـــمِ
إذِ الحقيقــــــــةُ لا يرقــــــــى لجوهرهـــــــا
زيـــفٌ، ولا صـــخبٌ طـــاغٍ مـــن الـــتهمِ
رنــــــتْ إلــــــيَّ ســــــفوحٌ وهــــــيَ واجلــــــةٌ
لأنَّ لـــــي مـــــوئلاً فـــــي عـــــزة القمـــــمِ
تهيبَّتــــــهُ ســــــيولُ الظلــــــم فانخــــــذلتْ
فلـــــن تشـــــقَّ لهـــــا دربـــــاً لمقـــــتحمِ
أنـــــا الطعــــينُ الـــــذي يخشـــــاهُ طاعنـــــهُ
فقـــــد تعالـــــت ودوتْ ضـــــحكةُ الألـــــمِ
يســــيلُ جــــرحٌ فيــــروي الأرضَ مــــن ظمــــأٍ
فــــــالأرضُ لا ترتــــــوي إلا بنهــــــلِ دمِ

يخـــطُّ وجـــهَ صـــلاح الـــدين منتشـــياً
زهـــواً، ويتبعـــه وجهـــاً لمعتصـــمِ
يـــا للنجيـــع مضـــى فـــي أوج تضـــحيةٍ
يحكـــي ســـعادة جـــرحٍ غيـــر ملتـــئمِ
مـــا عـــدتُ شِـــلواً رمـــاه الـــدهر معتســـفاً
لشـــهوة الـــبطش فـــي الجـــزار والوضـــمِ
أنـــا محيـــاً تحاشـــاه العبـــوسُ، فقـــد
أبـــدتْ ملامحـــهُ ثغـــراً لمبتســـمِ
تبقـــى أســـاريرهُ بالبشـــرِ مشـــرقةً
وقـــد محـــتْ بـــائتلاقٍ ظلمـــة الغمـــمِ
يبقـــى معـــافىً علـــى مـــرِّ الزمـــان، فمـــا
يهـــزه جحفـــلٌ بـــاغ مـــن الســـقمِ
فيـــه الشـــبابُ خلـــودٌ لا يفارقـــهُ
تـــزري أســـاريره بالضـــعف والهـــرمِ
أنـــا توَقُّـــدُ نـــارٍ لـــيس يطفئهـــا
عـــاتٍ يـــدلُّ بســـيلٍ جـــارفٍ عـــرمِ
تُكِـــنُّ جمـــراً إذا ظُـــنَّ اللهيـــبُ خبـــا
كمـــا يكـــنُّ رمـــادٌ لفحـــة الضـــرمِ
وربَّ أرضٍ تراهـــا العـــينُ هادئـــةً
وفـــي ثراهـــا تلظـــتْ ثـــورةُ الحمـــمِ
أنـــا الحســـامُ الـــذي مـــلَّ القـــرابَ، فكـــم
رأيتنـــي مشـــرعاً فـــي كـــفِّ منـــتقمِ
ولـــيس ينبـــو فـــإنّ العـــزم يشـــحذهُ
فإنمـــا تشـــحذُ الأســـيافُ بـــالهممِ
ولـــيس يصـــدأ فالإصـــرار يصـــقلهُ

لكـــي يـــذودَ عـــن الأخـــلاق والقـــيمِ

أنـــا النــــداءُ لأرضٍ تشـــتكي ولهـــاً

ومـا اشـتكى سـمعها الملهـوفَ مـن صـممِ

ومـــا غبطـــتُ نـــداءً صـــار مـــن دنـــفٍ

نجــوى أرددهـــا فـــي مهجتـــي وفمـــي

يظـــلُّ يُسَـــمِعُ أرضـــاً آيَ صـــبوتهِ

حتـى يصـيرَ اسـمها ضـرباً مـن الـنغمِ

لكـــنْ غبطـــتُ خيـــالي إذّ تمثلهـــا

فـــراح ينقـــلُ فـــي أرجائهـــا قـــدمي

أو أن يُسَـــرِّحَ طرفـــي فـــي تلهفـــهِ

بـــين المراتـــع والجنـــاتِ والأكـــمِ

أعجـــبْ بـــه مـــن خيـــالٍ لا يكـــلُّ، ولا

يحـسُّ بالضـيقِ أو بـــالعجزِ والســـأمِ

وددتُ لـــو أننـــي قـــد صـــرتُ مقلتـــهُ

أو أننـــي ريشـــةٌ فـــي أجـــنحُ الكلـــمِ

ضـــنّ المحـــالُ، وحســـبي مـــن مخيلتـــي

عطـــاءُ جـــودٍ ســـخيٍّ بـــالغ الكـــرمِ

أنـــا مطيـــةُ شـــعرٍ بـــات مـــن حَـــزَنٍ

يحكـــي عـــن النـــذرِ الـــدهياء والـــنقمِ

وربَّ خطـــــبٍ جليـــــلٍ راح يســـــطرهُ

بـــدمع ألفاظـــهِ أو رعشـــةِ القلـــمِ

عمان ٢٠٠٨/٣/٢٧

في ظلِّ كرمة باسقة في مصيف سلمى شمال اللاذقية، قلت أخاطب الكرمة:

مناجاة كرمة

طــــوبى لقــــدركِ لــــم تبلغـــه أقـــدارُ

ومـــا تســـامى لـــه حمـــدٌ وإكبـــارُ

مـــن نبـــلِ أرضـــكِ حـــاز الجـــذعُ عزتـــه

وكـــم تعـــزُّ بنبـــل الأرض أشـــجارُ

فلـــذتِ بـــالأرض مـــن حـــبٍّ ومـــن أنـــفٍ

ولـــيس يقصـــيكِ عـــن مثـــواكِ غـــدارُ

نهـــدتِ كـــالطود مـــا هزتـــكِ عاصـــفة

وقـــد مضـــى كبهـــاءً عنـــكِ إعصـــارُ!

وجـــذركِ المحتمـــي عـــزاً بتربتـــه

يـدري بـأن الثـرى الحـامي هـو الـدارُ

وحضـــنكِ المنتشـــي بـــالأمن مبـــتهجٌ

وكـــم تبيـــتُ بهـــذا الحضـــن أطيـــارُ!

وقفـــتِ مزهـــوةً بالحســـنِ شـــامخةً

وأكمـــلَ الحســـنَ أفيـــاءٌ وأثمـــارُ

يـــا للعناقيـــد تـــدعوني حلاوتهـــا

ولســـتُ أعلـــم مـــنْ مـــنهنَّ أختـــارُ!

كأنهـــا دررٌ لكـــنْ بـــلا صـــدفٍ

ومـــا حـــوتْ مثلهـــا مـــن قبـــلُ أغـــوارُ

يـــا كرمتـــي لـــكِ غنـــى الشـــعر مـــن جـــذلٍ

والحســـنُ يزهـــو إذا غنتـــه أشـــعارُ

تعطـــين مـــن كـــرم البـــاري ونعمتـــه

يحـــدوكِ للبـــذلِ إنعـــام وإيثـــارُ

غبطـــتُ حريـــةً فـــي الجـــود مغدقـــةً

ينـــال مـــن جنيهـــا أهـــل وزوارُ

ذكَّرْتِنـــي بكـــروم الأهـــل فـــي وطـــنٍ

حماتـــهُ اليـــومَ أطفـــالٌ وأحجـــارُ

يجـــوسُ صـــلٌّ مقيـــتٌ فـــي مرابعـــه

ويســـتبيحُ دمَ الأعنـــاق جـــزارُ

يـــا ليتنـــي كرمـــةٌ نـــابلسُ تحضـــنها

صـــبراً، وفـــي جـــذرها بـــأسٌ وإصـــرارُ

أو زهـــرةٌ مـــن ثـــرى يافـــا قـــد ارتشـــفتْ

طيـــبَ الشـــذى، فهـــو فـــي الأنـــام معطـــارُ

أو كنـــتُ فـــي القـــدس فـي كـــف الفتـــى حجـــراً

فيســـتكين لـــه الفـــولاذُ والنـــارُ

أو صـــرتُ فـــي مـــرج حيفـــا مثـــل ســـنبلةٍ

وقـــد ســـقاها عمـــيمَ الغيـــثِ آذارُ

أو كنـــتُ فـــي شـــط عكـــا قاربـــاً دنفـــاً

خـــلاّهُ، بعـــد ضـــياع الأرضِ، بحّـــارُ

مصيف سلمى/ اللاذقية

٢٠٠٤/٨/١٥

أحزان الضاد

يـــا ضـــاد هـــل صـــبرٌ علـــى الجـــائر
حتـــى تنـــالي عـــزة الصـــابر!
وكـــي تحـــوزي النصـــرَ مـــن ظـــالمٍ
فمـــا لأهـــل الظلـــم مـــن ناصـــر
بليـــــتِ بـــــالمغرورِ والمـــــدعي
والجاهـــلِ المغمـــورِ والقاصـــر
تعـــالَموا بالهـــذرِ، مـــن جهلهـــم
حتـــى ينـــالوا كنيـــة الشـــاعر
كـــلٌّ يظـــنُّ الشـــعرَ بـــاهى بـــه
ولغـــوهِ المســـتفحلِ الهـــاذر
وأنَّ مـــا أعطـــاكِ مـــن غثـــهِ
آيـــاتُ درٍّ رائـــعٍ نـــادر!
بهـــا ملكـــتِ الأوجَ مـــن رفعـــةٍ
ومـــن بيـــانٍ غالـــبٍ ســـاحر!
دعيـــهِ مفتونـــاً ببهتانـــهِ
ومـــا ابتغـــى مـــن لغـــوهِ الســـافر
أو مبـــدياً كبـــراً بألفاظـــهِ
وكـــلِّ معنـــىً شـــائهٍ خـــائر
لمـــا ادعـــى أنْ صـــرتِ مغلولـــةً
بصـــيتِ عهـــدٍ بائـــدٍ غـــابر
فقـــال إنَّ الصـــرحَ فـــي أمســـهِ
قـــد صـــار مثـــلَ الســـجنِ للحاضـــر
وإنَّ وهمـــاً مـــن رؤىً قـــد مضـــتْ
دربٌ لخطـــوٍ عـــاجزٍ عـــاثر

فلم تشائي، بعدُ، أن تصبحي

طليقةً من قيده القاهرِ

يا ضادُ لا تصغي لمستكبرٍ

مسترسلٍ في غيهِ سادرِ

فكم مسيءٍ قد درى وزرهُ

لكنْ تأبَّى رحمةَ الغافرِ

دعيهِ إما هاج من ثورةٍ

ينلْ جزاءَ الهائج الثائرِ

كالنار لما أطفأتْ نفسها

بسورةٍ من وقدها الغادرِ

أو فاتركيه يجنِ من جهلهِ

عقبى ضلالِ التائهِ الخاسرِ

كوني كوردٍ لم ينلْ شوكهُ

من عطرهِ أو حسنهِ الآسرِ

أو مثلَ بحرٍ ما درى لجهُ

عن قشةٍ في موجهِ الهادرِ

أو دوحةً ما هزَّ أفنانها

صعودُ عشبٍ زاحفٍ ماكرِ

يرومُ جعلَ النورِ في هامها

حياتهُ في لونهِ الناضرِ

كوني ذرىً شماءَ مزهوةً

تزري بسيلٍ تحتها عابرِ

عزتْ على قزمٍ تسامى لها

فأعوزتهُ همةُ القادرِ

لا تفزعي يا ضاد من عابثٍ

زهـــا بحقـــدٍ جاحـــدٍ ســـاخرِ

وتـــاهَ بالألفـــاظ لمـــا نـــأتْ

عـــن روح معنـــىً رائـــقٍ ظـــاهرِ

ولـــم يكـــنْ إيحاؤهـــا نابضـــاً

مـــن بـــوح وجـــدانٍ ولا خـــاطرِ

ولـــم تكـــنْ فـــي كـــلِّ مـــا قـــدَّمتْ

مـــن نســـج فكـــرٍ مجهـــدٍ ســـاهرِ

كانـــت هـــراءً غـــافلاً لاهيـــاً

فمـــا لـــه فـــي العقـــلِ مـــن زاجـــرِ

لـــم تعنـــهِ الألفـــاظُ إن كســـرتْ

أو لـــم يكـــنْ للكســـرِ مـــن جـــابرِ

لـــم يعنـــهِ إلاّ الجحـــودُ الـــذي

يحـــسُّ فيـــه نشـــوةَ الظـــافرِ

مـــا ثـــرتِ يـــا فصـــحى ولـــم تعبئـــي

بالمـــارق المختـــالِ والنـــاكرِ

خلَّيْتِـــهِ فـــي غيـــهِ، مـــا لـــه

مـــن عـــاذلٍ أو معجـــبٍ عـــاذرِ

فـــالجوهرُ الخـــلابُ لـــم يكتـــرثْ

إمـــا ســـلتهُ مقلـــةُ النـــاظرِ

فهـــل يثيـــرُ الحـــزنُ غيثـــاً إذا

لـــم يلـــقَ فـــوق الصـــخر مـــن شـــاكرِ!

وهـــل يضـــيرُ البـــدرَ غـــيمٌ بـــدا

هنيهـــةً فـــي وجهـــه البـــاهرِ!

عمان ٢٠١١/١٠/١٦

الكون والإنسان

نظـــــرَ الكـــــونُ حولـــــه فتبســـــمْ
إذ رأى الحســـنَ معلمـــاً بعـــد معلـــمْ
بـــدتِ الشـــمسُ آيـــةً مـــن عطـــاءٍ
وبهـــا الأرضُ والـــورى تتـــنعمْ
وبهـــا الكـــونُ هـــزَّ بالتيـــهِ عطفـــاً
فهـــي أغلـــى مـــا كـــان أعطـــى، وأعظـــمْ
كـــان، قبـــلَ الإنســـان، يبـــدو حســـيراً
فـــي غيابـــاتِ وحشـــةٍ يتـــألمْ
وهـــو يصـــبو لمعجـــبٍ مســـتنيرٍ
ينتشـــي بالـــذي يـــراهُ، ويفهـــمْ
ليصـــيرَ الإعجـــابُ أصـــدقَ حمـــدٍ
لإلـــهٍ آياتـــهُ تـــتكلمْ
مـــن لشـــكرِ الزهـــور تســـخو لنحـــلٍ
برحيـــقٍ يصـــير شـــهداً، فـــيطعمْ!
مـــن لشـــكر الســـحاب ينهـــلُّ غيثـــاً
وعلـــى القفـــر، كالعطايـــا، يُقسَّـــمْ!
مـــن لشـــكرِ المســـاء والفجـــر لمـــا
لـــم يحيـــدا عـــن القـــدوم المحـــتمْ!
مـــن ســـيزجي للشـــمسِ حســـنَ ثنـــاءٍ
وهـــي بـــالخير والســـنى تتكـــرمْ!
غيـــرُ عُبّـــادِ بـــارئٍ ســـرمديٍّ
فرضـــاهُ لقانـــتٍ خيـــرُ مغـــنمْ
ظـــلَّ طـــرفُ الإنســـان يرنـــو ذهـــولاً
وانبهـــاراً، فـــالكونُ كالســـرِّ مـــبهمْ

فـــــامتطى علمــــــهُ ليرقـــــى ســــــماءً

بحجـــى طـــامح، وإيمــــانِ ملهـــمْ

فــــــالمجراتُ قــــد تهـــادت وقــــاراً

وبســــــعيٍ مقـــــــدرٍ تتقـــــــدمْ

لــــم ينـــلْ مـــن شـــبابها طـــولُ عمـــرٍ

فهـــيَ ليســت، بعــد الملايـــين تهـــرمْ

والنجـــومُ الوضـــاءُ لاحـــت عيونـــاً

غيــــرَ أنّ الكـــرى عليهــــا محـــــرمْ

وكـــــأنَّ الأفـــــقَ الملألــــئَ بُــــردٌ

مــــن بهـــاءٍ، وبــــالنجوم منمـــــنمْ

وهــــو ثــــوبٌ يبلـــى بنـــورِ نهـــارٍ

ولــــه جـــــدةٌ إذا الأفـــــقُ أظلـــــمْ

يــــا لكـــــونٍ جلالـــــهُ معجــــزاتٌ

فبهـــا الخـــالقُ المهـــيمنُ أقســـمْ

أيُّ قـــــدرٍ لـــــه بغيــــــر محــــبٍّ

طـــاف فـــي عـــالم الجـــلال، وحـــومْ!

حـــين تــــدعوه قـــــدرةٌ لخشـــــوعٍ

للـــــذي أبـــدعَ الوجـــودَ، وأحكـــمْ

ليــــرى روعـــــة النــــواميس فيـــــه

بيقــــينٍ، فلـــــم يعـــــدْ يتـــــوهمْ

ويضـــــيفَ النــــزرَ الجليـــلَ لنـــزرٍ

حســــــبهُ أنــــــه بــــه يـــــتعلمْ

ويـــرى فـــي الوجـــود أســـمى صـــلاةٍ

فبهـــا المـــؤمن ابتــدا ثـــم ســـلمْ

جـــــلَّ ربٌّ لــــــه تفــــردَ حــــبٌّ

هـــو أســـمى مـــن كـــلِّ حـــبٍّ، وأقـــدمْ

عمان ٢٠١١/١٠/١١

إنحناءات شامخة

جـــلَّ مـــن أبــــدع كونـــاً جملـــهْ
بنـــــواميسٍ وجـــــودٍ مذهلـــــةْ
وســــــماتٍ برأتهــــــا قــــــدرةٌ
مثلمــــا شـــاءت حـــروف البســـملة
لأريـــــــبٍ نابـــــهٍ مفتوحـــــــةً
ولغـــــرٍّ وجهـــــولٍ مقفلـــــــةْ
ذاك كـــــونٌ خالـــــدٌ فــــي آيــــهِ
يتحــــدى بــــالجلال الأخيلـــــةْ
تعجـــزُ الأفكـــار عـــن وصـــفٍ لمـــا
قــــد ســــباها، وتحـــار الأســـئلةْ
إنمـــا الأعجــــبُ فيهـــا خصـــلةٌ
لـــم تحـــدْ عـــن شـــأوِ خلـــقٍ أنملـــةْ
فـــانحنى الســـامي علـــى مـــا دونـــهُ
بـــالهوى والشـــوق حتـــى قبلـــهْ
فانعطــــافُ النــــور للزهــــر غــــدا
نعمـــةً مـــن آيِ جـــودٍ مجزلـــةْ
يحضـــن الزهـــرُ الســـنى منتشـــياً
ويحـــبُّ النـــورُ فيـــه موئلـــهْ
وهبـــوطُ النحـــل للكـــمِّ حبـــا
شـــرفاً للزهـــر لمـــا اســـتقبلهْ
راح يـــروي مـــن رحيـــقٍ غلـــةً
مثلمـــا يرتـــادُ صـــادٍ منهلـــهْ
وطـــوافُ المـــروَدِ الحـــاني بـــدا
منـــةً للطـــرف لمـــا كحلـــهْ

فبـــــه الأهـــــداب أضـــــحت أســــــهماً

لفـــــــؤادٍ مســــــــــتهامٍ مرســـــــــلةْ

وتهــــــاوي منجــــــلٍ مـــــــا لاح لـــــــي

غيـــــرَ رصـــــدٍ لانحنــــــاء الســــنبلةْ

حــــــطَّ عصــــــفورٌ عليهـــــا جائعــــــاً

بعــــــدَ أن صــــــارت بحَـــــبٍّ مثقلـــــةْ

لــــــم تخـــــفْ مـــــن زائــــــرٍ مســــــترفدٍ

أو تهـــــــبْ حصّـــــــادها أو منجلـــــــهْ

وانحـــــدارُ الطــــــود مـــــن ذروتـــــــه

خشـــــعةٌ لبـــــتْ نـــــداءَ الزلزلــــــةْ

لــــــم يحــــــدقْ فيـــــه ســــــفحٌ شـــــامتاً

بعـــــدَ أن قـــــوضَ خطــــــبٌ معقلـــــهْ

وعليــــــه الأرض ناحــــــت حســــــرةً

ولمـــــا قـــــد هـــــزهُ مســــــتهولةْ

وترامــــــــي ثمــــــرٍ مـــــــن غصــــــنهِ

هبـــــةٌ أهـــــدتْ لطيــــــر مأكلــــــهْ

ســـــــــاقهُ اللهُ مريئـــــــــاً طيبـــــــاً

فهـــــو رزقٌ ربـــــهُ قـــــد حللـــــهْ

ودنـــــوٌّ الســـــحبِ مـــــن وجــــه الثـــــرى

دعـــــــواتٌ لغيــــــوثٍ مقبلــــــــةْ

يشـــــرئِبُّ القفــــــر مـــــــن حرقتـــــهِ

شـــــاكراً لله مــــــا قـــــد أنزلــــــهْ

وانحنـــــــاءُ الأمِّ ترعـــــــى طفلهـــــــا

وهـــــو يشــــكو مـــــن ســــقامٍ أنحلـــــهْ

رحمــــــةٌ، قــــــد أحــــــرزتْ منزلـــــةً

لا تحاكيهـــــــا، بفضـــــــلٍ، منزلــــــةً

راح يبكـــــــــي، فغـــــــدتْ أناتهـــــــا

زفـــــــراتٍ راعشـــــــاتٍ معولـــــــةً

يــــــا لـــــدمع الطفـــــل لاقـــــى خـــــدها

وعليــــــه فــــــاض حتــــــى خضـــــــلهْ

ذاك خلــــــــــقُ الله يبقــــــــى كـــــــاملاً

فهـــــو إمـــــا شـــــاء خلقـــــاً كملـــــهْ

حـــــــاز كــــــلٌّ فطـــــــرةً مقـــــــدورةً

للــــــذي أوحـــــــتْ لـــــــه أن يفعلــــــهْ

وهــــو صـــــنعٌ لـــــم يجـــئْ مـــــن صـــدفةٍ

فتبــــــــدى لعلـــــــــيمٍ معضـــــــــلةً

إنمــــــا الحــــــيُّ يضـــــاهي جلمـــــداً

فـــي الـــذي قـــد نالـــه، فاســـتأهلهْ

فـــــأرى الزهـــــرةَ تحكـــــي نجمـــــةً

فـــــي ســـــماواتِ وجـــــودٍ موغلـــــةً

تلـــــك يبـــــدو عمرهـــــا مســـــتعجلاً

حـــــين تبـــــدو هـــــذه مســـــتمهلةً

كـــــلٌّ آي الكـــــون شُـــــدَّتْ بعـــــرى

وأعاجيــــــبَ لــــــربٍّ موصــــــلةً

فـــــأر ى الصـــــبحَ ســـــبيلاً للـــــدجى

وأرى الليــــــلَ لفجــــــرٍ أولــــــهْ

وأرى الأفـــــقَ صـــــديقاً للثـــــرى

كـــــم بنـــــورٍ وبغيـــــثٍ جللـــــهْ

وأرى البركـــــان شمســـــاً، خلتـــــهُ

لـــم يغـــادرْ فـــي لظاهـــا مرجلـــهْ

مـــــا عنـــــى أيـــــاً لعمـــــرِ موعـــــدٌ
إنْ يكـــــنْ أجلـــــهُ أو عجلـــــهْ
صـــــورٌ شـــــتى، ولكـــــنْ رســـــمتْ
صـــــورةً للكـــــون مثلـــــى مجملـــــةْ
فجلـــــتْ أمثلـــــةً عـــــن وحـــــدةٍ
لإلـــــهٍ، يـــــا لهـــــا مـــــن أمثلـــــةْ
وزعَ الشـــــعرُ عليهـــــا وصـــــفهُ
وهـــــواهُ، فحباهـــــا أنبلـــــهْ
فنـــــزول الشـــــعر مـــــن عليائـــــه
نغـــــمٌ جـــــاش بـــــألوان الولـــــهْ
بابتـــــداعاتِ خيـــــالٍ لبثـــــتْ
تســـــتحثُّ الفكـــــرَ حتـــــى رتلـــــهْ

عمان ٢٠١١/٥/٢٩

لماذا أحببت اللغة

منـــــذ الطفولـــــة هزتنـــــي معانيهـــــا
وإنْ تبـــــدتْ كـــــأحلام خوافيهـــــا
أعظـــمْ بهـــا لغـــةً تســـمو اللغـــاتُ لهـــا
ولـــيس ترقـــى إليهـــا فـــي تســـاميها
أحببتهـــا إذ غـــدت أمـــي تحـــدثني
عنهـــا، وتنشـــدُ آيـــاً مـــن أغانيهـــا
مـــاذا يحـــدثُ طفـــل وهـــو منبهـــرٌ
عـــن القـــلاد وقـــد شـــعَّتْ لآليهـــا!
مـــاذا يقـــول صـــبيٌّ الأمـــس عـــن آلـــقٍ
مـــن المعـــاني وقـــد شُـــقَّتْ دياجيهـــا!
عشـــقتُ منـــذ الصـــبا أبهـــى بـــدائعها
فرحـــتُ بالشـــغف الحـــاني أناجيهـــا
طفقـــتُ أســـأل أمـــي عـــن شـــواردها
بلهفـــةٍ لـــم يكـــن شـــوقي يـــداريها
وعـــن صـــروح مـــن الآيـــات باذخـــةٍ
الـــوحيُ مبـــدعها والشـــعر بانيهـــا
يـــا ســـعدَ حـــسٍّ طفـــوليٍّ هنئـــتُ بـــه
يصـــغي لأحلـــى حكايـــاتٍ فيرويهـــا
بـــه ترشـــفتُ، قبـــل الفكـــر، نفحتهـــا
كـــأن عطـــرَ ربيـــعٍ كـــامنٌ فيهـــا
عرفتهـــا مـــن دعـــاء الفجـــر تبعثـــه
أمـــي، وترجـــو بـــه رضـــوان باريهـــا
ومـــن تـــلاوة قـــرآنٍ تُســـهِّدُها
والأرض تغفـــو علـــى وجـــدٍ مغانيهـــا

فأشـــرقتْ كلِـــمُ الإعجـــاز فـــي خلـــدي

لمـــا مضـــيتُ بإيمـــاني ألاقيهـــا

كـــالنور يوغـــلُ فـــي أحشـــاء مظلمـــةٍ

ليســـتحيل لحوبـــاً دربُ ســـاريها

أظـــلُّ أذكـــر أمـــي فـــي ضـــراعتها

إذ المواجـــعُ فـــي جَنْبَـــيّ تفريهـــا

حبـــا لهـــا الحـــبُّ إيثـــاراً، فصـــيرها

مزنـــاً يهـــلُّ علـــى روحـــي فيرويهـــا

لمـــا هفـــا الليـــل لـــو طالـــت أصـــابعه

أمـــي، ليمســـح غيمـــاً فـــي مآقيهـــا

وقـــد صـــبا الـــنجم لـــو أعطـــى لهـــا أفقـــاً

عســـاه يســـعدها، فـــالأرض تشـــقيها

وكـــم تمنـــى ســـكونٌ لـــو بكـــى ألمـــاً

حتـــى يبـــثَّ أســـاها حـــين يبكيهـــا

رحمتهـــا وأنـــا طفـــلٌ ألـــوذ بهـــا

لكـــي أحـــوز حيـــاتي مـــن تفانيهـــا

كانـــت ضـــمادَ جراحـــي إذ تهدهـــدها

حتـــى ينـــام الجـــوى فيهـــا فيشـــفيها

رعيـــتُ دَيْنـــاً لأمـــي إذ شـــدوتُ لهـــا

شـــعراً، لعلـــي بهـــذا الشـــعر أرضـــيها

لهـــا ادخـــرتُ وفـــاءَ الحـــبِّ يمـــدحها

علـــيّ أكـــافئُ بعضـــاً مـــن أياديهـــا

لا الضـــادُ تنصـــفُ أمـــي فـــي نبالتهـــا

ولا بيـــانُ لغـــات الأرض يكفيهـــا

عرفـــتُ كيـــف يصـــير اللفـــظ معجـــزةً

يهزُّ سورةَ سقمي ثم يقصيها

ما أقربَ اللهَ للأم التي اقتربتْ

منه، وكان برحماهُ يواسيها!

أحببتُ في اسمي حروفاً إذ ترددها

أمي، كأني بها كانت تغنيها

عشقتُ ألفاظ أمي إذ تدللني

كأنها الشهدُ إما سال من فيها

ما زال في الروح بعضٌ من حلاوته

يمحو مرارةَ صابٍ في مآسيها

ما كان أحلى نداءً رقَّ من شغفٍ

وليس يعرف تزييفاً وتمويها!

أضحى تناسُقَ أنغام بأغنيةٍ

الحبُّ ناظمها والعطف شاديها

وقيل لي إنها تُنْمى إلى لغةٍ

غراءَ حاضرها يزهو بماضيها

وإن خيراً عميماً في تآلفها

فكم روائع ضاعت في تآخيها

وسرني أنني قد حزتُ أربعةً

من الحروف تغنتْ في أساميها

هويتُ كلَّ الذي باهتْ به لغةٌ

لما سباني جمال في معانيها

وحسبها أنّ قرآناً يكرّمها

وأنّ وحيَ بيانٍ كان يهديها

عرفتها لغةً عزتْ بمكتبةٍ

أرضي طماحي بها إما أوافيها

كـــــأنني كنـــــت آتـــــي روضـــــةً أنُفـــاً

لـــم أدرِ مـــن أيـــن أوجُ الحســـنِ يأتيهـــا

هـــذي كنـــوز ابـــي ليســـت تنافســـها

فنـــونُ علـــمٍ وفكـــرٍ أو تضـــاهيها

كانـــت بحـــاراً مـــن العرفـــان زاخـــرةً

وقـــد تماثـــل دانيهـــا وقاصـــيها

أبحـــرتُ فيهـــا، ولا ربـــانَ يرشـــدني

إلا الصـــبا بـــدؤوب العـــزم يطويهـــا

فاســـــتقبلتني بترحـــــابٍ غواربهـــــا

وعـــانقتني علـــى شـــوق شـــواطيها

مـــا كانـــت اللجـــجُ الهوجـــاء ترهبنـــي

ومـــا خشـــيتُ صـــدوداً مـــن موانيهـــا

مـــا أكـــرمَ الضـــادَ تعطينـــا فرائـــدها

إنْ نحـــنُ مـــن نفحـــات الـــودِّ نعطيهـــا!

يـــا ربَّ ســـاعةٍ إنصـــاتٍ لرائعـــةٍ

مـــرتْ كلمحـــةِ إيمـــاضٍ ثوانيهـــا

تقاســـــمتها أحاسيســـــي وأخيلتـــــي

ولـــيس عمـــريَ، مهمـــا طـــال، يفنيهـــا

لميعـــةِ العمـــر عـــذرٌ حـــين يخلبهـــا

شـــعرٌ بكـــل ضـــروب الحســـنِ يســـبيها

فـــإنّ أجمـــلَ مـــا أهـــواه فـــي لغتـــي

لفـــظٌ يظـــلُّ بإبـــداع يحليهـــا

يـــا للـــدواوينِ ســـهَّدْتُ الخيـــال بهـــا

إذ النهـــاراتُ غابـــت فـــي لياليهـــا!

ألبســـتها حلـــلَ الإعجـــاب خالـــدةً

قشـــيبةً، فزمـــاني لـــيس يبليهـــا

لـــم أدرِ أيـــن يكـــون الســـحر مـــدخراً

هـــل فـــي أعاجيبهـــا أو فـــي قوافيهـــا!

أو فـــي وجـــوهِ بيـــانٍ حينمـــا ائتلقـــتْ

كالغيـــد قـــد فتنـــتْ قلبـــي غوانيهـــا!

وكـــم ســـألتُ أبـــي عـــن لفظـــةٍ حرنـــتْ

وكنـــتُ أضـــنيتُ فكـــري فـــي تقصـــيها

ســـألتهُ عـــن معـــاني العـــين كيـــف غـــدتْ

جمعـــاً يشـــتتُ أفكـــاري ويضـــنيها

شـــتانَ مـــا بـــين مـــن تبـــدو لنـــا بصـــراً

ومـــن تجـــود علـــى أرض فترويهـــا

ومـــن لهمـــا فـــي حـــروف الضـــاد منزلـــةٌ

ومـــن هـــي الســـيد المعـــدودُ تنويهـــا

ومـــن هـــي الـــذات فـــي شـــيءٍ تؤكـــده

وهـــي النفيســـة فـــي عقـــدٍ ســـما تيهـــا

وغيـــر ذاك معـــانٍ لســـتُ أحصـــرها

ولســـت بالـــدأب المجهـــود أحصـــيها

مســـمياتٌ خلـــودُ الضـــاد خلـــدها

وللعروبـــة، بـــالإعزاز، ننميهـــا

عمان ٢٠١١/٢/٥

صورة أخرى للشمعة

رثيـــــتُ للشـــــمعة الشـــــماءِ تتقـــــدُ
شـــهيدةً فـــذةً لـــم يبكهـــا أحـــدُ
تـــــذوب صـــــابرةً لا تشـــــتكي ألمـــاً
ولا يـــرقُّ لهـــا غـــوثٌ ولا ســـندُ
رنـــتْ إليهـــا عيـــون الليـــل مشـــفقةً
فمـــا لشـــمع علـــى طـــول الـــدجى جلـــدُ
فقـــد تُبَـــدِّدُ بعضـــاً مـــن ديـــاجره
لكنهـــا فـــي خفايـــا غـــوره بـــددُ
لا غـــروَ إذ تنهـــل النيـــرانُ مـــن دمهـــا
إذا الشـــحوب طغـــى والســـقم والكمـــدُ
مـــا أشـــبه الشـــمع فـــي فضـــلٍ، بـــذي شـــممٍ
يحـــدوه للبـــذل إيثـــارٌ ومعتقـــدُ
كأنمـــا اللهـــبُ المســـعورُ، مـــن نهـــمٍ
أنيـــابُ ضـــارٍ، وأن الشـــمعة الجســـدُ
جَوْعـــانُ مـــا كـــان زاد الـــدهر يشـــبعه
ولـــيس يـــتخم ممـــا كـــان يـــزدردُ
أو أنـــه عاشـــقٌ هيمـــانُ يلثمهـــا
فيـــا لهـــا مـــن لظـــى التقبيـــل كـــم تجـــدُ!
أو أنـــه ســـيفُ حـــقٍّ غيـــرُ منغمـــدٍ
فعـــزةُ الســـيف تجلـــى وهـــو منجـــردُ
زهـــا، ومقبضـــهُ نـــارٌ تتوجـــهُ
يصـــول بـــالنور مـــا امتـــدت إليـــه يـــدُ
تكفيـــه ضـــربةُ حـــقٍّ إذ يســـددها
إلـــى جحافـــلِ ليـــلٍ، وهـــو منفـــردُ

لبثـــــتُ أرقيهـــــا والنـــــار تأكلهـــــا

وقـــد وفـــتْ بالـــذي كانـــت بـــه تعـــدُ

لـــم يبـــقَ منهـــا ســـوى أنضـــاءِ محتضـــرٍ

وخطوهـــــا ثابـــــتٌ للمـــــوت متئـــــدُ

ظلـــــتْ خشاشـــــةُ نـــــور فـــــي ذبالتهـــــا

والفجـــــر مقتـــــربٌ، والليـــــل مُبتعـــــدُ

كـــأنّ مـــا ســـال منهـــا عنـــد أخمصـــها

رمـــــادُ روحِ خبـــــتْ أو أنـــــه الزبـــــدُ

كـــم شـــمعةٍ بانقضـــاءِ العمـــر قـــد ذهبـــتْ

لكـــــنْ مآثرهـــــا أعمارهـــــا الأبـــــدُ

فهـــــذه شـــــهدتْ للشـــــعر مولـــــدهُ

والشـــعر جـــذلانُ مزهـــوٌّ بمـــا يلـــدُ

تـــرى الســـطورَ وقـــد حـــازت مواقعهـــا

علـــى الطـــروس، وشـــمل الشـــعر محتشـــدُ

لـــم يخشـــها الليـــلُ أو يرهـــبْ تألقهـــا

فلـــــيس بينهمـــــا حقـــــدٌ ولا لـــــددُ

كـــــلٌّ لـــــه العمـــــر ســـــاعاتٌ محـــــددةٌ

وينقضـــي العمـــر إمـــا ينقضـــي الأمـــدُ

إنْ كانـــــت الشـــــمعة الشـــــماءُ فانيـــــةً

فســـوف يـــأتي بـــآلاف الشـــموع غـــدُ

سلمى / اللاذقية

٢٠٠٦/٨/٢٨

قطرة ماء تتحدث

وعيــتُ بــأمرِ اللهِ مــا فــات مــن عمــري
فقـد شـاء لـي ربـي خلـوداً علـى الـدهرِ
كمــا شــاءني ســراً لآيــةِ قــدرةٍ
وأعظـمْ بمـا فـي قـدرة اللهِ مـن سـرِّ!
فمــن نقطتــي روحُ الحيــاة وبــدؤها
وحشــدُ ملايينــي غــدا عــزةَ البحــرِ
تبــاركَ مــن أغنــى الحيــاةَ بفطرتــي
فخلـد لـي فضـلي، وعظـم لـي أمـري
فأرســمُ حســنَ اللــونِ فــي كــمِّ زهــرةٍ
وأغــدو رحيقــاً فــي تلافيفهــا يســري
وأوقــظُ فــي معيادهــا مقلــةَ الشــذى
لتســعى بــه الأنــام بالطيــب والنشــرِ
ولــي صُــورٌ فــي الخلــق شــتى جليلــةٌ
ولكــنْ تســاوت فــي التــألقِ والقــدرِ
وكــلٌّ لــه مــن فطــرة المــاء محتــدٌ
شــفيفٌ، وتجلــوه وجــوهٌ مــن الســحرِ
كــروضٍ نــرى فيــه روائــعَ زهــرهِ
ولسـنا نـرى مـا كـان فيـه مـن العطـرِ
فآنــاً أرانــي ذبــتُ فــي لــجِّ نبعــةٍ
فــأزهو بــأن أنمــى إلــى المنهــل الثــرِّ
وقــد أمَّــهُ أهلــي عطاشــاً، فخلتنــي
أهــزُّ لهــم عطفــيَّ بــالعزِّ والفخــرِ
مضــى الياســمينُ الغــضُّ يرشــف هانئــاً
فـزاد اخضـلالُ الزهـر فـي الفَـتنِ النضـرِ

وأحســـــبُ أن الــــدوحَ بـــــالريِّ راعــــشٌ
وأن الثــرى قــد مــاد مــن نشــوةِ الجــذرِ
وتـــــأوي إليـــــه صــــــادحاتٍ طيـــــورهُ
وقــد رويــتْ قبــلَ الخلــود إلــى الــوكرِ
ولكــم لحــتُ إذ أصــحو علــى ثغــرِ زهــرةٍ
شــروقَ ابتســامٍ ضــاء لمحــاً علــى الثغــرِ
تمنيــــتُ لــــو طــــال المقــــامُ لعلنــــي
أرى في الشذى والحسنِ بعضاً من الأجرِ
وآونــــةً أبــــدو علــــى الصــــخر نبضــــةً
تجــيش بهــا مــن رقــةٍ مهجــةُ الصــخرِ
فتصــــــبحُ بــــــالتردادِ رفــــــداً لجــــــدولٍ
فتســـعدهُ الأزهـــار بالحمـــد والشـــكرِ
وحينــــاً أرانــــي ذرةً فــــي ســــحابةٍ
ترشَّــفَها ثغــرُ الســماء مــن البحــرِ
فأضــرعُ لــو صــبتْ علــى الأرض غيثهــا
لتشــربَ مــن تســكابه غلــةُ القفــرِ
فتــــرتعتش البيــــداءُ تزجــــي دعاءهــــا
لــربٍّ حباهــا جــودهُ نعمــةَ القطــرِ
وأكبــرتُ مــن قــد أيَّــدَ الصــبرُ عزتهــا
وجــلَّ الــذي شــدَّ العــزائمَ بالصــبرِ
تخيلــتُ أنــي، حــين شــحَّتْ ســحابةٌ
أشــاطرها الإحســاسَ بــالإثم والــوزرِ
إذا صــرتُ فــي أســر النــدى عبــر ليلــةٍ
تمنيــتُ أنــي لا أفــرُّ مــن الأســرِ
فتحضــــنني كــــفُّ الضــــياء هنيهــــةً

لأرقــبَ فــي أحضــانها طلعــة الفجــر

ومــا ضــارني أنــي مــن البحــر قطــرةٌ

وأنْ كـان بـي، مـن رفعـة القـدر، لا يـدري

فقــد كــان حســبي أن أخــالط لجــةُ

لأســعدَ بالقيعــان تســعدُ بالــدرِّ

ولســتُ أحــسُّ الضــعفَ إذ أنــا قطــرةٌ

فلـي مـن حشـودي مـا توخيـتُ مـن أزر

فــإن ملايينــي بحــبٍّ تآلفــتْ

لتصــنع مــن تجميعهــا روعــةَ النهــر

تشــقُّ لهــا دربــاً بإيحــاء خــالقٍ

فيرنـو الثـرى المبهـور للنهـر إذ يجـري

وتســتقبل الأرضُ انســيابَ فراتــه

بــأبهى أســارير البشاشــة والبشــر

فــأحرزتُ عــزاً مــن تجمــع إخــوتي

وأسـعدني الإغـداقُ مـن نخـوة اليُسـر

ولــيس عجيبــاً أن أجــودَ، فــإنني

ببـذلي ومـا قـد فـاض مـن إخـوتي، أقـري

ومــا أجمــلَ الجــودَ الــذي صــار قسـمةً

يضـافُ بـه النـزر النبيـل إلـى النـزر!

فكــم كنــتُ للبــاكين دمعــة رحمــةٍ

تَهَــوِّنُ مــا عــانوهُ مــن وطــأةِ الضــرِّ

كــأني ضــمادٌ للمهــيضِ أجســهُ

لأبعــثَ فــي أوصــاله نشــوةَ الجبــر

وربَّ دواءٍ، فيــه أصــبحتُ نقطــةً

ومــن ألــمٍ طــاغ ومــن علــةٍ يبــري

ومـــــا عابــــــهُ أنْ مازجتــــــهُ مـــــرارةٌ
فـــربَّ شـــفاءٍ تـــمَّ مـــن مطعـــمٍ مـــرِّ
شـــقيتُ بخطـــبِ الأرضِ مـــن بغـــي عـــالمٍ
مـــن الجشـــع المســـعور والجـــور والقهـــرِ
ألا ليــــــتَ أهـــــلَ الأرض منـــــي تعلمـــــوا
ســــماحة إيثـــــارٍ بـــــريءٍ مـــــن الكبـــــرِ
وكيـــف أحيـــي التـــربَ والعشـــبَ والحصـــى
وكيـــف أبـــثُّ الـــودَّ للشـــوكِ والزهـــرِ
فلـــيس يمـــلُّ العشـــبُ مـــن صـــحبة الحصـــى
ولـــيس يـــذلُّ الشـــوكُ للزهـــر بالعـــذرِ
فليــــــتَ ملايــــــين الأنــــــام تــــــآلفوا
لكـــي ينعمـــوا مثلـــي بـــدنيا مـــن الطهـــرِ
لكـــي يلبـــثَ الحـــقُّ المبـــين مظفـــرا
مصـــوناً بـــلا ســـلبٍ، أبيّـــاً علـــى الغـــدرِ
عمان ٢٠١١/٢/٧

مع عندليب

يـــا للحـــونِ العـــذابِ قـــد طمحـــتْ
لأوج إبـــــداعها، ومــــا برحـــــتْ
فأطفـــــــأتْ غلــــــةً حلاوتهــــــا
وكـــم جليـــل مـــن الشـــجون محـــتْ
أصـــغتْ لهـــا فـــي الصـــباح نســـمتهُ
وفـــي خضـــمٍّ مغـــرد ســـبحتْ
ســـعتْ بـــأبهى اللحـــون تطرحهـــا
فـــراح ســـمعي يلـــمُّ مـــا طرحـــتْ
وقبـــلَ أذنـــي هفـــا لـــي خلـــدي
وفـــي حنايـــا خـــوالجي صـــدحتْ
يبثهـــــا العنـــــدليبُ منتشـــــياً
ســـيانِ إمـــا بكـــت وإنْ فرحـــتْ
أبصـــــرتُهُ واقفـــــاً علـــــى فـــــنَنٍ
ونســـمةُ الصـــبح حولـــه مرحـــتْ
فـــي دوحـــةٍ كالصـــروح باســـقةٍ
تكللـــــتْ بالضـــــياء واتشـــــحتْ
طفقـــتُ أرنـــو وخـــاطري عجـــبٌ
والعـــينُ مفتونـــة بمـــا لمحـــتْ
أحسســـتُ نفســـي غـــدت ببهجتهـــا
كأســـاً بشـــهد الحبـــور قـــد طفحـــتْ
يظـــلُّ منهـــا الشـــعورُ مرتشـــفاً
والـــروح نشـــوانة بمـــا منحـــتْ
حســـبتُ أمســـي أمَّحـــتْ مواجعـــه
وأن أيـــام أنســـهِ وضـــحتْ

فموكـــــب الـــــذكريات أرجـــــعَ لــــــي
طفولــــــةً كنـــــتُ خلتهـــــا مُسِـــــحتْ
مضـــــت تبـــــثُّ الحيـــــاة فـــــي خلـــــدي
فكـــــلُّ أفـــــراح أمســـــيَ اتضـــــحتْ
ذكـــــرتُ عهـــــداً ســـــمتْ براءتـــــهُ
طهـــراً، وعمـــن أســـاء قـــد صـــفحتْ
ولاح لـــــي عـــــالمٌ شـــــغفتْ بـــــه
فهـــزّ أســـمى مشـــاعري، فصـــحتْ
أهـــــاب بـــــي حســـــنهُ لأدخلـــــهُ
فكـــــلُّ أبـــــواب ســـــحره فتحـــــتْ
كـــــأنّ قيثـــــارةً ترحـــــبُ بـــــي
والـــنفس مـــن حســـنِ شـــدوها انشـــرحتْ
أوتارهـــــا حـــــرةٌ فقـــــد ظفـــــرتْ
بســـــاعة للصـــــداح إذ ســـــنحتْ
عشـــــقتُ أنغامهـــــا فقـــــد ســـــجعتْ
أحلـــــى التراتيـــــل حينمـــــا جمحـــــتْ
حينـــــاً أظـــــنُّ اللحـــــونَ شـــــاكيةً
كأنهـــــا مـــــن مـــــواجعي نضـــــحتْ
ومـــــرةً تـــــنفح الســـــرورَ بمـــــا
تشـــدو، وقـــد فـــاخرتْ بمـــا نفحـــتْ
فنغمـــــةٌ تنكـــــأ الجـــــراح بهـــــا
ونغمـــــةٌ ضـــــمدتْ إذا جرحـــــتْ
وغيرهـــــا إذ غناؤهـــــا ضـــــحكٌ
وربَّ أخـــــرى دموعهـــــا ســـــفحتْ
لكـــــنْ ســـــمعتُ الفضـــــول يســـــألني
فـــالنفس كـــم للفضـــول قـــد جنحـــتْ:
هـــــل جـــــاءني العنـــــدليب مـــــن قفـــــصٍ
فـــي لحظـــة بـــالفرار قـــد ســـمحتْ!

صـــــــبا لحريـــــــة الحيـــــاة غـــــدتْ

بغيــــــــر روح، كأنهــــــا ذبحـــــــتْ

لكنهـــــــا لا تمـــــــوت إنْ لحبـــــــتْ

لهــــا دروب الرجـــــاء، وانفســـــحتْ

أو جـــــاء مــــــن مــــــوطنٍ، عنادلـــــه

فـــي وارفـــات الريـــاض قـــد ســـرحتْ!

تــــودع النــــورَ فـــــي المســـاء كمـــا

تهـــشُّ إمـــا بفجـــــره اصــــطحبتْ

ســـمعتُ صـــنوَ الصـــداح فـــي وطـــنٍ

عنـــه رفـــوف الطيـــور قـــد نزحـــتْ

لـــم تـــنسَ مـــا أنـــزل الزمـــانُ بـــه

ومـــا جنتـــهُ الخطـــوب واجترحـــتْ

مـــا قـــــدرُ حريـــــةٍ إذا زجـــــرتْ

هونـــاً، ومـــا قـــدرها إذا كبحـــتْ

عمان ١٢/٥/٢٠١٠

الوعد الخالد

عـــديني بلقيـــا ثـــم لا تنجـــزي الوعـــدا
فحســـبيَ منـــه أننـــي أرقـــبُ الســـعدا
ليهنـــأ قلبـــي حـــين يرضـــى بيأســـهِ
إذا مـــا تحـــدى الهجـــرَ والبعـــدَ والصـــدا
فظلـــــي بآفـــــاق الرجـــــاء ســـــحابةٌ
جهامـــاً ترينـــي البـــرقَ تتبعـــهُ الرعـــدا
فطـــولُ التمنـــي نعمـــةٌ مســـتطابةٌ
تســـعرُ فـــيَّ الشـــوق أو تلهـــبُ الوجـــدا
ثلاثونـــكِ الغـــراء كيـــف أضـــمها
فـــإنّ ثمـــانيني ســـتغدو لهـــا لحـــدا
ســـألبثُ مـــأخوذاً بعُـــرْيِ حقيقـــةٍ
فمـــا نســـجتْ أوهـــامُ وعـــدٍ لهـــا بـــردا
كشـــطٍّ تمنـــى شـــوقهُ حفـــظ مـــدهِ
وأنَّـــى لهـــذا الشـــطِّ أن يحفـــظ المـــدا!
ومـــا أنـــا إلا دوحـــةٌ شـــاخ عمرهـــا
فـــلا يخـــدعنكِ الجـــذعُ فيهـــا قـــد امتـــدا
فمـــا امتـــدَّ إلا مـــن تكـــاليف صـــبره
لكـــي تحســـبيه امتـــدَّ فـــي البـــأس واشـــتدا
وأجمـــلُ مـــا فـــي العمـــر وعـــدٌ مســـوفٌ
يعللنـــي دهـــراً، فأعشـــقه رصـــدا
ربيعـــكِ يـــا حســـناءُ لـــيس بمرجـــع
ربيعـــي، فـــإن الشـــوكَ لا ينبـــتُ الـــوردا
يـــراكِ افتتـــاني يـــا جميلـــةُ طفلـــةً
فيغـــبطُ إعجـــابي وقـــد أصـــبح المهـــدا

لأغـــدوَ فـــي عينيـــك كـــالحلم عـــابراً

فمـا شـئتُ فـي عينيـك أن أصـبح السـهدا

فـــلا تظلمـــي شـــهدَ الشـــباب لترشـــفي

مـــرارة عمـــري إذ تظنينهـــا شـــهدا

وظلـــي علـــى أملـــود عمـــركِ زهـــرةً

وكـم قـد زهاهـا أن تضـوعَ وأن تنـدى

يحـــطُّ عليهـــا النـــورُ فـــي الفجـــر عاشـــقاً

فينثـــى إذا مـــا قبـــل الثغـــرَ والخـــدا

فلـــم ترهـــا إلا النجيمـــاتُ شـــئنها

إلـيهنَّ ترقـى الأفـقَ كـي تكمـلَ العقـدا

فأنـــتِ لعقـــد الحســـنِ أروعُ درةٍ

تبـاركَ مـن أعطـى وسـبحان مـن أهـدى

وجـــلَّ الـــذي بعـــد الثمـــانين زادنـــي

وصـيرني بالشـعر أزجـي لـه الحمـدا

أظـــلُّ كمـــا شـــاء القضـــاءُ أعُـــدُّها

صـبوراً، فـإني مـا نسـيتُ لهـا عـدا

أجـــلُّ ثمـــانيني وأرعـــى إباءهـــا

وقـد حـازت الإيمـان والصـبر والرشـدا

عمان ٢٠١١/٨/٥

هنيهات تَأَمُّل

أنـا ضـيفُ مأدبـةٍ مآكلهـا تعشـقها الضـيوفْ
فيها المريءُ المستساغُ من المطاعم والصنوفْ
وضـيوفها أشـتاتُ أفكـارٍ حواليهـا تطـوفْ
ألفاظهـــا جــوعى علـــى
أشـــهى أطايبهـــا عكـــوفْ
وتلـوح كالأطيـار أسـرابُ القـوافي فـي رفـوفْ
قـد أزلفتهـا الضـادُ كـالكرم المحمـل بـالقطوفْ
لاحـــت كـــأخلاط الـــرؤى
غـــراءَ فاتنـــةَ الطيـــوفْ
ورنـتْ إلـى زوارهـا الأحبـاب بـالطرف العطـوفْ
كالنحـل إذ يرنـو بشـكرانٍ إلـى الزهـر الـرؤوفْ
أو كالسـنابل وهـيَ عنـد النضـج شـامخةُ الأنـوفْ
راقــت بــألوان البيــان لكــلِّ مفتــونٍ شــغوفْ
ويلـوح فيهـا الشـعر شمساً لا يحيطُ بهـا كسوفْ
فيــه المعــاني كــالغواني رافـلاتٌ فــي الشـفوفْ
أنــــا فـــي حــــروف قصـــيدةٍ
مـــا زدتُ عـــن أحـــد الحـــروفْ
أو أنني قلـمٌ تحـدَّى مـا تجـيءُ بــه الصـروفْ
يفنـــــى، ولكـــــنْ ســــطرهُ
ليســـتْ تبـــددهُ الحتـــوفْ
قـــد تصـــنع الأقـــلامُ مـــا
قـــد قصَّـــرَتْ عنـــه الســـيوفْ

عمان ٢٠١١/٨/١٦

تسابيح خلوة

أحـــــبَّ شـــــعري حـــــلاوة الســـــهر
فهـــيَ العـــزاءُ الـــرحيم فـــي الكبـــر
أنســــتهُ مــــا مـــــرَّ مـــــن مرارتـــــه
بمـــا جـــلاه الخشـــوع فـــي الســـحر
هشـــــــتْ لـــــــه خلـــــوتي مرحبـــــةً
وقـــــد أتـــــى بالخيـــــال والصـــــور
فأســـــــعدتهُ بـــــــأنسِ عزلتـــــــه
بغيـــــر مـــــا وحشـــــةٍ ولا كـــــدر
فـــــي ليلـــــةٍ لـــــم تعـــــدْ مباليـــــةً
بطـــــول ســــــاعاتها أو القصـــــــر
غـــاب الزمـــانُ اللـــدود عـــن خلـــدي
ومـــا لـــه فـــي الشـــعور مـــن أثـــر
فماثلـــــــتْ فيـــــــه كـــــــلُّ ثانيـــــــةٍ
أعمـــارَ مـــا قـــد مضـــى مـــن العصـــر
خلـــــتُ الثمـــــانين غـــــادرتْ جســـــدي
وأســــــلمتني لرحمـــــــة القـــــــدر
فرحــــــتُ أدعـــــو الإلـــــهَ أســـــألهُ
ســـــعادةً فـــــي حشاشـــــةِ العمـــــر
قـــــرآنُ فجـــــري غـــــدا يصـــــاحبني
فأنتشــــي مــــن بيانــــه العطــــر
عســـى خريـــفَ الحيـــاة يرجـــعُ لـــي
مـــا قـــد طـــواه الربيـــع مـــن زهـــر
فـــي واحـــةٍ مـــن تعبـــدٍ وتقـــىً
يصـــبو إليهـــا دعـــاءُ منتظـــر

ربـــــي بآياتـــــه، تحـــــسُّ بـــــه
بصـــــيرتي قبـــــلَ لهفـــــةِ البصـــــر

أراه فـــــي مـــــا اســـــتطاعه نظـــــري
وفـــي الـــذي قـــد نـــأى عـــن النظـــر

وفـــــي قضـــــاءٍ، بـــــأمر خالقـــــهِ
محجـــبٍ فـــي الغيـــوب، مســـتتر

جـــلّ الـــذي صـــانه وكتمـــهُ
بمـــا احتـــوى مـــن فواجـــع الغيـــر

ذراتُ طينـــــي أراد فاطرهـــــا
لهـــا نقـــاءَ النفـــيسِ مـــن درر

أعطـــى لهـــا بـــالحجى هـــدايتها
لمـــا تضـــمُّ الحيـــاةُ مـــن عبـــر

حتـــى أرى كنههـــا وجوهرهـــا
وطهرهـــا بـــالفؤاد والفكـــر

فلـــم يشـــأها تضـــلُّ فـــي عمـــهٍ
إنْ فاتهـــا أنهـــا علـــى ســـفر

فـــربَّ حكـــمٍ طغـــتْ بـــه قمـــمٌ
مـــن طغمـــةٍ، فانتهـــت إلـــى الحفـــر

عمان ٢٠١١/٨/١٨

العمر والقدر

عمـــري صـــحارى لا تبـــينُ ســـبيلا

لبُلـــوغ شـــأوٍ، أو تعـــينُ دلـــيلا

وأظـــلُّ أطـــوي بالضـــنى فلواتهـــا

علـــيّ أرى بعـــد الهجيـــر مقـــيلا

فـــإذا، علـــى ظمـــأٍ، قطعـــتُ مفـــازةً

ألفيـــتُ أخـــرى لا تبـــلُّ غلـــيلا

أدري بـــأني جاهـــلٌ قـــدري الـــذي

ســـيدوم فـــي الغيـــب الجليـــل جلـــيلا

أســـعى إليـــه وهـــو يـــربض خافيـــا

لا يعـــرف التأجيـــلَ والتعجـــيلا

إذّ أنـــه يســـعى إلـــيَّ مســـيراً

ومقـــدراً لا يضـــمر التنكـــيلا

هـــو لـــم يكـــنْ يومـــاً عـــدواً حاقـــداً

أو صـــاحباً يرعـــى الـــوداد، خلـــيلا

فلقـــد حبـــاه الله فطـــرةً طـــائعٍ

لا يســـتطيع لفطـــرةٍ تبـــديلا

مـــا كـــان يشـــقى إنْ أطـــاح بيـــافعٍ

أو كـــان يســـعدُ إنْ أصـــاب علـــيلا

ويظـــلُّ يرقبنـــي بهمـــةِ راصـــدٍ

حتـــى يهـــيءَ للحيـــاة رحـــيلا

يخفـــي لـــيَ الضـــدين: حســـنَ عطائـــه

وشـــقاءَ عمـــرٍ كالســـقام، وبـــيلا

لـــم ألـــقَ تفســـيراً لـــه فـــي قســـوةٍ

أو ألـــقَ فـــي عطـــفٍ لـــه تـــأويلا

إلا بحكـــــم مشـــــيئةٍ أوحـــــتْ لـــــه

ليفـــيضَ رفـــداً، أو يكـــون بخـــيلا

لـــم يـــنسَ أنـــي فـــي الثمـــانين التـــي

ضـــنيت علـــى درب الشـــقاء طـــويلا

كـــم ودعـــتْ جـــيلاً بلوعـــة موجـــع

ورعـــتْ بـــأفراح التفـــاؤل جـــيلا

قدســـتُ مـــن جعـــل التبـــاين آيـــةً

فنـــرى لمـــا يقضـــى بـــه تعلـــيلا

فـــالزهر يحيـــا، تـــارةً، فـــي قفـــرةٍ

ويعـــيش، حينـــاً، فـــي الجنـــان نـــزيلا

يبقـــى، علـــى الحـــالين، يشـــكر ربـــهُ

بأريجـــهِ حتـــى يلـــوحَ جمـــيلا

جـــلَّ الـــذي أعطـــى لعمـــري مهلـــةً

ولـــه أبـــثُّ الحمـــدَ والتبجـــيلا

وحنـــا، فـــأبرأ خـــافقي مـــن غلـــهِ

فبـــه ســـيغدو قـــاتلاً وقتـــيلا

وأزاح فـــي الإدلاج عنـــي ظلمـــةً

لمـــا جعلـــتُ مـــن الهـــدى قنـــديلا

وأعـــان ألســـنةَ البيـــان لشـــكره

حتـــى ولـــو كـــان العطـــاء قلـــيلا

عمان ٢٠١١/٨/١٩

تساؤل

سـلا الطفـلُ مـا كـان مـن أمسـهِ
وكـلَّ الـذي حـاز مـن أنسـهِ
ومـلَّ الصـبيٌّ أناشـيدهُ
ومـا كـان أحـرز مـن درسـهِ
وضـاق الفتـى بوعـود المنـى
ومـا أيقـظ الحسـنُ فـي حسـهِ
وغـاب ربيـعُ الشـبابِ بمـا
أهـاج ونضـرَّ مـن غرسـهِ
رنـا الشـيخُ، مـن حسـرةٍ، باكيـاً
عهـوداً تقـودُ إلـى رمسـهِ
وحـار لمـنْ، يـا تُـرى، ينتمـي
ومـا زال يبحـثُ عـن نفسـه!

عمان ٢٠١١/٨/٢٢

حينما يصبح الصبر ذلَّة

نســـــيتُ بســــــهدي لذيـــــذَ الكــــرى
وطــــــاب لشـــــجويَ أن يســــــهرا
فلـــــــــذتُ بشـــــــعري وأنغامـــــــــهِ
فصــــــيرتهُ للجـــــوى مزهـــــــرا
أُســـــــــــرٌ لأوتـــــــــارهِ لــــــــــوعتي
فتســـــــعدُ بالســــــرِّ أن ينشــــــرا
ومــــــا أجمــــــلَ الســــرَّ إمــــا شـــدا
وبـــــثَّ أســــــاه بمــــــا أخبـــــرا!
وحينـــــــــــاً أهدهـــــــــدهُ صـــــابراً
وأدعــــــو اللـــــــواعجَ أن تصـــــبرا
وأكســــــو الأســــاريرَ فـــــي غمِّهـــــا
ببشـــــــرٍ لأبـــــــدوَ مستبشـــــــــرا
وأعلـــــــــمُ أنـــــــــي بــــــــه واهـــــمٌ
فقـــــد زيَّــــف الحــــسَّ والمظهـــــرا
ونمــــــقَ لــــــي صـــــوراً مــــن رؤىً
لأزجـــــيَ شـــــكري لمــــا صـــــورا
ومــــا أوضـــعَ الشـــكرَ مــــن صــــابرٍ
دعـــــاه الهـــــوانُ لأن يشـــــكرا
فيرجـــــفُ، مـــــن ســــخطهِ، مزهـــــري
وينفـــــثُ بركــــــانَ مــــــا أضـــمرا
وأعجـــــــــبْ بألفـــــــاظِ أنشــــــودةٍ
تصـــــيرُ الخطـــــوبُ بهـــــا أصـــــغرا!
وكنـــــــتُ بطــــــول اصــــــطباري أرى
عظـــــامَ الكـــــروب بـــــدتْ أكبـــــرا
ففـــــي الصـــــبر، مهمــــا ســـــما، ذلـــــةٌ

يكـــــادُ بهـــا الحــــقُّ أن يهـــــدرا

ومــــا أشـــبهَ الصــــبرَ فـــي عقمــــهِ

بشــــــوكٍ يحـــــاول أن يزهــــــرا

ويلبــــــثُ فـــــي ظنـــــه ســــادراً

فكيـــــف إذا شـــــاء أن يثمــــــرا!

إذا الحــــــقُّ لــــــم يحمـــــهِ حاضــــرٌ

بنصـــــرٍ، فهيهـــــات أن ينصــــــرا

ومـــــا الشـــــعر إلا أســـــىً شـــاهدٌ

دهشْـــــهُ الفواجــــعُ ممــــا يــــرى

عمان ٢٠١١/٨/٣١

حقيقة الدنيا

دنيـــــايَ أمٌّ نمـــــتُ فــــي حضـــــنها
كـــي تســـتريحَ الـــروحُ فـــي أمنهـــا
وكـــــي تقـــــرَّ الــــــنفسُ فـــــي دفئهـــــا
كمـــا تقـــرُّ الطيـــر فـــي وكنهـــا
عرفتهــــا طفـــــلاً وبـــــي صـــــبوةٌ
للهـــو، ضـــيقُ الـــرزق لـــم يثنهـــا
ظننتهــــا تحنـــــو علـــــى طفلهـــــا
بـــالراحم المـــوار مـــن عونهـــا
أغـــربْ بهـــا أمـــاً غفـــا حســـها
فلـــم يهجهـــا شـــوقها لابنهـــا
هـــمٌّ الـــورى مـــا كـــان مـــن همهـــا
وشـــأنهمْ مـــا كـــان مـــن شـــأنها
فقـــــد رأتْ قبلـــــي ملايينهـــــا
مـــروا كعمـــر اللمـــح فـــي عينهـــا
مـــا زدتُ عـــن مســـترفدٍ جـــائعٍ
يرجـــو نـــوالَ الرفـــد مـــن منّهـــا
أو كالهبـــاء الممتطـــي ريحـــهُ
فـــي رحلـــة المجهـــول لـــم يعنهـــا
الجـــودُ تعطيـــه بـــلا بهجـــةٍ
فـــي غفلـــةٍ بلهـــاءَ مـــن ضـــنها
والشـــرُّ مثـــلُ الخيـــر إمـــا بـــدا
فـــي خصـــمها، أو لاح فـــي خـــدنها
تضـــاربَ الضـــدان فـــي فطـــرةٍ
تضـــاربَ الأهـــواء فـــي ظنهـــا

فصـــــار معنــــــى الخيــــــر أســـــــطورةً

تباعـــــدَ التصـــــديقُ عــــــن صــــــونها

وغـــــاب إثـــــمُ الشـــــرِّ عـــــن وعيهـــــا

وغـــــاب مــــا يعنيــــهِ فـــــي ذهنهـــــا

حســـــــبتها قـــــــد أصـــــــبحتْ دوحـــــــةً

تختـــــال مـــــن حســـــنٍ علـــــى كونهـــــا

وخلتنـــــــي فـــــــي زهوهـــــــا زهـــــــرةً

عـــزتْ علـــى الأملـــود مـــن غصـــنها

إذا بهـــــــا قـــــــد صـــــــوَّحتْ، فأمَّـــــــحى

بهاؤهـــــا، والفـــــدُّ مـــــن لونهـــــا

أو أن أراهـــــا مثـــــلَ خـــــودٍ مضـــــتْ

تجلـــو لـــيَ الخـــلابَ مـــن حســـنها

ومـــــــرةً كالمســـــــخ فـــــــي قبحهـــــــا

تبـــدي لـــيَ المخبـــوءَ مـــن ضـــغنها

وقـــــــد أراهـــــــا، تـــــــارةً، صـــــــخرةً

صـــماءَ يخبـــو الرعـــد فـــي أذنهـــا

فرجفـــــــة الزلـــــــزال لـــــــم تضـــــــنها

وســــورةُ البركــــان لــــم تُفنِهــــا

الله قـــــــد أخفـــــــى نواميســـــــها

كـــي نجهـــلَ المقـــدورَ مـــن حَيْنهـــا

وكـــــــم تبـــــــدى عطفهـــــــا غيمـــــــةً

ضـــنتْ بمـــا أرجـــوهُ مـــن مزنهـــا

ظللـــــتُ أهـــــوى الصـــــدقَ فـــــي وعـــــدها

حتـــى ســـمعتُ المطـــلَ مـــن مينهـــا

ظننتهـــــــا جياشـــــــةً بالأســـــــى

حتـــى تبـــدى الزيـــفُ فــــي حزنهـــا

ديــــــنٌ عليهـــــا قـــــوتُ أبنائهـــــا

هيهــــاتَ أن تنفـــكَّ مــــن دينهـــا

لكنهــــــا تعطيـــــــهِ مختالــــــــةً

فمـــــن سُـــمُوِّ النبـــل لـــم يـــدنها

أودعتهـــــا شــــــيخوخةً أصــــــبحتْ

ومضـــاً لرؤيـــا العمـــر فـــي جفنهـــا

أنفـــتُ بـــؤسَ الـــروح فـــي أســـرها

حتـــى مللـــتُ العـــيش فـــي ســـجنها

غـــداً ســـتنأى عـــن حمـــى دارهـــا

كأنهــــا بــــالأمس لــــم تبنهــــا

عمان ٢٠١١/٩/٥

حديث عن كوكبنا

مـــــا أروعَ الأرضَ موضـــــوعاً وعنوانـــــا
والشـــــعر يعـــــرض إيضـــــاحاً وتبيانـــــا!
جـــــلَّ الـــــذي إنْ جـــــلا برهـــــان آيتـــــهِ
جـــــلا بثانيـــــةٍ غـــــراءَ برهانـــــا
تســـاءل الفكـــر فـــي الماضـــين مـــن دهـــشٍ
عـــن كنـــهِ أرضٍ فظـــلّ الفكـــر حيرانـــا
فهـــل أتـــتْ مـــن ســـموات الوجـــود، فمـــا
نرقـــى لعالمهـــا علمـــاً وعرفانـــا!
أو إنهـــا فلـــذةٌ مـــن نجمهـــا انســـلختْ
فأصـــبحتْ عالمـــاً بالروعـــة ازدانـــا!
أو الجـــذاذةُ مـــن كـــونٍ يفـــحُّ لظـــىً
صـــارت ترابـــاً، ومنـــه الله ســـوانا!
فيـــه المقـــامُ، ومنـــه الـــرزق طـــاب لنـــا
وفيـــه إنْ حمـــتِ الآجـــالُ مثوانـــا
أو إنهـــا فـــي غمـــوض الخلـــق معجـــزةٌ
تظـــلُّ تـــذهلُ أبصـــاراً وأذهانـــا!
أو ابنـــةُ الشـــمس مـــا زالـــت بواطنهـــا
نـــاراً تهـــزُّ بصـــدر التـــربِ بركانـــا!
ولـــم يـــزل غضـــبُ الزلـــزال يغضـــبها
حتـــى تحيـــلَ ذرى الأطـــواد قيعانـــا
وكـــم أعاصـــيرَ هـــوج داهمـــتْ بلـــداً
لكنهـــا لـــم تصـــبْ بالخطـــب بلـــدانا
وأعجـــبُ الأمـــر فيهـــا أنهـــا ســـكنٌ
تزاحمـــتْ فوقـــه الأضـــداد ألوانـــا

خلنـــــاه يصـــبحُ ســـمحاً فـــي رغادتــــه

لمـــا غـــدونا لهـــذي الأرض ســـكانا

يــــا ربَّ قفـــرٍ، ســـخاءُ الغيـــث خاصـــمه

لمـــا ســـقتْ نفحـــاتُ الغيـــث بســـتانا

وربَّ رزقٍ غـــــدا جـــــوداً لطائفـــــةٍ

لكنـــه الشـــحَّ إمـــا جـــاء جيرانـــا

وكـــم حبـــتْ للحصـــى مثـــوىً فتـــاه بـــه

وخبـــأتْ فـــي الثـــرى دراً وعقيانـــا

وكـــم أذلـــتْ بغاثـــاً فـــي مرابعـــه

لمـــا أعـــزتْ بـــبطش الصـــيد عقبانـــا

وأنقـــذت طافيـــاً غـــراً لترحمـــهُ

وأغرقـــتْ فـــي عبـــاب المـــوج ربانـــا

وأعطـــتِ الشـــوكَ روضَ الزهـــر يســـكنهُ

وأســـكنتْ زهرهـــا المنبـــوذَ وديانـــا

حـــظٌّ مـــن القـــدرِ المحتـــومِ يـــدركها

ولـــيس يرعـــى لهـــا قـــدراً ولا شـــانا

لكـــنْ لـــه العـــذرُ فـــي شـــرٍّ وفـــي خطـــلٍ

فلـــيس يملـــكُ إحساســـاً ووجـــدانا

وإنـــــه راغـــــمٌ مستســـــلمٌ أبـــــداً

يعنـــو لبارئـــه قهـــراً وإذعانـــا

هـــذي التـــي شـــاءها الـــرحمن موئلنـــا

وقـــد تســـامق بالإبـــداع بنيانـــا

أبـــدى لنـــا وجههـــا، حينـــاً تبســـمها

لكـــنْ تجهـــم فينـــا الوجـــهُ أحيانـــا

آنـــاً نكـــنُّ لهـــا حبـــاً إذا عـــدلتْ

ونظهـــرُ الســـخطَ إمـــا خاصـــمتْ، آنـــا

أعجـــبْ بمـــنْ لـــم نـــزل نهـــوى تقلبهـــا

ونســـــتدرُّ نـــــدىً منهـــــا وإحســـــانا!

يـــا ويـــحَ أرضٍ تمـــادت فـــي جرائرهـــا

حتـــى اســـتحال بهـــا الإنســـان شـــيطانا!

ومـــا الـــذنوب ســـوى مـــا جـــرهُ طمـــعٌ

أعطـــت لـــه نزعـــاتُ الغـــيِّ ســـلطانا

أرادهـــــا الله أرضـــــاً للـــــورى وطنـــــاً

لكـــنْ تشـــظتْ بهـــول الحـــرب أوطانـــا

نظـــلُّ نطعـــمُ منهـــا مـــا يجـــود بـــه

تـــــربٌ، لنصـــــنع ألبابـــــاً وأبـــــدانا

وكـــم رضـــعنا منـــىً منهـــا وقـــد بخلـــتْ

فمـــا كفـــتْ جائعـــاً، منـــا، وظمآنـــا

نـــــدري بأنّـــــا تـــــرابُ الأرض مـــــن أزلٍ

وســـوف نرجعـــه لـــلأرض أكفانـــا

ولســـتُ أحســـبها تشـــقى بمـــن لحـــدتْ

وقـــد طـــوتْ قبلنـــا أهـــلاً وإخوانـــا

وكيـــف تشـــقى، وقـــد ظلـــت محاســـنها

تجلـــو لنـــا ســـحرها الـــدهريَّ فتانـــا!

لاحـــت أســـاريرها الوضـــاءُ ضـــاحكةً

كأنهـــا مـــا اشـــتكتْ مـــن قبـــلُ أحزانـــا

ولـــم تـــزل جنـــةً فيحـــاءَ ناضـــرةً

ولـــم تـــزل ســـجعاتُ الطيـــر ألحانـــا

وغيـــدها بقيـــتْ فـــي حســـنِ عالمهـــا

وشـــياً، كمـــا وشـــتِ الأزهـــار أفنانـــا

وهـــيَ الولـــودُ التـــي يبقـــى الوجـــود بمـــا
تعطيــــه حيـــاً جديــــداً مثلمــــا كانـــــا
إنْ أغمضــتْ فــي الــردى أجفــانَ مــن ذهبــوا
مضـــــتْ تفـــــتحُ للـــــزوارُ أجفانـــــا
ســـيانِ مـــن رحلـــوا عنهـــا ومـــن قـــدموا
إذِ الحيــــاةُ غــــدتْ للمـــــوت ســـــلوانا
هـذي التــي خلـفَ خطـوِ الشـمس مـا جهـدتْ
أو غيـــرتْ فـــي حســـاب الـــدهر ميزانـــا
تظـــــلُّ تســــــعى بــــــأمر الله طائعـــــةً
لا تســــــتطيع لأمــــــر الله عصــــــيانا
ولكـــم بـــدتْ وهـــي خلـــفَ الأمّ ســـابحةً
كطفلــــةٍ ســــعدتْ حبـــاً وتحنانـــــا
لكــــنْ تخيلتهـــــا، حينـــــاً، كجانيـــــةٍ
تـــودُّ مـــن أمهـــا صـــفحاً وغفرانـــا
شـــئنا لهـــا رحلـــةً فضـــلى، وقـــد نســـيتْ
فيهـــا حرانـــاً وأشـــجاناً وأضـــغانا
وكـــم دعونـــا إلـــى الهـــادي ليرشـــدها
حتـــى يظـــلَّ بهـــا الإنســـانُ إنســـانا
عمان ٢٠١٠/١٠/٣٠

أنا والليل والشعر

أســـــهدتُ ليلـــــي وهـــو يرنـــو حـــائرا
متعجبـــــاً إذ لـــــم يجـــدني ســـــاهرا
لاحــــــت أســـــاريري لــــــه مكـــــدودةً
وبـــدا لــــه طرفـــي كلـــيلاً خـــائرا
ورأى علــــى وجهـــي ملامـــح غفـــوةٍ
يعنـــو لهـــا طرفـــي مطيعـــاً صـــاغرا
وأظنــــــهُ يـــــدري بــــأني مغمـــضٌ
عينـــي لأجعـــل مـــن خيـــالي نـــاظرا
فإخــــالني أرتـــــاد أبهــــى عـــالمٍ
لأصـــيدَ أحلامـــي وأرجـــعَ ظـــافرا
فــــأرى المعــــاني كـــالغواني أقبلـــتْ
لتــــزفَّ لــــي آيَ القصـــيد بشـــائرا
يــــا ربَّ معنــــىً جـــاءني متباهيـــاً
لمـــا كســـاه اللفـــظُ بـــرداً ســـاحرا
أرضـــــتهُ أعطيتـــــي، وتهـــتُ بســـحره
فعجبـــتُ مـــن منـــا يكـــون الشـــاكرا!
ولـــــربَّ قافيـــــةٍ يضـــــمُّ بهاءهـــــا
بيـــتٌ يظـــلُّ بمـــا يضـــمُّ مفـــاخرا
أتـــرى حبتـــهُ مـــا بـــدا مـــن حسـتهِ
أم كـــان أعطاهـــا الجمـــال البـــاهرا!
مـــا أروعَ الـــحُسنينِ حـــين تآلفـــا
كـــلٌّ لصـــاحبه يظـــلُّ مـــؤازرا!
كخميلــــةٍ مـــا تـــمَّ فيهـــا رونـــقٌ
إلا إذا جمعــــتْ شـــذىً وأزاهـــرا

ولقـــــد يعانــــــدني بـــــدلِّ حرانـــــه

لفـــظٌ يلـــوح مشاكســـــاً ومكـــابرا

ينــــأى ويخفـــى عـــن خيـــالي تـــارةً

ويلـــوح لــــي حينــــاً قريبــــاً ظـــاهرا

كــــم خلتـــــهُ بتحيـــــري مســــتمتعاً

وحســـبتهُ مـــن طـــول عجـــزي ســـاخرا

والنــــومُ فــــي عينــــيَّ ضـــيفٌ جـــائعٌ

فــــأردهُ عنــــي حســــيراً خاســـــرا

فالشــــعر ضـــيفٌ قبلـــهُ قــــد زارنــــي

لينــــال رفــــداً مـــن خيـــالي زاخـــرا

وعجبـــتُ كيـــف اللفـــظ أســـفر فجـــأة

وكمـــا يضـــجُّ الرعـــد أقبـــلَ هـــادرا

لـــــمَ صــــدني بعنـــــاده وحرانـــــه

أتـــراه كـــان بصــــده متظـــاهرا!

أم كــــان خلـــفَ خــــواطري متربصــــاً

أم كــان فـــي أعمـــاق فكـــري حاضـــرا!

لكـــنّ شــــعري لـــــن يكـــون معاتبــــاً

لفظـــاً حرونـــاً، بـــل ســـيبقى عـــاذراً

فـــاللفظ جـــوهرة هَـــوتْ مـــن عقـــدها

والعقــــد يهـــوى أن يضـــمّ جـــواهرا

فغـــداً ســــيرجعها الخيـــال لعقـــدها

هيهـــات أن ينســـى الكـــريمُ أواصـــرا

صـــاحبتُ ليلــــي فــــي الصـــبا فوجدتـــهُ

متشــــوقاً لا ناســــياً أو هــــاجرا

كـــم مـــن هزيـــع فيـــه تـــاق لزورتـــي

ولكـــــمْ زهــــاه أن يرانــــــي زائـــــرا

وأظـــــــلُّ أســــــلبه ســـــــويعاتٍ، فمــــا

يشـــــكو، ويلقــــــاني ودوداً صـــــابرا

ويظـــــــلُّ يغضــــــي لا يبـــــينُ تـــــذمراً

حتـــــى ولـــــو حـــزتُ الهزيـــع الآخـــرا

ولكــــمْ حـــوى فكـــري بـــذور قصـــيدةٍ

ومضـــــى نهـــــاري للقصـــــيدة بــــاذرا

فــــإذا أتــــى ليلــــي نمــــا زرعــــي بــــه

لأرى ســـــــنابلهُ تصـــــــير بيــــــادرا

وأرى النجــــوم قـــــد اشـــــرأبتْ لهفـــــةً

ترنــــو لتقـــرأ مـــــا رأتنـــــي ســــاطرا

فــــإذا مضــــى ليلـــــي شـــــعرتُ بـــــأنني

نجـــمٌ غـــدا فـــي جـــنح غيـــبٍ غـــائرا

فـــــوددتُ ليلـــــي لـــــو يصـــــير مســـــيرهُ

متريثـــــــاً، كـــــــي لا أراه مغـــــــادراً

لكنــــــه، وهـــــو المســـــامر، عائــــــدٌ

فغـــــدي ســـــيرجعه إلـــــيَّ مســــافرا

فهـــــو الصـــــديق إذا جفـــــاني صـــــاحبٌ

وهــــو المســـامر إنْ عـــدمتُ مســـامرا

وأظـــــلُّ أحفـــــزُ فـــــي النهـــــار مشـــــاعري

لتصــــيرَ إنْ حـــــل المســــاءُ خـــــواطرا

تشـــــــدو بـــــــأفراح تعــــــانق أنفســـــاً

وتهـــــزُّ آمـــــالاً تســـــرُّ ضـــــمائرا

مــــــا أكـــــرمَ الليـــــلَ الـــــذي أحببتـــــهُ

فغـــــدوتُ مأســـــوراً لـــــه أو آســـــرا

يـــــوحي إلـــــيَّ بحبـــــه وهدوئـــــه

لأبـــثَّ بالشـــعر الشـــكور مشـــاعرا

فرأيـــــتُ ســــهدي يســـــتحيل تضــــرعاً

ورأيـــتُ اشـــجاني تصـــير قيـــاثرا

ولكـــــمْ طمـــــاحِ ذابــــلِ رويتــــــهُ

بـــالعزم حتـــى صـــار ثـــراً زاهـــرا

مـــا شـــئتُ شـــعري أن يكـــون ســـحابةً

تلقـــي بـــوهن النـــورِ ظـــلاً عـــابرا

بـــل شـــئتهُ كـــالنور فـــي رأدِ الضُّـــحى

ليظـــلَّ منســـاباً كريمـــاً غـــامرا

أو مثـــلَ غيـــثٍ مغـــدقٍ لـــم يســـلهُ

أفقـــي لكـــي يبقـــى ســـخياً مـــاطرا

أو أنـــه مثـــلُ الأســـارير التـــي

تجلـــو بجيـــاش الشـــعور ســـرائرا

مـــا أصـــدقَ الشـــعرَ الـــذي منـــه زكـــا

نهـــلٌ وإرواءٌ ليســـقي شـــاعرا!

عمان ٢٠١٠/١١/١٨

من ذكريات الطفولة
حديث عن حيفا
وأمي الثانية

هـــاج شـــوقي فـــاهتزّ قلبـــي ورفـــا
وحســـبتُ الوجيـــبَ أصـــبح نزفـــا
بعـــد أن أجـــجَ النـــوى زفـــراتٍ
مـــا بطـــول الســـلوِّ والصـــبر تطفـــى
حينمـــا أرجعـــتْ وفـــودُ خيـــالي
ذكريـــاتٍ رأيـــتُ فـــيهنَّ حيفـــا
جـــاءني طيفهـــا حبيبـــاً ودوداً
ولكـــمْ يعشـــقُ المولـــهُ طيفـــا!
أيَّ رفـــدٍ أهـــدي لهـــا بعـــد نـــأيٍ
وفـــراقٍ طغـــى عـــذاباً وعســـفا!
كـــلُّ بـــذلٍ لهـــا تبـــدى شـــحيحاً
حـــين حلـــتْ فـــي حبـــةِ القلـــب ضـــيفا
عرفتنـــي مـــن صـــبوتي والتيـــاعي
وهيـــامٍ فـــي مقلتـــي لـــيس يخفـــى
فحـــروفُ اســـمها دعـــاءٌ مشـــوقٌ
فـــي لســـاني، فـــلا أفـــوتُ حرفـــا
واحتفـــائي بطيفهـــا بعـــد بـــينٍ
مـــا اســـتطاعت لـــه المشـــاعر وصـــفا
أيكـــون القـــرى بيانـــاً نضـــيداً
مثـــلَ عقـــدٍ بـــأروع الـــدرِّ صـــفا!
أم ســـروراً لـــه المعـــاني اشـــرأبتْ

واحتوتـــهُ الألفـــاظ بالشـــوق لهفـــى!

أمْ لقـــــاءً للصــــبِّ تـــاق لصــــبٍّ

وحضـــوراً للإلــــفِ عـــانق إلفـــا!

كنـــتُ أدري، والحلـــمُ يمـــلأ عينـــي

أننـــي واهـــمٌ، وأبصـــرُ زيفـــا

مثـــلَ زيـــف الخيـــال يـــدني لعينـــي

طيـــفَ حيفـــا فيجعـــل الشـــوقَ طرفـــا

مــــــا أراه بصـــــبوتي مســـــتهيناً

أو أراه بلـــــــوعتي مســـــــتخفا

ربَّ جـــرح، يرجـــو الشـــفاء، ولكـــنْ

بخـــداع مـــن الضـــمادات يشـــفى

إنّ للشـــــوق منـــــةً وجمـــــيلاً

ووفـــاءً لصـــدق حـــبٍّ، وزلفـــى

فبـــه يصـــبحُ الجـــوى أغنيـــاتٍ

بالـــذي صـــيغَ مـــن حنـــينٍ، وزفـــا

حـــين يعطـــي لجلمـــدٍ روحَ حـــيٍّ

ولشـــوكٍ، فـــي حرقـــة البعـــد، عرفـــا

ويحيـــلُ الطـــينَ الأجـــاجَ فراتـــاً

حـــين يحلـــو، بالوجـــد، طعمـــاً وغرفـــا

ويرينـــي وجـــوه حيفـــا ســـماتٍ

تتـــوالى علـــيَّ صـــفاً فصـــفا

ويرينـــي يـــومَ الرجـــوع يقينـــاً

فهـــو يـــدري متـــى، وأيـــن، وكيفـــا

فـــأرى الكرمـــلَ الحبيـــبَ تســـامى

وهـــو يبـــدي للبحـــر بشـــراً وظرفـــا

وعلـــــى هامـــــه العنـــــادل تشـــــدو

هائنـــاتٍ، فتســـحر البحـــرَ عزفـــا

وعلـــــى المـــــوج نـــــورسٌ يتهـــادى

قانصـــاً رزقـــه مـــن اللـــجِّ خطفـــا

أو أراه يـــــــنقضُّ مثـــــلَ شـــــهابٍ

بعـــد أن حـــام فـــوق صـــيدٍ، وســـفا

أو أرى المـــــوج هـــــادرا، فـــإذا مـــا

بلـــغَ الشـــطَّ أكمـــل الشـــأوَ زحفـــا

وســـــباني منـــــه ضـــــجيجٌ وهمـــــسٌ

فتعشـــــــقتهُ عتـــــــواً ولطفـــــــا

وغبطـــــــتُ النـــــــوارسَ الغـــــرَّ لاذت

بحماهـــا، فلـــيس تعـــرف خوفـــا

حضـــــنتها الوكـــــونُ فهـــــيَ ربـــوعٌ

لـــيس فيهـــا تحـــسُّ هونـــاً وخســـفا

والمغـــــاني انتشـــــتْ بـــــأنس حضـــوري

بعـــد أن صـــارعتْ قضـــاءً وصـــرفا

ربَّ مغنـــــــىً رنـــــــا إلـــــــيَّ بحـــــبٍّ

وحبـــور، وهـــزَّ بـــالزهوِ عطفـــا

لـــم يـــزلْ، وهـــو فـــي القيـــود، يبـــاهي

بإبـــاءٍ كســـاهُ عزمـــاً، وأضـــفى

بيـــــدَ أنـــــي لمحـــــتُ ظـــــلاً كئيبـــاً

نـــمَّ عـــن حزنـــه الـــدفين، وشـــفا

واســـــتمرَّ الخيـــــال مـــــلءَ شـــعوري

مثـــلَ ســـيلٍ مـــا غـــاض، لمحـــاً، وجفـــا

لســـتُ أنســـى، مـــا عشـــتُ، جـــارة أهلـــي

أمســـها مثــل حاضـــري، مـــا تخفـــى

فهـــي شـــمسٌ ليســـتْ تبـــالي بكســـفٍ

لحظـــاتٍ، فمـــا تخلـــدُ كســـفا

لبثـــتْ ســـعدَ خـــاطري وجنـــاني

مـــا اســـتطاعت لهـــا النوائـــب حـــذفا

بمحيـــا يبـــدي صـــفاءَ فـــؤادٍ

كفـــؤاد الصـــغير، أو هـــوَ أصـــفى

وبطـــرفٍ يزهـــو بزرقـــة أفـــقٍ

فـــي ســـماء الضـــحى تعـــانقُ صـــيفا

وبشـــعرٍ يجلـــو ســـبيكةَ تبـــرٍ

وعلـــى فودهـــا ثـــوى والتفـــا

وســـجايا بـــدونَ أصـــنافَ زهـــر

لا يمـــلُّ الإعجـــابُ مـــنهنّ قطفـــا

لبثـــتْ فـــي مشـــاعري ناضـــراتٍ

لأشـــمَّ العبيـــرَ صـــنفاً فصـــنفا

كنـــتُ طفـــلاً صـــبا لنظـــرة حـــبٍّ

وحنـــانٍ، وظـــلَّ يرهـــب عنفـــا

مـــا تبـــدتْ إلا كـــأمٍّ رؤومٍ

أشـــرقتْ طيبـــةً ووداً وعطفـــا

علمتنـــي أن الحيـــاةَ ســـموٌّ

بضـــميرٍ يظـــلُّ بـــالطهر عفـــا

علمتنـــي أن التســـامحَ غمـــدٌ

حـــين يغـــدو الشـــقاقُ والشـــرُّ ســـيفا

لأرى الغـــلَّ حـــين يمـــلأُ صـــدراً

بلـــداد العـــداء وحشـــاً وكهفـــا

كان في وجهها عذابٌ خفيٌّ
فإذا جئتها أمحى أو خفا

جعلتْ لوعة الأمومةِ سراً
وبحسي استطعتُ للسِّرِّ كشفا

لستُ أنسى إنجيلها إذ تَرَوَّتْ
أذني من رنيمه العذب رشفا

وكأني أصغي لقرآن أمي
وهي ترخي طرفاً، وتبسط كفا

يا لهديٍ حاز الرضا، وهو إمّا
لم يكنْ غير فطرةٍ، لاستكفى!

كتبُ الله للهداية جاءتْ
لا أرى في صحائف اللهِ خلفا

ذاك حلمي يجيئني بعد شوقٍ
وهو عني، إنْ غاب، عاد وخفا

كان لي بيتها ملاذاً وروحاً
فأحبتْ روحي جداراً وسقفا

ليَ أمانِ منهما حزتُ حباً
فانتشتْ مهجتي حناناً وعطفا

حين أعطيتُ نصف قلبي لأمي
ولأمي الأخرى العزيزةِ نصفا

ليتني فوق ذروةٍ كنتُ صخراً
وعلى الكرملِ المرابط أغفى

أو غصيناً زها بعزة شوكٍ
ما استطاعت له الجبابر قصفا

لا يبالي بريح ظلمٍ غشومٍ
زمجرتْ حوله هديراً وعصفا

وزهاني في وحشة الروح أني

كنـــتُ آبـــى للـــنفس يأســاً وضـــعفا

كـــلُّ أرضٍ تنمـــى إلـــى الضـــاد أرضـــي

لســـتُ ألقـــى فيهـــا كآبـــةَ منفـــى

أترانـــــي أعـــــود يومـــــاً لحيفـــــا

قبـــلَ أن تزلـــفَ المقـــادير حتفـــا!

الكويت ٢٠١١/١/٢٩

الشعر كما أحبُّ أن يكون

مـــا قـــدرهُ إنْ لـــم يصـــرْ فـــي خـــافقي
نبضـــاً أظـــلُّ بـــه أعـــدُّ دقـــائقي
أو لـــم يصـــرْ بمشـــاعري وخـــوالجي
يجـــري كنهـــر مســـتفيضٍ دافـــق
مـــــا شـــــئتهُ إلا وروداً أينعـــــتْ
حتـــى تضـــمخَ بـــالعبير حـــدائقي
أو كالســـــنابل بوركـــــتْ حباتهـــــا
بســـخاء آلاءِ الكـــريم الـــرازق
فـــأرى مـــروجَ خـــواطري مزهـــوةً
مجلـــوةً ببيـــادري وزنـــابقي
لـــــم أبغـــــهِ إلا ذرىً وضـــاءةً
رفعـــتْ علـــى هامـــاتهن بيـــارقي
لـــم تعـــنَ إلا بالشـــموخ وبالســـنى
فـــالطودُ لا يعنـــى بســـيلٍ مـــارق
مـــا شـــئتهُ جهمـــاً كئيبـــاً كالحصـــى
مـــا اهتـــزَّ منتشـــياً برعشـــة بـــارق
بـــل شـــئتهُ كـــالزهر يلبـــثُ راشـــفاً
نـــوراً، فمـــا مـــن زاجـــرٍ أو عـــائق
لأراه يصـــــبو للقـــــوافي والهـــــاً
مثـــلَ المشـــوق صـــبا لحضـــن الشـــائق
يصـــــغي لأفكـــــارٍ طـــــرقنَ تخيلـــــي
مستبشـــــراً ومرحبـــــاً بطـــــوارقي
لـــــم أبغـــــهِ متكبـــــراً متجبـــــراً
يرنـــو إلـــى مـــا دونـــهُ مـــن حـــالق

أحببتـــــهُ يعطـــــي ويلبـــــث صــــامتاً

ويبـــــثُّ إيحـــــاءً بجـــــودٍ نـــــاطق

جـــادت شــــرانقُ خــــاطري بحريرهـــا

ليحـــوزَ شـــعري مـــن نســـيج شـــرانقي

ألبســـــتهُ البـــــردَ الـــــذي يزهـــــو بـــــه

لأراهُ يخطـــــرُ فـــــي الـــــرداء اللائـــــق

مـــا اختـــــرتُ قافيـــــةً لـــــه أو لفظـــــةً

إلا وكـــــان مؤيـــــدي ومـــــوافقي

وأكـــــون فـــــي مـــــدحي لـــــه متـــــذكراً

أفضـــــالَ علـــــمٍ حاضـــــرٍ أو ســـــابق

ويلـــــوح لـــــي بســـــماته ووجوهـــــه

صـــــوراً أجُمِّلُهـــــا بوشـــــي طرائقـــــي

فـــأرهُ فـــي ســـــهدي يرافـــق خلـــوتي

مـــا شـــاء إلا أن يكـــونَ مرافقـــي

أعطيتـــــهُ كلمـــــاً رعيـــــتُ نماءهـــــا

ورويتهـــا مـــن نبـــع فكـــرٍ رائـــق

لـــم أروهـــا بقـــذى الغمـــوض، لكـــي أرى

حســـــناً أقبلـــــهُ بطـــــرفٍ وامـــــق

واراهُ فـــــي حزنـــــي يلـــــوح مواســـــياً

وأراهُ بـــــالعطف الحـــــزين معـــــانقي

فرحمتـــــهُ لمـــــا اســـــتبدّ بـــــه الأســـــى

وجـــرتْ مدامعـــــهُ بخطـــــبٍ مـــــاحق

وعذرتـــــهُ، وهـــــو الوســـــيمُ، وقـــــد بـــــدتْ

أحزانـــــهُ كالشـــــوكِ بـــــينَ شـــــقائق

أكـــــرمْ بـــــه خـــــلاً يبـــــثُّ مـــــواجعي

ويقــــرُّ مــــلءَ القلــــب غيــــر مفــــارقي!

رافقتـــــــهُ منــــــذ الصِّــــــبا فألفتــــــهُ

فاحتــــلَّ بــــالألق البهــــيِّ مشــــارقي

وكأنــــــهُ شــــــمسٌ تظــــــلُّ ســــــنيةً

ترنــــو إلــــيَّ مــــن العنــــان الشــــاهق

أعظــــــمْ بــــــه نــــــوراً يقبــــــلُ وردةً

مــــا اهتــــزَّ كبــــراً بالمقــــام الســــامق!

ببيانــــــهِ ناجيــــــتُ كونــــــاً معجــــــزاً

وبــــه دعــــا قلبــــي ليشــــكرَ خــــالقي

وجعلــــــتُ مــــــن نفثاتــــــه بتــــــولهي

أوتــــارَ قيثــــارِ شــــجيٍّ حــــاذق

هــــل صــــار يشــــعلُ بالحنــــان لــــواعجي

أو صــــار يطفــــئُ باللهيــــب حرائقــــي!

كــــم بــــتُّ أســــألُ إذ أســــوس قصــــيدةً

حتــــى تتيــــه بســــمتها المتناســــق:

هــــل كنــــتُ أعطــــي الشــــعرَ معنــــىً باذخــــاً

أو كــــان يكرمنــــي بمعنــــىً خــــارق!

أو كــــان شــــعري للخــــواطر ســــائقاً

أو كــــان فكــــري بالريــــادةِ ســــائقي!

عــــــزتْ وريقــــاتي بألفــــاظي كمــــا

عــــزتْ بــــألوان الزهــــور نمــــارقي

بينــــي وشــــعري عهــــدُ حــــبٍّ لــــم أزلْ

أرعــــاه مســــروراً بلهفــــة عاشــــق

أبقــــى أخلــــدُ بالقصــــائد عمــــرهُ

وأنــــا بــــه أحيــــا بعمــــرٍ لاحــــق

ليظـــــلَّ بالــــدأب المولـــــهِ ســـــارقاً

مـــن ليلتـــي، أكـــرمْ بـــه مـــن ســـارق!

وأراه فـــــي نـــــومي صــــبابةَ حــــالمٍ

فـــي لــــجٍّ فكـــرِ ســـابحٍ أو غـــارق

لا كـــــان شـــــعري إنْ تــــراءى كالحـــاً

لـــم تعطــهِ الإعجــابَ نظــرةُ تــائق

لا كـــان إمــــا صـــار فجـــاً لـــم يثـــرْ

يومـــاً شـــهيةَ ســـاغبٍ أو ذائـــق

لا كـــان إمـــا نــــال حمـــدَ مـــداهنٍ

ومخاتــــــلٍ ومخـــــادع ومنـــــافق

أختــــار بحـــرَ قصــــيدتي فأخوضـــه

بثبـــاتِ مقـــدامٍ، وهمـــةِ صـــادق

فـــإذا بـــدا شـــطي قريبـــاً واعـــداً

ببلوغـــه، هيـــأتُ خطـــةَ «طـــارق»

أمضــــي إلـــى المينـــاء أســـعى جاهـــداً

بطمـــاح ربـــانٍ صـــبورٍ واثـــق

وأمـــــامَ أحلامــــي يلألــــئُ عــــالمٌ

يزهـــو بآيـــات الجمـــال الفـــائق

حتـــى تحـــطُّ قصـــيدتي فـــي مرفـــإٍ

فتصـــيرَ أوهـــامي جـــذورَ حقـــائقي

عمان ٢٠١١/٥/١٦

لم أكنْ أظنُّ أن أشياء شريكة العمر الراحلة، وأن رسومها معي، يمكن أن تكون نواةً لهذه القصيدة:

رسوم وأشياء لا تقبل الفناء

كـــالرؤى قـــد حللـــنْ روحـــي وعينـــي
ناعســـاتٍ، فـــلا يفـــارقن جفنـــي
ثـــــم أســـــكنتها مـــــلاذاً خفيـــاً
مثـــلَ ســـرٍّ فـــي غيهـــبٍ مســـتكنِّ
لـــــمَ أخفيتهـــا وكانـــت لفكـــري
ولحســـي الظمـــيءِ أعـــذبَ عـــينَ!
هـــل لأنســـى عمـــري بمـــا قـــد طـــواه
مـــن شـــقاءٍ وطـــول بغـــي وغـــبنِ!
أو لأنســـــى أن الزمـــــانَ ســـــيبقى
رابـــطَ الجـــأش يحســـبُ العمـــرَ عنـــي!
أو لعلـــــي أخفيتهـــا حيـــث أنـــي
لـــم أشـــأها تلـــوح أصـــغرَ منـــي!
أترانــــــي أيقظتهــــــا ببنــــــاني
حـــين هبـــتْ مـــن أمســـها المطمـــئنِّ!
وكـــــأني قطعـــــتُ هجعـــــةَ طيـــــرٍ
لــــم يعــــدْ مخلــــداً لهــــدأةِ وكــــنِ
طـــار حينـــاً، وعـــاد للعـــشّ شـــوقاً
أو ينســـى أحنـــى وأرحـــمَ حضـــنِ!
أو كـــأني هيجـــتُ مـــن غيـــر عمـــدٍ
ذكريـــاتٍ تنـــام فـــي كـــلِّ ركـــنِ
نثرتهـــــا كفـــــي فخلـــــتُ هتافـــــاً
مـــن تحايـــا الأحبـــاب يمـــلأُ أذنـــي

كخليـــــــلٍ هفـــــا للقيـــــا خليــــــلٍ

أو كخـــــدنٍ صـــــبا لصـــــحبة خـــــدنِ

برســــــومٍ لاحـــــت كجمـــــع أســـــارى

عـــاد حـــراً مـــن ظلـــم قيـــدٍ وســـجنِ

وبأشـــــــياءَ قـــــد طواهـــــا زمـــــانٌ

ثـــم عـــادت مـــن بعـــدِ هجـــرٍ وبـــينِ

ربَّ رســـــمٍ رنـــــا إلـــــيَّ بوجـــــدٍ

غيـــرَ أنـــي فهمـــتُ مـــا كـــان يعنـــي

خلتـــــه بـــــثَّ لـــــي عتابـــــاً رقيقـــــاً

للـــــذي قـــــد أصـــــابه مـــــن تجـــــنِّ

لـــــم ينـــــلْ طـــــولُ أســـــرهِ مـــــن بهـــــاءٍ

وجـــلالٍ، ومـــــن وضـــاءةِ حســـــنِ

أشـــــرقتْ فوقـــــه شـــــريكةُ عمـــــري

وعلـــــى ثغرهـــــا ابتســـــامةُ حـــــزنِ

لـــــم تـــــزل فـــــي غضـــــارةٍ مـــــن شـــــبابٍ

ورواءٍ، وفـــــــي طـــــــلاوة ســـــــنِّ

لـــــم يضـــــرها الزمـــــان يمضـــــي عتيـــــاً

وهـــــو يطـــــوي أعمـــــارَ خلـــــقٍ، ويفنـــــي

لاح لـــــــي شـــــــعرها كليـــــــل دجـــــــيٍّ

لـــــم تصـــــبهُ قنـــــا الصـــــباح بطعـــــنِ

وبـــــــدا وجههـــــــا شـــــــكوراً لِكَفّـــــــي

وهـــــي تســـــعى بـــــه لطرفـــــي، وتـــــدني

وعليـــــــه ائـــــــتلاقُ ألـــــــفِ نهـــــــارِ

إذ يحيـــــي نـــــورَ الضـــــحى، ويغنـــــي

وكـــــأنْ الســـــكونَ أضـــــحى كشـــــعري

موحيـــــاً ملهمـــــاً بأجمـــــلِ لحـــــنِ

رحـــــتُ أصـــــغي لـــــه يـــــزفُّ قصـــــيداً

وعلـــــى روعـــــة القســـــامة يثنـــــي

عـــــدتُ للغـــــابر البعيـــــد بلمـــــحِ

بالـــــذي فيـــــه مـــــن ســـــرورٍ وأمـــــنِ

حـــــين كانـــــت شـــــريكتي رمـــــزَ دنيـــــاً

مـــــن مـــــراحٍ ومـــــن طمـــــاحٍ ويمـــــنِ

فبهـــــا قـــــد حملـــــتُ أوقـــــارَ عمـــــري

مـــــا عنـــــاني مـــــا كـــــان يؤســـــي ويضـــــني

بثبـــــاتي فـــــي أوج فخـــــري بنصـــــرِ

وليـــــاذي بـــــالعزم إذ صـــــار حصـــــني

كـــــان ظنـــــي بهـــــا كظنـــــي بنفســـــي

وأرتنـــــي الأيـــــامُ فطنـــــةَ ظنـــــي

بســـــماتٍ جليلـــــةٍ وســـــجايا

وســـــموٍّ فـــــي نبـــــل خلـــــقٍ وذهـــــنِ

إنّ حبـــــي لهـــــا ســـــيلبث دينـــــاً

مـــــن وفـــــاءٍ، أعظـــــمْ بأصـــــدق ديـــــنِ!

وســـــيبقى ذكـــــري لهـــــا حفـــــظ عهـــــدٍ

بـــــينَ مـــــاضٍ مـــــن الصـــــفاء، وبينـــــي

حـــــين صـــــارت للقلـــــب مثـــــلَ وجيـــــبٍ

وغـــــدتْ لـــــي أغلـــــى وأكـــــرمَ شـــــأنِ

فـــــي فجـــــاج الحيـــــاة أصـــــبحتُ أســـــعى

باعتـــــدادِ المثـــــابر المتـــــأني

حـــــين نضـــــرتها بديمـــــةِ جهـــــدٍ

واصـــــطبارٍ، وهمـــــةٍ لـــــم تخنـــــي

فقفـــــارُ الحيـــــاة مهمــــا ترامــــــتْ

لا تســـاوي، فـــي القـــدر، قطـــرة مـــزنِ

مـــا أحيلـــي الأحـــلامَ تمســـي ضـــيوفاً

تلتقيهـــا بلهفـــة الشـــوق عينـــي!

تعــــدُ الصــــبَّ والحبيــــبَ المعنــــى

بلقــــاءٍ، وبالوئــــامِ تمنــــي

يهــــبُ المــــوتُ للرســــوم خلــــوداً

حــين يقســو علــى الجسـوم، ويجنــي

وينيــــلُ الأشــــياءَ قــــدراً، ولكــــنْ

مـــا عـــن الصـــبر والتحمــلِ يغنــي

هـــا هـــو المــــرودُ المشـــوقُ لطـــرفٍ

كاشـــتياق النـــدى لزهـــرٍ وغصـــنِ

ودَّ لــــو عـــاد راعشـــاً يتثنـــى

فـــوقَ هـــدبٍ، وقـــد زهـــاه التثنـــي

وهنـــا الثـــوبُ يعـــرضُ الوشـــيُ فيـــه

مهرجانـــاً مـــن ســـحرِ نســـج ولـــونِ

يتمنـــــى لـــــو أنْ مـــــن فارقتـــــهُ

عانقتـــهُ بـــدفءِ ضـــمٍّ وحضـــنِ

وهنـــا عقـــدها يلـــوح كئيبـــاً

وعليــــه بــــدتْ أســــاريرُ حـــزنِ

تتمنـــــى حباتـــــهُ لـــــو تهـــــاوتْ

فـــوقَ صـــدرٍ، ويـــا شـــقاءَ التمنـــي!

خلــــتُ أشــــياءها تعــــينُ فــــؤادي

بســــلوٍّ، لكنهــــا لــــم تعنــــي

إننــــي ظــــاعنٌ إليهــــا، ولكــــنْ

لســـــتُ أدري متـــــى نهايـــــةُ ظعنـــــي

وعزائـــــي أنـــــي كمـــــا شـــــاء ربـــــي

بشـــــريٌّ لـــــه هنيهـــــةُ حَـــــيْن

لـــــي وجـــــودٌ بـــــالعمر أبنيـــــه، لكـــــنْ

ســـــيهدُّ القضـــــاءُ مـــــا كنـــــتُ أبنـــــي

عمان ٢٠١١/٦/١٢

يا بغداد

لـكِ أهـدي الحـبَّ والشـوقَ الموشـى بالتحايـا

فـاقبلي أجمـلَ مـا يعطيـكِ قلبـي مـن هـدايا

قـد تعشـقتكِ تاريخـاً مجيـداً، وسـجايا

وشـموخاً كـم طـوى الأرضَ فتوحـاً وسـرايا

وحضـاراتٍ غـدتْ فـي الـدهر أمجـاداً وآيـا

مـا لتاريخـكِ أضـحى

مـن سـني الماضـي بقايـا!

فاشـتكى للحـقِّ محزونـاً، وهـل تجـدي الشـكايا!

حـين صـار الحاضـرُ الـدامي خطوبـاً وبلايـا

وتغشـتهُ أفاعيـلُ شـرورٍ، ودنايـا

فنعتـهُ الأرضُ إذ أمسـى بكاهـا كبكايـا

قيـلَ: أعطـوكِ سـعارَ الحقـد، يـا بـئس العطايـا!

وأحـالوكِ لسـلطانٍ وطغيـانٍ مطايـا

فجـروا قلبـكِ بـالبغض كروبـاً ورزايـا

حملـوكِ السـيفَ كـي يصـبح للأهـل منايـا

جعلـوكِ القاتـلَ المقتـولَ، يـا طـولَ جوايـا!

إننـا حولـكِ يـا بغـدادُ أضـحينا الضـحايا

إنّ ويلاتـكِ مـا عـادت حجوبـاً وخفايـا

فاسـتريها بحيـاءٍ

أو فواريهـا الزوايـا

إننـا نخجـلُ يـا بغـدادُ لـو ظلـت عرايـا

أنـتِ لـن ترضـيْ بـأن تسـتمرئي ظلـمَ البرايـا

أو تـريْ فـوقَ حمـاكِ العسـفَ، أو فـوقَ حمايـا

إننــي أكــرهُ أن ألقــاهُ، حتــى فــي رؤايــا
كــم تخيلتــكِ تخشــين غيوبــاً وخبايــا
حينمـــا أعولـــتِ: ويحـــي
مـــا الـــذي تجنـــي يـــدايا!
كيـــف أشـــهرتُ حســـاماً
غمـــدُه بـــات حشـــايا!
جعَلَتــهُ ســورةُ الأهــواء أعمــى كعمايــا
كيـــف لوحـــتُ بـــرمحٍ
تلتقيـــهِ مقلتايـــا!
لــيَ بعــضُ العــذر إذ أصــبح أبنــائي عــدايا
أصــبحوا يبغــون بالإيغــال فــي البغــي ردايــا
فــاتهمْ أنّ خلــودَ الــدهر لــم يبــرحْ حمايــا
أنــا عشــقُ الـدهر مـذ عشـتُ، فلـم يعشـقْ سـوايا
هــرمَ الــدهرُ ومــا زالَ يغنــي لصــبايا
***
إنْ يكــنْ هاجــكِ يــا بغــدادِ نــوحي وشــجايا
فــاجعلي الوجــدانَ والإيمــانَ والصــبرَ مرايــا
وخــذي مــن عبــرِ الماضــي دروســاً ووصــايا
طفلــكِ الجــائع لــن يشــبع مــن حســنِ النوايــا
وصــريعُ الظلــم لــن يرجعــهُ حــزنُ الطوايــا
آنّ أنْ تنــدمَ أخطــاءٌ، وأن تخــزى خطايــا
آنَ أنْ تســعدَ يــا بغــدادُ أحــلامُ الصــبايا
آنَ أنْ ترتعشــي شــوقاً لأحضــان العشــايا
حــين يــروي ليلــكِ الســاجي عــن الحــبِّ حكايــا
أنــا يــا بغــدادُ محــزونٌ، ولا أخفــي أســايا

ويشـــوقُ الشـــعرَ أن يشـــرحَ وجــدي وهوايـــا

فحــــــــــروفِ اســــــــمكِ شـــــــــهدٌ

رشـــــــــــــفتهُ شـــــــــــــــــفتايا

ولـهـــــــــا أحلـــــــــى صـــــــــداحِ

عانقتـــــــــــــــه أذنـايـــــــــــــا

ربِّ حقــقْ بالرضـــى والحـــبِّ والرحمـــى منايـــا

عمان ٢٠١١/١٢/٢٧

لغة الحياة

أوشكَ العصفورُ من أحضان عشٍّ أن يطيرا
ملأ الريشُ جناحيه، فما عاد صغيرا
فتجلى ببهاءٍ
ما رأى الحسنُ نظيرا
كم تبدى من أزاهير ربيعٍ مستعيرا
راح للآفاقِ يرنو
وهو يهتزُّ سرورا
فرآها في الضحى الساحر قد شعَّتْ سفورا
يا لإشراق سماءٍ
حينما ضمَّتْ طيورا!
كسحاباتٍ من السحرِ جلتْ حسناً ونورا
عرضتْ حشداً من الألوان خلاباً مثيرا
وتراءتْ مهرجاناً
بالذي يجلو فخورا
قال إني مثلها شأواً وعزماً وشعورا
سوف أغدو بعد حينٍ
مثلها حرا قديرا
ثم أرخى الطرفَ نحو الأرض، فارتدَّ قريرا
إذ رأى فيها جناناً
تعرضُ الزرعَ النضيرا
وبساتينَ وغاباتٍ حوتْ خيراً وفيرا
وأعاجيبَ من الأثمار، والنبعَ النميرا
قال قد أضحى بلوغُ الأرض والأفقِ يسيرا
لم يعدْ حلماً بدا تحقيقهُ أمراً عسيرا

كـلٌّ مـا فـي الأرض والأفـق غـدا ملكـاً أثيـرا
لـم يكـنْ مـا بثـهُ العصـفورُ كبـراً وغـرورا
كـــــان يســـــــتعرض حقـــــــاً
وحيـــــــــــاةً وحضـــــــــــورا
مثـلَ حـقِّ الزهـرِ أن يملـكَ حسـناً وعبيـرا
مثـلَ حـقِّ الفجـر أن يملـكَ بـالنور ظهـورا
راح يرنـــــــــــو لأبيـــــــــــه
وهـــــو يختـــــال حبـــــورا
قـال إنـي لـم أعـدْ فـي قبضـة العـشٌ أسـيرا
لـم أعـدْ شـلواً مـن العجـز أو الضـعف، كسـيرا
وأرى يـوميَ فـي العـشِّ غـدا اليـوم الأخيـرا
والأبُ الملهـــــــــوفُ يبـــــــدو
هـــــادئَ الســـــمتِ وقـــــورا
قـــــال لا تُخـــــدَعْ بـــــدُنيا
لـــم تـــزل تخفـــي الشـــرورا
ربَّ خيـرٍ ضـمَّ فـي إغرائـه خطبـاً خطيـرا
كفخـاخ كمنـتْ تزلـفُ بالختـلِ بـذورا
لا تغرنـكَ بمـا تعطـي وكـنْ ثبتـاً بصـيرا
ولكـمْ مـنْ صـائدٍ شـاء لـكَ الحـبسَ مصـيرا
وادعـى أنـكَ بالأقفـاص قـد كنـتَ جـديرا
ومضـــــــى يـــــزعم أنْ قـــــد
صـــــار للحســـــنِ نصـــــيرا
وتبـاهى أنـه يملـكُ قلبـاً وضـميرا
ربَّ عصـــــــفورٍ قضـــــــى فـــــــي
قفـــــص الأســـــر حســـــيرا
ذنبـــــهُ روعـــــةُ حســـــنٍ

لـــــم يجـــــدْ قلبــــــاً غفـــــورا

يـــــا لبــــــؤس الحســــــنِ إمـــــا

ســـــــاقَ شــــــراً مســـــــتطيرا!

نحـــــنُ مــــــن شـــــعبٍ ســـــيبقى

أبـــــــدَ الــــــــدهر صـــــــبورا

يـــأنفُ الســجنَ ولــو صـــار جنانـــاً وقصـــورا

ويعــافُ العــشَّ فــي الأسـر، ولــو كــان وثيــرا

ويــرى فــردوسَ إنعــامٍ مــع الأســر، ســعيرا

لــم يشــأكَ اللهُ أن تصــبحَ فــي الخلــق كبيــرا

غيــرَ أنّ اللهَ مــا شــاءكَ شــاهيناً مغيــراً

ولأشـــتاتٍ مـــن الطيـــر هلاكـــاً وثبـــوراً

كـــان يكفيــكَ بقــاءُ العمــر كــالنور، طهــورا

ربَّ عمـــــــرٍ طـــــــال، لكــــــنْ

مــــــلأ الـــــــدنيا شـــــــرورا

عمان ٢٠٠٨/٥/١٤

الغناء الخادع

إنْ قلـــتُ، شـــعري يـــدورُ
بمـــــا يكـــــنُّ الشـــــعورُ
وإنـــــه صـــــار قلبـــــاً
بمـــــا أحـــــسَّ يمـــــورُ
وإنـــــه فـــــي هـــــواهُ
معـــــــذبٌ مقهـــــــورُ
قـــــالوا لمـــــاذا تغنـــــي
إنَّ ا لغنـــــاء ســـــرورُ
مـــــا أنـــــتَ إلا دعـــــيٌّ
بمـــــا تقـــــولُ فخـــــورُ
فـــــالحزنُ أقـــــدسُ ســـــرٍّ
يخفيـــــه جلـــــدٌ صـــــبورُ
فقلـــــتُ يـــــا قـــــومُ مهـــــلاً
فـــــإنني معـــــذورُ
لا تنظـــــروا لغنـــــائي
كـــــم يخـــــدعُ المنظـــــورُ
فاللـــــبُّ يبقـــــى خفيـــــاً
قـــــد غيبتـــــهُ القشـــــورُ
إنـــــي أغنـــــي ولكـــــنْ
كمـــــا تغنـــــي الطيـــــورُ
بعـــــضُ الغنـــــاءِ بكـــــاءٌ
والـــــبعضُ منـــــه حبـــــورُ
لكـــــلِّ وجـــــهٍ نقيـــــضٌ
محجـــــبٌ مســـــتورُ

تشـــــابها فـــــي بيـــــانِ

عمـــــا تســــرُّ الصــــــدورُ

تــــرونَ فـــي كـــلِّ زهـــرِ

حســــــناً، فــــأين العطــــورُ!

وتهتـــــــدون لشـــــــمسٍ

والشـــــمسُ نــــارٌ ونــــورُ

عمان ٢٠٠١/١/١٠

ليلة قدرية

ألقـــــتْ علــــــيَّ تحيــــــة وســــــلاما
ومضـــتْ تصــبُّ لـــيَ الجمـــالَ مـــداما
وتبســــــمتْ لمــــــا رأتنــــــي هائئـــــاً
أرنـــــو إليهـــا معجبـــاً بســــاما
لــــم يكفهـــا خمــــرُ الجمـــال، فصـــيرتْ
ســــحرَ اللحــــاظِ أســــنةً وســــهاما
قالـــت ســــمعتكَ منشـــدا فـــي ليلـــةٍ
قدريـــــةٍ قــــد ضــــمتِ الأعلامــــا
والليلـــــةُ الغــــراء يشــــرقُ وجههـــا
بســــناء أنـــسٍ حولنــــا يتنــــامى
تزهـــو بمـــا تصـــغي لـــه، وكأنهـــا
أضــحتْ علــى صــدر الزمــان وســاما
أرخـــتْ لـــه أذنَ الســـرور، وكـــم صـــبتْ
لـــو صـــيرتْ هـــذا الســـرورَ كلامـــا
أحسســــــتُ أنــــكَ إذ تبـــثُّ قصـــيدة
تبـــدي الحبـــورَ وتكـــتم الآلامـــا
الشــــدوُ فيهـــا والأنـــين تمازجـــا
شــــهداً وصـــاباً يفعمـــان الجامـــا
والحـــزنُ يقطـــر مـــن ثنايـــا ضـــحكةٍ
فالغيـــثُ قبـــلَ الهـــلّ كـــان غمامـــا
أنســـيتُ عمـــركَ فأمَّحـــتْ أعوامـــه
مـــا ضـــرَّ لـــو عـــن عـــدها أتعـــامى!
ســــيعدها قـــدرٌ كمـــا أوحـــى لـــه
ربٌّ ســــما قــــدراً وجـــلَّ مقامـــا

ورأيــــتُ حشــــداً مــــن منـــىً ملهوفـــةٍ
كـــم مـــن جديـــداتٍ بعـــثنَ قـــدامى
مـــن أفـــق شـــعركَ مـــا تـــزال مطلـــةً
مثـــلَ النجـــوم ولا تهـــاب زحامـــا
أنـــا لا أراكَ ســـوى حســـامٍ مرهـــفٍ
يبقـــى علـــى نـــوبِ الحيـــاة حســـاما
أو مثـــلَ صـــرحِ راســـخٍ بشـــموخه
وإبائـــه، لـــن يســـتحيلَ ركامـــا
فأجبـــتُ والإعجـــابُ يلهـــبُ نظرتـــي
مـــا اســـطاع يخفـــي ســـورة وعرامـــا:
حســـناء إنـــي لســـت أجحـــد روعـــةً
أضـــحى بهـــا الشـــيخ الوقـــور غلامـــا
صـــبيٌّ كمـــا شـــئتِ المـــدامَ لعاشـــقٍ
فـــالخمر فـــي عينيـــكِ لـــيس حرامـــا
عـــذراً لطرفـــي إنْ حـــواكِ بنظـــرة
ليصـــيرَ شـــعري بعـــدها رســـاما
لا تعـــذلي التقصـــير فـــي رســـمٍ، فكـــم
قـــد أعجـــز الريشـــاتِ والأقلامـــا
مـــاذا يقـــول الليـــل إمـــا جـــاءه
فجـــرٌ فســـاق لـــه الســـنى إنعامـــا!
الحســـنُ عنـــدي لـــيس إلا زهـــرةً
فواحـــةً لتعطـــرَ الأنســـاما
مـــا كنـــتُ أجعـــل رمســـها فـــي كأســـها
وأنـــا أذوبُ صـــبابةً وهيامـــا
حســـبي عبيـــرٌ لســـتُ أبغـــي غيـــرهُ

أرضـــــي بنفحتـــــه هـــــوىً وغرامـــــا

صـــــارت ثمـــــانيني لعمـــــري صـــــحوةً

فبهـــــا أهدهـــــدُ صـــــبوتي لتنامـــــا

بـــــاهي بإشـــــراق الثلاثـــــين الـــــذي

ترنـــــو العيـــــون لنـــــوره إعظامـــــا

ودعـــــي ثمـــــانيني لمـــــا قـــــد شـــــاءها

ربٌّ حباهـــــا العطـــــفَ والإكرامـــــا

وارضَـــــيْ بأعجـــــابٍ يضـــــوع طهـــــارةً

لـــــم تعـــــرفِ الأوزار والآثامـــــا

عمـــــري شـــــتاءٌ مجهـــــدٌ، لكنمـــــا

أنـــــتِ الربيـــــع يفـــــتحُ الأكمامـــــا

لا تجعلـــــي عمـــــري لعمـــــركِ ملجـــــأً

كـــــيلا تصـــــيرَ لـــــه الشـــــجون نـــــدامى

أنـــــا دوحـــــةٌ فـــــي قفـــــرة مهجـــــورة

وتكـــــاد تضـــــوى وحشـــــةً وأوامـــــا

رضـــــيتْ بعزلتهـــــا بطـــــول تصـــــبرٍ

وتخيَّرَتْهـــــا موطنـــــاً ومقامـــــا

أنـــــا يـــــا جميلـــــةُ فـــــي نهايـــــة رحلـــــة

أحصـــــي خطـــــايَ وأحســـــبُ الأيامـــــا

زادي مواجـــــعُ أمتـــــي وهمومهـــــا

غنيتهـــــا فجعلتهـــــا أنغامـــــا

وبنـــــاتُ شـــــعري فـــــي المســـــير صـــــحبنني

ليصـــــرنَ مـــــن بعـــــد الرحيـــــل يتـــــامى

ومنـــــىً جهـــــدنَ فمـــــا بلغـــــنَ حقيقـــــةً

فغـــــدونَ مـــــن طـــــول الضـــــنى أحلامـــــا

لــــم يطوهــــا مطــــلٌ قـــديمٌ لـــم يـــزلْ
يهـــبُ الوعـــود ويســـعدُ الأعوامـــا

حســـبي مـــن الآمـــال أنـــي عشـــتها
زمنـــاً رغيـــداً بـــالوعود تســـامى

ظلــــتْ كهامــــات الجبــــال عزيـــزةً
لــم تحــنِ فــي غضــب العواصــف هامــا

دربـــي قصـــيرٌ يـــا مليحـــةُ شـــأوهُ
أتـــراه يـــدركُ بغيـــةً ومرامـــا!

لكـــنّ دربـــكِ مســـتنيرٌ لاحـــبٌ
وأمـــامَ آمـــال الحيـــاةِ ترامـــى

أنـــا مُسْـــكةٌ مـــن شـــمعةٍ مكـــدودةٍ
ليســـت تبـــددُ بـــالوميض ظلامـــا

لا تصـــبحي يـــا حلـــوتي مشـــكاتها
كـــيلا تحســـي غربـــةً وســـقاما

ظلـــي حـــلاوة صـــدفةٍ فـــي خـــاطري
ولظـــىً يلَـــذُّ تسَـــعُّراً وضـــراما

كـــي تصـــبحي للشـــعر فـــي هيمانـــه
نجـــوى تثيـــر الـــوحيْ والإلهامـــا

سلمى / اللاذقية
٢٠٠٩/٩/٦

ابتهالات وتأملات

يـــــا إلهـــــي لـــــكَ قلبـــــي يخشـــــعُ
وبمـــــا جـــاش فـــــوادي أضـــــرعُ
وتســـــابيحي اســـــتحالت نشـــــوةً
لـــــكَ يـــــا ربـــــي بوجـــــدٍ ترفـــــعُ
شـــــئتني يـــــا ربُّ خلقـــــاً معجـــــزاً
رائعـــــاً، والـــــروحُ فـــــيَّ الأروعُ
شـــــئتَ لـــــي للخيـــــر أنقـــــى فطـــــرةٍ
مـــــا لأكـــــدارِ شـــــرورٍ تنـــــزعُ
وضـــــميراً نابهـــــاً مســـــتيقظاً
مـــــا علـــــى وزرٍ وغـــــلٍّ يهجـــــعُ
فـــــإذا مـــــا وهـــــمُ ذنـــــبٍ هاجـــــهُ
عـــــاد للتـــــوبِ عســـــاه يشـــــفعُ
وحجـــــىً ســـــرحتهُ مستشـــــرفاً
حســـــنَ إبـــــداعِ، فأنـــــت المبـــــدعُ
ضـــــاق عمـــــا قـــــد حـــــواهُ عـــــالمٌ
مـــــن خفايـــــا، فهـــــيَ منـــــه أوســـــعُ
كلمـــــا موقـــــعُ إعجـــــازٍ جـــــلا
روعـــــةَ الكـــــون، تـــــلاهُ موقـــــعُ
لاحـــــتِ الأنجـــــمُ فـــــي آفاقهـــــا
مســـــهداتٍ قـــــد جفاهـــــا المخـــــدعُ
بعيـــــونٍ فتحـــــتْ أجفانهـــــا
ولهـــــا فـــــي حضـــــنِ فجـــــر مضـــــجعُ
خلتهـــــا تـــــدنو، وقـــــد أحظـــــى بهـــــا
لـــــو لهـــــا، بالشـــــوق مُـــــدَّتْ إصـــــبعُ

وإذا رادَ خيـــــــــالي موضـــــــــعاً

لأعاجيـــــبَ، تـــــراءى موضـــــعُ

إنَّ آياتـــــــكَ تبـــــــدو وحـــــــدةً

فهـــيَ فـــي وحـــدة خلـــقٍ تجمـــعُ

لــــــكَ كــــلٌّ يـــــا إلهـــي مـــومئٌ

بانبهــــــــــارٍ، ولآيٍ يركــــــــــعُ

مـــن تـــــرابٍ يـــا إلهـــي شـــئتني

وأنـــا مـــــن خيـــــرهِ لا أشـــبعُ

وعليــــــه ســـــوف أســـعى حقبــــةً

واليــــه، بعــــد حـــينٍ، أرجـــعُ

لســــــتُ فـــــــي خلقـــــكِ إلا ذرةً

وبهـــا ســــرٌّ حيــــاةٍ مـــــودعُ

فأنـــــا مثـــــلُ مجـــــراتٍ ســـمتْ

فهـــيَ مـــن ذرةِ بـــدءٍ تصـــنعُ

ولكـــــمْ أكرمتنــــــي فــــي نــــاظرٍ

عاشـــقٍ يســـبيهِ حســـنٌ ممتـــعُ!

شـــئتهُ يـــا ربُّ يهـــوى روعـــةً

وبــــألوان جمــــالٍ يولـــــعُ

لــــم تشــــأه مســـتبيحاً ظالمــــاً

وبــــإغواءِ افتتـــانٍ يخـــــدعُ

أنـــتَ تـــدري يـــا إلهـــي أننـــي

قانــــتٌ عـــفٌّ طهـــورٌ طيـــعُ

كـــلٌّ خـــودٍ هـــي عنـــدي زهـــرةٌ

فـــوقَ غصـــنٍ مـــن إبـــاءٍ تونـــعُ

مــــا صـــبتْ نفســـي إليهـــا مـــرةً

لأراهــــــا فــــــي إنـــــائي تخنـــــعُ

بــــــل أراهــــــا حـــــــرةً مزهـــــوةً

وهـــــيَ فـــــي بهجـــــةِ روضٍ ترتـــــعُ

ولكـــــمْ أكرمتنـــــي فـــــي مســـــمعي

حينمـــــا زينـــــتَ لـــــي مـــــا أســـــمعُ

لـــــم أصـــــخْ يومـــــاً لغـــــيٍّ صـــــادحٍ

ولكـــــمْ ســـــمٍّ بشـــــهدٍ يُجـــــرعُ

لـــــم أزدْ فـــــي عـــــالمي عـــــن قطـــــرةٍ

مـــــن نـــــواميس وجـــــودٍ تنبـــــعُ

فغـــــداً تشـــــربُ منـــــي جنَّـــــةٌ

أو ســـــتروى بارتشـــــافي بلقـــــعُ

أو ســـــتهتزُّ بنهلـــــي غرســـــةٌ

كـــــم بهـــــا يفخـــــرُ مـــــرجٌ ممـــــرعُ

كـــــلُّ مـــــا الكـــــون لا يفنـــــى، فكـــــم

مـــــن حيـــــاةٍ قـــــد جلاهـــــا مصـــــرعُ

أفـــــلا نشـــــهدُ موتـــــاً للـــــدجى

حينمـــــا ومـــــضُ صـــــباحٍ يلمـــــعُ!

ونـــــرى البـــــدرَ محاقـــــاً كابيـــــاً

ثـــــم مـــــن بعـــــد احتجـــــابٍ يطلـــــعُ!

أو نـــــرى حبـــــةَ قمـــــحٍ أصـــــبحتْ

فـــــي غيابـــــات ثراهـــــا تقبـــــعُ

ونراهـــــا حيـــــةً فـــــي ســـــنبلٍ

تتحـــــدى موتهـــــا إذ تـــــزرعُ

أنـــــتَ نـــــورٌ مـــــلءَ روحـــــي ماثـــــلٌ

وبـــــه شـــــمس كيـــــاني تســـــطعُ

شـــئتَ لـــي صـــبراً علـــى جـــرحٍ، وكـــم
هـــشَّ للســـلوانِ جـــرحٌ موجـــعُ
وجعلـــــتَ القلـــــبَ ينســـــى لوعـــــةً
حينمـــــا انهلـــــتْ عليهـــــا الأدمـــــعُ
وجعلـــــتَ الـــــرزقَ حظـــــا، إذّ أنـــــا
بالـــــذي قـــــدرتَ منـــــه أقنـــــعُ
رزقُ غيـــــري مثـــــلُ بـــــابٍ مغلـــــقٍ
إنمـــــا لـــــيس بكفـــــي يقـــــرعُ
فـــــإذا مـــــا شـــــاقني إحـــــرازهُ
لـــــم أنـــــلْ منـــــه، فحظـــــي يمنـــــعُ
وجعلـــــتَ العمـــــرَ غيبـــــاً، إنمـــــا
لســـتُ مـــن أهـــوالِ غيـــبٍ أجـــزعُ
ربَّ عمـــــرٍ كهبـــــاءٍ طولـــــهُ
ولكـــــمْ عمـــــرٍ قصـــــيرٍ ينفـــــعُ
عمان ٢٦/١٠/٢٠٠٩

الله والطفل

بحبكَ يا ربي فؤاديَ عامرُ
وذكركَ نجوى باركتها المشاعرُ
وكلُّ الذي بيني وبينك قد غدا
أواصرَ لا تسمو إليها الأواصرُ
وكنتُ ابنَ خمسٍ حين فاض تخيلي
فرحتُ بما قد جاش فيه أجاهرُ
بأسئلةٍ حيرى تظلُّ ملحةً
تراودُ طفلاً حائراً، وتخامرُ
عرفتكَ إذ عقلي الطفوليُّ مدلجٌ
يحثُّ خطاهُ، والدروبُ دياجرُ
أسائلُ أين النور هل باد وامحى
وهل هو خلفَ الغيبِ عني يسافرُ!
لماذا يجيءُ الفجرُ يسعى بنوره
وأين ترى في الليل عني يهاجرُ!
لماذا تعود الشمسُ في حينها غدا
وموكبها قد صاحبته المنائرُ!
ويقبلُ صبحٌ بالضياء مشعشعاً
كإقبالِ سعدٍ أزلفتهُ البشائرُ
فأسألُ من أعطى لكلٍّ أوانهُ
وهل هو فوق الكون والخلقِ آمرُ!
عرفتكَ من أمي تُفارقُ مرقداً
وفي وجهها سمتٌ من الهمِّ قاهرُ
تعاندُ أطيافَ الكرى بعزيمةٍ
وطرفٍ كليلٍ فهو كالنجم ساهرُ

وفـــي حضـــنها أختـــي يضـــجُّ بكاؤهـــا
تصـــارع ســـقماً وهـــو كـــالوحش كاســـرُ
فتشـــدو لهـــا أمـــي لحونـــاً شـــجيةً
كمـا قـد شـدا للفـرخ فـي العـشِّ طـائرُ
عجبـــتُ لأمـــي كيـــف تبكـــي بشـــدوها
فهـــلْ بأســـى الأوتـــار تنشـــى القيـــاثرُ
فأصـــغي كمـــا تصـــغي حشاشـــةُ ليلـــةٍ
وقـد سـرها فـي آخـرِ السـهدِ سـامرُ
ويســـتمعُ الـــداءُ الوبيـــلُ بريبـــةٍ
ويـــا ربَّ حـــقٍّ بـــات يخشـــاه نـــاكرُ
ومـــا علمـــتْ فـــيَّ الطفولـــةُ أنـــه
يجـــيءُ بمـــا قـــد خبأتـــهُ المقـــادرُ
وتنصـــرم الأيـــام تســـعى وئيـــدةً
ومـــا عـــدها إلا عليـــلٌ وصـــابرُ
ويرجـــعُ للبيـــت الحـــزين حبـــورهُ
إذ البـــرءُ للســـقم المعربـــد زاجـــرُ
ويلبـــثُ يضـــنيني ســـؤالٌ محيـــرٌ
ومـــا كنـــتُ أدري أن عمـــريَ عـــاذرُ
فأســـأل مـــن أبقـــى لأختـــي حياتهـــا
وأبعـــدَ عنهـــا ســـقمها وهـــو قـــادرُ!
ويبقـــى ســـؤالي يمـــلأُ الـــنفسَ رهبـــةً
يـــردده قلـــبٌ وحـــسٌّ وخـــاطرُ
عرفتـــكَ مـــن قـــرآنِ أمـــي تبثـــهُ
رخيمـــاً، إذا مـــا لاح لليـــلِ آخـــرُ
فيجهـــلُ فـــيَّ الطفـــل كنـــه كلامهـــا

ولكنـــه، حتـــى مـــع الجهـــل، ســـاحرُ

وألمحهـــا تصـــحو إذا ليلهـــا ســـجا

وقـــد ســـكنتْ حضـــنَ الســـبات المحـــاجرُ

لتزجـــيَ بـــالهمسِ الشـــجيِّ دعاءهـــا

ولكنـــه فـــي مســـمعَ الليـــل هـــادرُ

وهيهـــات أن أنســـى خشـــوعَ ابتهالهـــا:

بعطفـــكَ يـــا ربـــي تهـــون المصـــائرُ

فتـــدعو بإيمـــانٍ وطهـــرِ ســـريرةٍ

وأصـــدقُ دعـــوى مـــا تبـــثُّ الســـرائرُ

عرفتـــكَ مـــن آي الســـماء أرودهـــا

بلهفـــة طرفـــي، وهـــو نشـــوانُ حـــائرُ

ليســـبحَ فـــي أفـــقٍ يلـــوح كلجـــةٍ

وقـــد ســـبحتْ فيـــه النجـــوم الزواهـــرُ

فأســـألُ هـــل خلـــفَ النجـــوم تحشـــدتْ

عـــوالمُ لا ترقـــى إليهـــا البصـــائرُ

ومنـــذا الـــذي أعطـــى الســـماء ضـــياءها

فأنوارهـــا للمـــدلجين نـــواظرُ

عرفتـــكَ مـــن مـــرجٍ يبـــاهي بحســـنهِ

ويزهـــو ببـــردٍ رصـــعتهُ الأزاهـــرُ

يُصَـــوِّحهُ لفـــحُ الهجيـــر بقيظـــهِ

ولكنـــه إمـــا همـــى الغيـــثُ ناضـــرُ

فمـــنْ ذا الـــذي أغنـــى الســـحاب برقـــةٍ

تجـــيشُ بجـــودٍ، فهـــو بـــالخير زاخـــرُ!

ومـــن علَّـــمَ الأزهـــار صـــنعَ رحيقهـــا

ليســـعى لهـــا نحـــلٌ مجـــدٌّ مثـــابرُ!

تطيـــــبُ لــــه إمـــا حباهـــا بشـــكرهِ
وكـــم طيَّـــبَ النعمـــى العميمـــة شـــاكرُ
وغـــاب زمـــان الطفـــل إذ أقبـــل الصـــبا
لـــه ناصـــحٌ مـــن نـــور فكـــرٍ، وناصـــرُ
عرفتـــكَ بالإيمـــان والرشـــدِ والحجـــى
ففـــي كـــلِّ مـــا حـــولي جلالـــك حاضـــرُ
روائـــعُ خلـــقٍ معجـــزاتٌ، وإنمـــا
تســـاوى خفـــيٌّ، بالبهـــاء، وظـــاهرُ
رأيتـــكَ فـــي الأرواح إذ هـــيَ فطـــرةٌ
تفـــرد فيهـــا الســـرُّ إذ أنـــتَ فـــاطرُ
رأيتـــكُ فـــي الأعمـــار تجهـــلُ بـــدءها
كمـــا جهلـــتْ ختمـــاً، فغيبـــك ســـاترُ
فأصـــبحتَ تســـبيحَ الضـــمير تهجـــداً
وأعظـــمْ بمـــن قـــد ســـبحته الضـــمائرُ
عرفتـــكَ ربـــاً قدَّسَـــتْهُ قصـــائدي
فبـــينَ حنايـــا الـــروح يســـكنُ شـــاعرُ
عمان ٢٠٠٩/١٠/٢٩

وجد الشاعر نفسه في حفل يموج بالحسان، ليصبح:

شوكة في مرج من الزهور

نظـــرنَ فضـــولاً حـــين ألفينـــهُ كهـــلا
يغلفــهُ صــمتٌ، وفــي الــركن قــد حــلا
بـــدا مثـــلَ ليـــلٍ قـــد تـــوارتْ نجومـــهُ
وكــم مــن عيــونٍ ترتجيــه لهــا كحــلا
عجـــبنَ لليـــلٍ مـــا اســـتطاعت جـــلاءهُ
محاســـنُ أقمـــار، وهيهـــات أن يجلـــى
ويلمحنـــــهُ حينـــــاً يتمـــــتمُ خاشـــــعاً
فيحســـبنهُ فـــي ركـــنِ محرابـــه صـــلى
فمـــا لاح مفتونـــاً وصـــباً وعابئـــاً
بحشـــدِ جمـــالٍ صـــارخٍ يفـــتنُ الحفـــلا
وفـــي كفـــهِ يبـــدو يـــراعٌ وصـــفحةٌ
تقبــلُ مــا قــد مــال منــه ومــا أملــى
وكـــم قـــد بـــدا أنّ الوريقـــةَ قفـــرةٌ
وأنّ انهمــارَ الشــعر قــد أصــبح الــوبلا
فحـــدقَ فـــي مـــا خطـــهُ وهـــو هـــانئٌ
وأنملــهُ تجــري علــى طرســه عجلــى
هنـــا شـــاعرٌ يشـــدو بإشـــراق مولـــدٍ
ولــم يعــصِ إيحــاءً علــى فكــره يتلــى
فقـــد كـــان مســـكوناً بـــروح قصـــيدةٍ
تهــشُّ لهــا، مــن لهفــةٍ، روحــه الجــذلى
يحـــاول حمـــلَ الـــذكريات بفكـــرةٍ
فتســعى بهــا الألفــاظ مــا جهــدتْ حمــلا

وينقلهـــا مـــا بـــين معنـــىً وغيـــرهِ
فينشـــى ســـروراً حينمـــا يحســـنُ الـــنقلا
ســـعتْ نحـــوه الغـــاداتُ ماســـت قـــدودها
بقامـــاتِ أرمـــاحٍ، وكـــم شـــابهتْ نخـــلا
حســـــانٌ كأقمـــــارٍ تواثـــــبُ حولـــــه
ولـــم يـــدرِ مـــن منهـــا علـــى قلبـــه اســـتولى
أحاطـــت بـــه آيـــاتُ حســـنٍ فمـــن تـــرى
أشـــدُّ لـــه أســـراً، ومـــن روحـــه أغلـــى!
فواحـــــدةٌ غيـــــداءُ تجـــــذبُ عاشـــــقاً
كريّـــا زهـــور الـــروض إذ تجـــذب الـــنحلا
وثانيـــــةٌ حـــــوراءُ تســـــتلُّ مقلـــــةً
كســـيفٍ رهيـــفِ الحـــدِّ للصـــبِّ قـــد ســـلا
وثالثـــــةٌ غـــــراءُ تزهـــــو بطلعـــــةٍ
كـــأنَ ضـــياء الصـــبح مـــن نورهـــا هـــلا
وأخـــرى لهـــا طـــرفٌ يشـــير فتـــورهُ
إلـــى علـــةٍ، لكنـــه قـــطُّ مـــا اعـــتلا
ويـــا لعليـــلٍ صـــار بالحســـنِ قـــاتلاً
ولكنـــه يُحيـــي أحبتـــهُ قـــتلا
رنـــا الشـــاعر المـــذهولُ للغيـــد إذ مضـــتْ
تريـــهِ خـــدودَ الـــورد ترتشـــف الطـــلا
وتعطيـــه مـــن نـــزف الجـــراح لـــذاذةً
فقـــد كانـــت الأســـيافُ أعينهـــا الـــنجلا
لـــه اللهُ لـــم يجحـــدْ روائـــع فتنـــةٍ
وإنْ وجســـتْ منهـــا مشـــاعره الـــوجلى
قـــرأنَ الـــذي قـــد خـــطّ، فـــاهتزّ نشـــوةً

وقــد أشــرقتْ زهــواً أســاريره الخجلــى

وكـــلٌّ تمنـــتْ لـــو عناهـــا بشـــعره

فـــإنّ لهـــا حســـناً بمـــا خطـــهُ أولـــى

رأى نفســـهُ فـــي حفـــلِ زهـــرٍ كشـــوكةٍ

وكـــم شـــوكةٍ باهـــتْ بـــأنْ ســـكنتْ حقـــلا

أحطـــنَ بـــه، هـــذي تســـلُّ بعينهـــا

حســـاماً، وهـــذي عينهـــا تقـــذف النـــبلا

وتلـــك كطعـــم الشـــهد كـــان حـــديثها

فلـــم يـــروَ صـــادٍ منـــه نهـــلاً ولا عـــلا

وكـــم ظـــنَّ أنّ الغيـــدَ كـــنَّ لذاتـــهِ

وبهجـــة ماضـــيه، فأرجعنـــهُ طفـــلا

تـــدلُّ بحســـنٍ كـــم حـــلا فيـــه كبـــرهُ

وكـم يسـتطابُ الحسـنُ إنْ عـزّ واسـتعلى

وراق لإحـــداهنَّ بـــاللطف عذلـــهُ

وأكـرمْ بحسـنٍ قـد أبـاحَ لهـا العـذلا:!

لمـــاذا نبـــذت الحفـــل فـــي الـــركن لائـــذاً

بصـمتٍ كمـا لـو شـئتهُ صـاحباً خـلا!

ألســـتَ تـــرى كـــم يبـــذل الحفـــل حولـــه

ضـروباً مـن الإمتـاع تسـتأهل البـذلا!

فقـــال، وكـــم يجلـــو الجـــواب طويـــةً

فـإنّ بيـانَ الصـدق صـار بـه سـهلا:

أنـــا شـــوكةٌ بـــين الزهـــور، ولا أرى

لهـا الحـقَّ فـي طيـب المقـام ولا العـدلا

وحينـــا أرانـــي دوحـــةً فـــي شـــتائها

فـإنّ الربيـع الغـضَّ عـن عمرهـا ولـى

فما ملكتْ إلا صلابة جذعها
عساها لزهرٍ تنشر الأمنَ والظلا
فقالت له أخرى، وقد ضاء وجهها
كوجه تمام البدر، أو إنه أحلى:
ألمْ تدرِ أنّ الشوكَ يحرس زهرةً
ويبقي عليها عمرها قبلَ أن تبلى!
لتنأى بزهو العمر عن كأس قاطفٍ
فلن تعرفَ الأسر الوبيل ولا الذلا
فإنْ بليتْ في حينها عاش فوحها
فأعطى لها عمراً جديداً، فلا تسلى
فقال لكلٍّ: باركي عزلةً، بها
أرى ما يراه الحقُّ، والغاية المثلى
فكلٌّ يراها الحسُّ والطرف زهرة
ومن لم يشاهد غيرَ هذا فقد ضلا
ذريني أرَ الأزهار آياتِ خالقٍ
لتنفثَ عطراً مثلما تنفث النبلا
أراها على مرج نضير فأنتشي
وقد طهرتْ روحي بألوانها غسلا
فما شئتُ منها غير بثٍّ أريجها
وحاشا لعرفٍ أن نظنَّ به بخلا
وما نحنً إلا كالفراشات حولها
نحومُ، ولا ننسى لما أغدقتْ فضلا
وأعظمْ بحسنٍ قد تسامى طماحه
لكي يرشدَ الإحساسَ والقلبَ والعقلا!
وتبقى الغواني الغيدُ يجهلن شاعراً

فــإنْ زدنَ علمــاً عنــه، زدنَ بــه جهــلا

وكـــم بالفضـــول الحلـــوِ يصـــنعن أجنحـــاً

ليبلغنـــــهُ، لكـــــنّ أفاقـــــهُ أعلـــــى

عمان ٢٠١٠/١/٦

لقاء العشرين والثمانين

يـــا بنـــتَ عشـــرينَ يـــا أخـــتَ الريـــاحينِ
هـــلاّ تـــذكرتِ أنـــي فـــي ثمـــانيني!
مـــا زال عمـــركِ فـــي ريعـــان روعتـــه
مـــا مســـهُ زيـــفُ تجميـــلٍ وتلـــوينِ
لكـــنّ عمـــري شـــتاءٌ صـــامتٌ أبـــداً
مـــذْ غادرتـــهُ أغاريـــد الحساســـينِ
أضـــحى حكايـــاتِ تـــاريخ نســـيتُ بـــه
إنْ كنـــتُ أطويـــه أو إن كـــان يطـــويني
كانـــت أفـــانينُ ســـحرِ الحســـنِ آســـرةً
لكـــنْ صـــبرتُ علـــى ســـحرِ الأفـــانينِ
كـــم زيـــنَ الشـــوقُ لـــي آيـــاتِ غانيـــةٍ
تجلـــو روائعهـــا مـــن غيـــر تـــزيينِ
لاحـــت كزهـــرةِ مـــرجٍ فـــي نضـــارتها
لكنهـــا لـــم تكـــنْ بـــالقطف تغرينـــي
قنعـــتُ منهـــا بحســـنِ الزهـــر تلثمـــهُ
عينـــي، ويســـبقها عطـــرٌ، فينشـــيني
ظننـــــتِ أنّ كـــــلالَ العمـــــر يخـــــذلني
وعـــن ســـبيل ســـلام الـــنفس يقصـــيني
وأنّ نفســـــي لهـــــذا الحســـــنِ طائعـــــةٌ
جـــذلى، وأنّ ثمـــانيني ستعصـــيني
وخلـــتِ أنّ اعتزالـــي كـــان مـــن غمـــمٍ
فجئـــتِ باللهفـــة الـــولهى تواســـيني
لـــم أجحـــدِ الحســـنَ فـــي حـــسٍّ وفـــي بصـــرٍ
وفـــي وجيـــبٍ بنـــار الحـــبِّ يصـــليني

ولم أموهْ أساريرَ الهوى أنفاً

إما غدتْ زفراتُ الوجد تضنيني

تدرينَ فطرةَ تكويني وصبوتها

فإنها بالهوى والشوق تكويني

قرأتِ أسطارَ إعجابٍ سعدتِ بها

إذ دونتْ فوق وجهي خيرَ تدوينِ

ما احتجتُ لفظاً يبثُّ الشوقَ من ولهٍ

فالوجدُ في نظراتي كان يكفيني

جمالكِ الفذُّ أضحى في دمي لهباً

فراح يجري سعيراً في شراييني

لبثتُ بالصبر والإصرار أخمدهُ

حتى تريْ أنه ما عاد يعنيني

حدقتُ فيكِ، ولي طرفٌ يسائلني

من أين كانت وفودُ السحر تأتيني!

هذا محياكِ فجرٌ في تلألؤهِ

وكم بضحوةِ إشراقٍ يمنيني

وتلكَ عينكِ بالصهباء قد ملئتْ

لكنها من حلال الراح تسقيني

وتلكَ بسمتكِ الغراءُ، من خفرٍ

يا للطفِ في بهجة اللقيا تحييني

تذكري، والهوى المشبوبُ يلفحني

والشوقُ يسفعني، أني من الطينِ

وأنّ عقلي ملاكٌ ظلَّ ينصحني

وأنّ نفسيَ شيطانٌ يناديني

لم أنسَ قدرَ ثمانيني وعزتها

فإنهـــا مــــن وبيـــل الغـــيِّ تنجينـــي

وأنّ للحســــــنِ حقـــــاً لا يـــــؤول إلـــــى

هـــــونِ الضــــحايا، ولا ذلِّ القـــــرابينِ

فلســـــــتُ أحتـــــاج تلقينــــــاً لأدركـــــهُ

فـــالحقُّ يحضـــرني مـــن غيـــر تلقـــينِ

يظـــلُّ أبلـــجَ مثـــلَ النـــور فـــي فلـــقٍ

وقـــد تســـامى علـــى حـــدسٍ وتخمـــينِ

رصـــانةُ العمـــر غـــوثٌ أســـتجير بـــه

فهـــو المعـــينُ علـــى كيـــد الشـــياطينِ

والطهـــرُ فـــي الـــروح، عمـــا شـــاهَ، يبعـــدني

وســـــورةُ الطـــينِ للـــــزلاتِ تـــــدنيني

هــــذا يرينــــي طريــــقَ الرشـــــدِ لاحبــــةً

وتلــــكَ بالحســــنِ تــــدعوني وتغـــويني

العشـــــقُ يـــــا غــــادتي، لا ريــــبَ أرهبـــهُ

فإنــــه فــــي فــــؤادي حــــدُّ ســــكينِ

وإنــــه النــــــارُ مـــــا تنفــــكُّ مضـــــرمةً

ولســـتِ بالنـــارِ يـــا حســـناء تطفينـــي

ولســـــتِ ورقــــــاءَ بــــالتغرير أقتنصــــها

ولـــيس فـــي فطرتـــي بطـــش الشـــواهينِ

حمــــــدتُ للهِ أنــــــي كنــــــتُ محتميــــــاً

بمـــا توخيـــتُ مـــن عقلـــي ومـــن دينـــي

يبقـــى يقينـــي يقينـــي إن طغـــى جلـــلٌ

ومـــن بـــلاءٍ ومـــنْ دهيـــاءَ يحمينـــي

غفـــرتُ للـــنفس مـــا أضـــحى يراودهـــا

فـــالنفس تضـــعفُ بـــين الحـــين والحـــينِ

كــــي أجعــلَ الحــقَّ برهانـــاً علـــى خلـــقٍ
ففـــي حيـــاتي حشـــودٌ مـــن براهينــــي
يـــا زهـــرةً لـــم أشـــأ كأســـي تفـــوز بهـــا
فإنمـــا عطرهـــا الفـــواحُ يرضــــيني
غابـــت مـــوازينُ حـــبٍّ عنـــكِ مـــن خطـــلٍ
فـــاخترتِ شـــيخاً، فعـــودي للمـــوازينِ
كيـــف انجـــذبتِ لـــدوحٍ لـــم يعـــدْ نضـــراً
وفيـــكِ نضـــرةُ أزهـــار البســـاتينِ!
أفنانـــهُ لـــم تعـــدْ غـــراءَ ناديـــةً
وغـــاب مـــا كـــان مـــن حســـنٍ ومـــن لـــينِ
وددتُ أبقـــى غريبـــاً عنـــكِ، لا ألـــمٌ
يشـــقيكِ، أو شـــجنٌ، إمـــا أتـــى حينـــي
ولســـتِ تبكيننـــي، إنْ غبـــتُ مـــرتحلاً
كـــي تتركـــي أعـــينَ الأيـــام تبكينـــي
كـــوني لروحـــي نســـيماً ناديـــاً عبقـــاً
ولا تكـــوني لهيبـــاً فـــي براكينـــي
وصـــاحبي الـــدربَ طيفـــاً لا يفـــارقني
حتـــى يصـــيرَ ربيعـــاً فـــي ميـــاديني
وابقـــيْ حشاشـــةَ ذكـــرى فـــي مخيلتـــي
أو نـــبضَ شـــعرٍ يغنـــى فـــي دواوينـــي
هبـــي صـــباكِ انطلاقـــاً فـــي مراتعـــهِ
لا تجعليـــه ســـجيناً فـــي ثمـــانيني
أعطيـــهِ كـــلَّ الـــذي يرضـــي الحيـــاةَ، ولا
تلقـــي بأيـــارَ فـــي أحضـــانِ تشـــرين
عمان ٢٠١٠/٣/٩

مستوحاة من أحد مشاهد الغوص لجمع أصداف اللؤلؤ في الكويت.

صور أخرى للدرة

حـــــدق الغــــــائصُ فــــي روعــــــة درةْ
فانتشـــى، إذ حســـنها الســـاحر سَـــرَّهْ
كـــــم محـــــاراتٍ تهـــــاوتْ حولهـــــا
وترامــــــتْ كســــرةً تتبــــع كســـــرةْ
مـــــا حــــوتْ دراً، علــــى كثرتهـــا
فوجــود الـــدرُّ فـــي الأصـــداف نـــدرةْ
بعطايـــــا الحــــظِّ كــــم قـــد فــــاخرت
درةٌ بالحســــــنِ والرونــــــقِ ثــــــرةْ
هـــــيَ مــــن جــــرح محــــارٍ خُلقـــتْ
مــــذ دهتــــهُ طعنــــةُ الرمــــل بــــذرةْ
جــــلَّ مــــن أعطــــى محــــاراً فطــــرةً
تـــدفنُ الرمـــلَ لكـــيْ تـــأمنَ شـــرةْ
ســــــكبتْ حـــــولَ دخيـــــلٍ عبـــــرةً
يـــا لحســـنٍ ضـــاء مـــن صـــنعةٍ عبـــرةْ!
ســــــرحَ الغـــــــائصُ فـــــي درتـــــهِ
نظـــراً مـــن دهشـــةٍ ولهـــى، وحيـــرةْ
قلبتهـــــا كفـــــهُ فـــــي لهفـــــةٍ
وازدهــــاءٍ وحبــــورٍ ألــــفَ مــــرةْ
فتبــــــدتْ فــــــذةً كــــــالفجر إذ
يتهــــادى موكــــب الأنــــوار عبــــرهْ
مــــــلأتْ عينيــــــهِ أمــــــواج ســــــنىً
لـــم يـــدعْ لألاؤهـــا ظـــلاً لشـــعرةْ

ضـــــمها الإعجـــــابُ لمـــــا ائتلقـــــتْ

بارتعـــاش الطـــرف فـــي أحضـــان نظـــرةْ

هــــذه أثمـــــنُ مـــــا قــــد حــــازه

مـــن عطـــاء البحـــر إذ أجـــزل أجـــرهْ

إنهـــــا لقيــــــةُ حــــــظٍّ مـــــنعمٍ

أســـعدتْ بعــــد دؤوب الكــــدِّ عمــــرهْ

نســــــيَ الأهــــوالَ فــــي درتــــهِ

ونـــأتْ عـــن حســـهِ أوصـــاب ســـفرةْ

لـــــم يعــــدْ يخشـــى خضـــماً مزبـــداً

فـــي عتـــوِّ المـــوج، أو يرهـــب غـــورهْ

راح يزهـــــــو بثـــــــراءٍ واعــــــدٍ

وهـــو لا يخفـــي بمـــا قـــد حـــاز فخـــرهْ

وانقضــــى إعجابــــهُ فــــي لمحــــةٍ

إذ غـــدا ســـيفاً بـــه يصـــرع فقـــرهْ

لـــــم تـــــزدْ درتــــهُ عــــن مطمـــحٍ

فبـــهِ يســـعى إلـــى جـــاهٍ وشـــهرةْ

نظــــرةُ الإعجـــاب بالحســـنِ غـــدتْ

كرمــــادٍ خامـــدٍ مـــن بعـــدِ جمـــرةْ

لــــــم يـــــرَ الــــــدرة إلا ثـــــروةً

بعـــد أن أرهـــق بـــؤسُ الكـــدح صـــبرهْ

***

كــــم لنــــا الــــدرةُ لاحـــت صـــوراً

حـــين أبـــدى الجـــوهر الرائـــع ســـحرهْ

فنراهــــــا أوجهــــــاً شـــــتى، ففـــــي

كـــلِّ وجـــهٍ نلتقـــي معنـــىً وعِبـــرةْ

فهـــــيَ وعــــــدٌ بثــــــراءِ للـــــذي

يجمـــــعُ الـــــدرَّ ولا يَجهـــــلُ قـــــدرهْ

لـــــم تحـــــركْ فيـــــه إلا مطمعـــــاً

لـــم يـــزل فـــي خلجـــات الـــنفس فطـــرةْ

بخيـــــالٍ جـــــامحٍ مستبشـــــرٍ

ظـــلَّ يستشـــرف، بعـــد العســـر، يســـرهْ

ليراهـــــا بـــــالنهى فاعلـــــةً

مثلمـــا تفعـــل بالشـــارب خمـــرةْ

راح يجلوهـــــا بســـــمتٍ بـــــاهرٍ

وذكـــاءٍ ســـال مـــن شـــلال خبـــرةْ

فهـــيَ إغـــراءٌ تـــرى الغيـــدُ بـــه

مـــا يـــراه النحـــل مـــن إغـــراء زهـــرةْ

ربَّ حســـــناءَ إليهـــــا نظـــــرتْ

بافتتـــانٍ طالمـــا خلـــفَ حســـرةْ

فمضـــــتْ عنهـــــا بقلـــــبٍ موجـــــعٍ

وســـماتٍ أظلمـــتْ غمـــاً وكـــدرةْ

ربَّ حســـــنٍ وازرٍ فـــــي دلـــــهِ

يتمنـــى الصـــبُّ أن يحمـــلَ وزرهْ

لـــــيس يـــــزري بـــــالغواني أنهـــــا

ودعـــتْ دراً بـــآهٍ أو بزفـــرةْ

لـــــم تجـــــدهُ طاغيـــــاً فـــــي كبـــــرهِ

أيعيـــبُ الحســـنَ أن يظهـــرَ كبـــرهْ!

ولكـــــم فـــــي غـــــادةٍ قـــــد هيجـــــتْ

صـــبوةً حـــرَّى وشـــوقاً ومســـرةْ

فتباهـــــتْ حـــــين حـــــازت درةً

أنهـــا تملـــكُ ســـلطاناً وقـــدرةْ

يــــا لصـــــنوينِ بهـــــاءً وســـــنىً

إذ جــــلا كـــلٌّ تحايــــاهُ وبشــــرهْ!

ربَّ عقـــــدٍ تـــــاه عجبــــاً، وازدهــــى

أنّ أحلـــى الـــدرِّ قـــد زيـــن صـــدرهْ

كيـــــف ينســــى درةً مــــا نســــيتْ

أنهـــا كانـــت بحضـــنِ البحـــرِ حـــرةْ!

شـــــغفتْ بالعقـــــد إذ عانقهــــــا

بهيـــــامٍ، إنّ للوالـــــهِ عـــــذرهْ

وارتضــــتْ عنـــد حســـانٍ أســـرها

يـــا لمأســـورٍ غـــدا يعشـــقُ أســـرهْ!

فهـــــيَ زارت باشـــــتياقٍ شـــــبهها

ولكـــمْ تكـــرمُ بعـــد الشـــوق زورةْ!

لـــم تعـــدْ تأســـى علـــى مـــا فارقـــتْ

أينـــوحُ الزهـــرُ إنْ فـــارقَ عطـــرهْ!

****

كيـــــف للعـــــالمِ لاحـــــت درةٌ

حينمـــا، فـــي وصـــفها، أجهـــد فكـــرهْ!

هـــــل تبـــــدتْ خلقـــــةً ممزوجـــــةً

بهـــــلامٍ تجهـــــل الألبـــــابُ أمـــــرهْ!

أو تــــراءت فـــــي خفايــــا صـــــنعها

مثلمــــا تبــــدو أعاجيــــبُ مجــــرةْ!

يـــــا لهــــا معجـــــزةً فـــــي قمقـــــمٍ

يتمنـــى الســـاكن المأســـور هجـــرهْ

مـــــا غنـــــاءُ الـــــدرِّ يبقــــى غيهبــــاً

يســـكنُ الغـــورَ ولا يبـــرحُ بحـــرهْ!

مثـــلَ يـــومٍ لـــم يفارقـــهُ الـــدجى

فسلا في غمرة الظلمة فجرهْ

كم يعزُّ الدرُّ إنْ هامت به

غادةٌ، أو نال في العقدِ مقرهْ

***

كيف للشاعر لاحت درةٌ

وهو يشدو ملءَ سمع الليل شعرهْ!

هل بدتْ خلقاً بهياً معجزاً

فمضى يزجي لربِّ الخلق شكرهْ!

أو رآها دمعةً فاضت بها

مقلةُ البحر وقد فارق درةٌ!

أو رآها بسمةً من عاشقٍ

حينما أزلف للترحيب ثغرهْ!

أو رأى الدرةَ أضحتْ أرجاً

ورأى الخَوْدَ نسيماً شاء نشرهْ!

أو تبدتْ لفظةً خلابةً

فلكمْ جملَ باللفظةِ سطرهْ!

أو تبدتْ عالماً يوحي بما

يطربُ الشعرَ وما يُبهجُ سفرهْ!

عزَّ معنىً في بيانٍ، فإذا

كلُّ معنىً فيه قد أصبح درةْ

جلَّ من أبدع خلقاً مذهلاً

حينما، في خلقهِ، أودع سرهْ

فحلا التقديسُ بالشعر لمنْ

مجَّدَ الوجدانُ والإحساسُ ذكرهْ

كم جليل من صغير أصلهُ

فلكمْ دَوْحٍ غدا ينمى لبذرةْ

ووميضُ الفجر يفضي للضحى

واجتماع البحر من تكرار قطرةْ

كـــــــلُّ علــــــــمٍ وبيـــــــانٍ مفلــــــــقٍ
لا يســـاوي فـــي هشـــيم الشـــوك إبـــرةْ
كـــــــلُّ خلــــــق الله يبـــــــدو واحـــــــداً
فســـــــــواءٌ درةٌ فيـــــــه، وصـــــــــخرةْ
عمان ٢٢/٤/٢٠١٠

أحزان شيخ

حزنـــي علـــى حـــزن شـــيخ صـــابر قاســـى
لمـــا غـــدا بهمـــومِ الخلـــق حساســـا
فظـــلّ منـــذ الصـــبا المحـــروم يجمعهـــا
لكـــي تصـــيرَ بمـــرِّ العمـــر أكداســـا
فضـــمها لهمـــوم الـــنفس إذ حشـــدتْ
مـــن المواجـــع أضـــراباً وأجناســـا
أرتـــهُ أعوامـــهُ الأولـــى غوائلهـــا
فلـــم تكـــنْ كلهـــا، للطفـــل، أعراســـا
فكلمـــا عـــبَّ مـــن كـــأسٍ مرارتهـــا
زادتـــهُ أيامـــهُ مـــن صـــابها كاســـا
لعـــلَّ ألـــوانَ بـــؤسٍ مـــن طفولتـــه
أضـحتْ لأشـجان أهـل الأرض مقياسـا
أســرَّها وهـــوَ طفـــلٌ، ثـــم بـــاح بهـــا
شـيخاً، فصـار عـذابُ الفكـر وسواسـا
تحصـــي بـــوخز الجـــوى دقـــاتِ مهجتـــه
حتـــى تعـــدَّ بوقـــع الحـــزن أنفاســـا
أعطـــى لـــه الأوجُ مـــن غـــمٍّ ومـــن تـــرحٍ
صـــبراً، فمـــا زادهُ همـــاً وإتعاســـا
فـــالحزن كالفـــأس إنْ تطعـــنْ صـــدور ثـــرىً
هـــشَّ الثـــرى جـــذلاً كـــي يشـــكرَ الفاســـا
فـــالطعنُ أزجـــى لحقـــلٍ يـــائسٍ أمـــلاً
حتـــى يُطيِّـــبَ أثمـــاراً وأغراســـا
مـــا أعظـــمَ الشـــعرَ إمـــا هاجـــهُ ألـــمٌ
فقـــد حبـــاهُ عـــزاءً حينمـــا واســـى!

كـــأنّ ألفاظـــــهُ قبـــلَ الوئـــام حصـــــىً
لكـــنْ إذا ضـــمها بيـــتٌ غـــدتْ ماســـا
جـــرى بجـــرحِ وقـــد ســـال اليـــراع بـــه
فـــراحَ يـــدمي بفـــيضِ الجـــرح قرطاســـا
ولكـــم علـــى روضِ معنـــىً داس منتشـــياً
ليســـــتثيرَ عبيــــــراً حيثمـــــا داســــا
لـــــم يبـــقَ إلا بيـــانُ الشـــعر يذرفـــه
عســـاهُ يغســـلُ أوضـــاراً وأرجاســـا
ومـــــا تبـــدتْ لـــــه الـــدنيا بزخرفهـــا
إلا منامـــــاً كئيـــبَ الســـمتِ عباســــا
ومـــــا رآهـــــا، وقـــــد تاهـــــت بشِـــرَّتها
إلا كغـــابٍ، وفيـــه وحشـــهُ جاســـا
الخيــــــرُ عبــــدٌ لطغيـــانِ وهيمنــــةٍ
والشـــرُّ أصـــبح للأحـــرار نخاســـا
والحــــقُّ يعنــــو لجبــــارِ وعاتيــــةٍ
والظلـــمُ، فـــي بغيـــهِ، يغتـــال قسطاســـا
كأنمـــا الفجـــرُ لـــم يصـــبحْ بغرتـــه
لمولـــد الصـــبح مشـــكاةً ونبراســـا
طـــوبى لشـــيخِ، وقـــد ضـــمتهُ عزلتـــه
فجـــاش همـــاً وتفكيـــراً وإحساســـا
أحـــــبَّ صـــــحبة كتـــــبٍ لا يفارقهــــا
صـــارت لخلوتـــه صـــحباً وجلاســـا
لـــــم يـــنسَ أنّ بنـــي الـــدنيا أقاربـــهُ
وبالـــذي قـــد أســـاءوا طـــامنَ الراســـا
لـــم يـــنسَ فطـــرةَ طـــينِ فـــي نـــوازعهم

وأنّ شـــــيطانهم مـــــا زال خناســـــا

أحـــــسَّ بـــــالإثم إذ إخوانـــــه أثمـــوا

فلـــم يعـــودوا علـــى الأخـــلاق حراســـا

كـــم ودَّ لـــو ذكـــروا أن المصـــير غـــداً

لهــــمْ يهــــيءُ أكفانـــــاً وأرماســـــا

وأنّ فـــــي عـــــدلِ تــــاريخٍ لموعظـــــةً

لـــم تبـــقِ قـــدراً لظُـــلاَّمٍ، ولا باســـا

تضـــــرع الشـــــيخ للـــــرحمن مبـــــتهلاً

فـــــذكرهُ يهـــــبُ الوجـــــدانَ إيناســـــا

ليســـتْ ســـعادتهُ مـــا نـــال مـــن متـــعٍ

لكـــنْ ســـعادتهُ أن يســـعدَ الناســـا

عمان ٢٠١٠/٥/٣١

إلى طفلة نائمة

نـــامي علـــى رغـــدِ الأحـــلام وابتســـمي
وأيقظـي الشـعرَ فـي حسـي ومـلءَ فمـي
وصــــيري مهجتــــي قيثــــارةً صــــدحتْ
نشـوى بأعـذب مـا تهـوى مـن الـنغمِ
وهدهــــدي فــــيَّ طرفــــاً مجهــــداً أرقــــاً
وأســعدي فــيَّ جرحــاً غيــرَ ملتــئمِ
وأشــرقي فــي حنايــا الــروح ســاطعةً
كـي تجعلـي فرحـي نـاراً علـى علـمِ
وألهمينــــــي بيانــــــاً هــــــزهُ جــــــذلٌ
لمـا انتشـى فسـرى فـي الطـرس والقلـمِ
دنيـــاكِ دنيـــايَ لا أخشـــى المجـــيء لهـــا
فمـا دعـاني إليهـا سـطوُ مقـتحمِ
حــــبٌّ الطفولــــةِ حــــسٌّ لا يغــــادرني
وكـم تخيلتـهُ قـد صـار بعـضَ دمـي
أرى أســــــاريركِ الغــــــراءَ ناطقــــــةً
فمـا دعـاهنَّ إيضـاحٌ إلـى كلـمِ
أكــــاد أقســــمُ إنــــي بــــتُّ معتنقــــاً
روحـيَ، ومـا كنـتُ محتاجـاً إلـى قسـمِ
غنمــــتُ حســــناً زهــــتْ فيــــه طهارتــــهُ
وجـلَّ مـن قـد حبـاني خيـرَ مغتـنمِ
قاســـمتكِ الحلـــمَ مـــن حـــبٍّ ومـــن شـــغفٍ
حتـى لأبصـرُ مـا تلقـين فـي الحلـمِ
مــــا الحلــــمُ إلا كمــــا شــــاءت طفولتــــهُ
ومـا لغيـرِ أحاسـيس النقـاء نمـي

علـــى محيـــاكِ رؤيـــا غيـــرُ نائمـــةٍ
أعجـبْ بمـنْ فـي اعتنـاق النـوم لـم تـنمِ!
لهـــا عـــوالمُ مـــن لهـــوٍ وقـــد برئـــتْ
مـــن اللـــواعج والأحـــزانِ والغمـــمِ
فـــاللهوُ جـــوعٌ وكـــم تحلـــو براءتـــهُ
ولـــيس يـــزري بـــه إمعـــانُ ملـــتهمِ
فلـــيس يعـــذلُ روضٌ فـــي تشـــوقه
إنْ ظـــلَّ يحلـــمُ بالأنـــداء والنســـمِ
ولـــيس يعـــذلُ مـــرج يشـــتكي ظمـــأ
إذا تصـبَّى لمـا فـي الغيـث مـن كـرمِ
ولا تـــلام زهـــورٌ إنْ هـــي ارتشـــفتْ
عصـارةَ النـور، مـن شـوق ومـن نهـمِ
أحـــرى بوجهـــكِ أنْ تبقـــى وضـــاءتهُ
شمسـاً تسـلُّ سـيوفَ النـور فـي الظلـمِ
مـــا أروعَ الحســـنَ تجلـــوه نقاوتـــهُ
يهـــزُّ روحـــي بوجـــد غيـــرِ مـــتهمِ!
وكـــم دعـــوتُ إلهـــي أن يســـوق لـــه
دربـــاً يعـــود إلـــى الأخـــلاق والقـــيمِ
فـــالكمُّ يُكملُـــهُ زهـــرٌ ويســـعدهُ
والحســـنُ يكملـــه حـــظٌّ مـــن الشـــيمِ
حســـبي مخايـــلُ نبـــلٍ فيـــكِ ناصـــعةٌ
مضـيتُ أمحـو بهـا مـا اسـودَّ مـن سـأمِ
عمـــري وعمـــركِ طـــال البـــونُ بينهمـــا
شـــتانَ بـــين ســـفوح الطـــود والقمـــمِ
ولا أرى فـــي مُضِـــيِّي غيـــرَ خاتمـــةٍ

قــد شــاءها الله لــي فــي رحلــة الهــرمِ

هـــي الحيـــاة كمـــا الـــرحمنُ قـــدَّرها

أعظِــمْ بعـــدلِ قضـــاءِ الحُكْــمِ والحَكَــمِ!

فـــلا أرى فـــي رحيلـــي فـــي نهايتهـــا

فنـــاءَ حـــيٍّ ولا تســـليمَ منهـــزمِ

لكـــنْ أرى راحـــةَ الإيمـــان تســـعدني

فــنحنُ بــالموت لا نمضــي إلــى العــدمِ

وكيــف أرجــو خلــوداً فــي الحيــاة، ولــم

تعــطِ الــدوامَ لحــيٍّ، فهــي لــم تــدمِ!

حمـــاكِ يـــا طفلتـــي ربُّ الأنـــام، وقـــد

بــدوتِ كالبلســم الشــافي مــن الســقمِ

طـــوبى لبيـــتٍ وقـــد تمـــتْ ســـعادتهُ

إذ الطفولـــةُ فيـــه أجمـــل الـــنعمِ

ســـألتُ ربـــيَ أن تلقـــيْ برحمتـــه

عمـــراً ســـعيداً، بـــلا هـــمٍّ ولا ألـــمِ

كـــي تلبثـــي بحيـــاةِ الطهـــرِ هانئـــةً

وتفخـــري بنقـــاء الـــروح، والشـــممِ

وكـــي تفـــوزي بقلـــبٍ لا تخـــامرهُ

غوايـــةٌ، وبحبـــلِ اللهِ معتصـــمِ

نـــامي لتبقـــى لحـــاظُ الحـــبِّ ناهلـــةً

مـــن نبـــع حســـنكِ حتـــى آخـــرِ الحلـــمِ

٢٠١/٦/١

الجبل والسيل

العمـــــرُ مــــرَّ كمـــا ربُّ القضـــاء قضـــى
وكـــم تخيلتـــــهُ مثـــلَ الهزيـــع مضـــى
أو مثـــلَ بـــرقٍ يـــرى فـــي شـــحٍّ ومضـــتهِ
جـــوداً، ويـــزري بعمـــري كلمـــا ومضـــا
طويتـــــهُ أو طـــــواني وهـــــو مصـــــطبرٌ
فصـــار يحمـــل مثلـــي الهـــمَّ والمضضـــا
أو إنــــه القلـــبُ مـــا زال الشـــغاف بـــه
يبـــثُّ أحلـــى أمانيـــهِ إذا نبضـــا
ســـعى علـــى الـــدرب مرهونـــاً بخاتمـــةٍ
ســـيان إمـــا مشـــى ريثـــاً وإن وفضـــا
لـــم يضـــنهِ وقـــرُ أعـــوام يصـــاحبه
وربَّ دربٍ كــــــؤودٍ لاح معترضـــــا
ظـــلَّ الرجـــاءُ بــــه مستبشـــراً أبـــداً
واليـــأسُ ظـــلَّ كئيـــبَ الســـمت ممتعضـــا
يحثـــهُ قـــدرٌ فـــي رحلـــةٍ غمضـــتْ
مـــدىً، ولكنمـــا المحتـــومُ مـــا غمضـــا
فـــالعمرُ كـــان مـــن الأيـــام مقترضـــاً
وســـوف يرجـــعُ للأيـــام مـــا اقترضـــا
مضـــى يواكـــبُ حظـــاً عابثـــاً نزقـــاً
يريـــهِ وجهـــين: مســـروراً ومنقبضـــا
لكنـــه قابـــلَ الـــوجهينِ مبتســـماً
ولـــم يخـــامرهُ إنكـــارٌ لمـــا عرضـــا
شـــتانَ مـــا بـــين وجـــهٍ شـــاهَ مـــن غضـــبٍ
وحُسْـنِ وجـــهٍ بهـــيٍّ النـــور شـــعَّ رضـــى

كــــلٌّ عنـــا للــــذي قـــد ســـاقه قـــدرٌ

كمــــا أراد قضـــــاءُ اللهِ أو فرضـــــا

هـــــذا، إذا مــــا رأى للخيـــــر ســـــانحةً

لكــــي يفــيضَ ببــــذلٍ هـــبَّ وانتفضـــا

وذاكَ، إمــــا دعــــا غـــــوثٌ لمكرمـــــةٍ

تـــردُّ خطبــاً جلـــيلاً، شـــحَّ أو رفضـــا

كـــم ضـــاق عمـــري بآمـــالٍ، وقـــد جهـــدتْ

فلـــيس يحبـــوه حـــظٌّ عـــاثرٌ عوضـــا

وقـــــد يـــــرقُّ لـــــه حـــــظٌّ فيرحمـــــهُ

حينـــاً، فكـــم أمـــلٍ مـــن عثـــرةٍ نهضـــا

إنّ الثمـــانين مـــا صـــار القنـــوطُ لهـــا

ضـــيفاً، فيـــا ربَّ ضـــيفٍ شـــائنٍ بغضـــا

ســـمتْ علـــى نيـــةٍ يـــدعو لهـــا طمـــعٌ

إنْ أصـــبحتْ للثـــراء القصـــدَ والغرضـــا

فلـــم تشـــأ بثـــراءٍ أن يغيـــبَ ثـــرىً

فاللحـــدُ للموعـــد المقـــدور قـــد ربضـــا

كـــيْ يلبـــثَ العـــزُّ فـــي شـــخيوخةٍ مرضـــاً

إذ الـــدواءُ هـــوانٌ، يـــا لـــه مرضـــا!

ويلبـــــثَ الطـــــودُ معتـــــزاً بذروتـــــهِ

ويلبـــثَ الســـيل ســـخطاً ذلَّ وانخفضـــا

عمان ١٠/١١/٢٠١

سُبحةُ جَدِّي

لـــــم يـــــزلْ عـــــالمَ الطفولـــــةِ يُهـــــدي
ذكريـــــاتٍ تُـــــروَى بـــــأروع ســـــردِ
ربَّ وفـــــدٍ مـــــنهنَّ كنـــــتُ إليـــــه
أتصـــــبَّى، أكـــــرمْ بـــــه مـــــن وفـــــدِ!
حـــــاز عنـــــدي، كـــــالنبض، عزمـــــاً وقـــــدراً
وهـــــو مـــــا زال مثلمـــــا كـــــان عنـــــدي
كُلّمـــــا جمَّـــــعَ التَّخيُّـــــلُ حشـــــداً
فـــــي خِضـــــمّ الزحـــــام، فـــــاض بحشـــــدِ
فتـــــواثبن مـــــلْءَ فكـــــري، ولكـــــنْ
نَهـــــدَتْ بيـــــنَهُنَّ سُـــــبحةُ جـــــدّي
وتبـــــدّتْ حبّاتُهـــــا كـــــاللآلي
فاســـــتحالت بالحســـــنِ أبـــــدعَ عقـــــدِ
وتباهـــــتْ بأنهـــــا مِـــــن جمـــــانٍ
وكســـــاها النُّضـــــارُ آنـــــقَ بـــــردِ
وزهـــــاني، وقـــــد نشـــــيتُ حبـــــوراً
أنَنـــــي أســـــتعيدُ أجمـــــلَ عهـــــدِ
يـــــا لحبـــــاتِ ســـــبحةٍ راعشـــــاتٍ
ســـــاعياتٍ بـــــلا كـــــلالٍ وجهـــــدِ!
وهـــــيَ تهـــــوي فـــــي ســـــمطها بأنـــــاةٍ
واتـــــزانٍ، مـــــن غيـــــر كـــــدحٍ وكـــــدٍّ
حبـــــةً بعـــــد حبـــــةٍ تتـــــوالى
أتراهـــــا جاشـــــت بشـــــأوٍ وقصـــــدِ!
راح جـــــدي يـــــديرها بخشـــــوع
وعلـــــى ثغـــــرهِ تســـــابيحُ وجـــــدِ

مـــــا نســــيتُ ائتلاقهـــــا وســـــناها
وهـــو يرنـــو بلهفـــة نحـــو مهـــدي
أو نســـــيتُ الســـــرورَ بــــينَ يديـــــه
كلمـــــا ضــــمني ليلـــــثمَ خـــــدي
هـــل رأى فـــيَّ بعـــثَ عمـــرٍ جديـــدٍ
وهبتـــــهُ الحيـــــاةُ روح التحـــــدي!
أو رأى الســـــبحةَ الكريمـــــةَ تجلـــــو
بجـــلال التســـبيح عـــزمَ التصـــدي!
لــــم تخلـــــفْ لـــــه المقـــــاديرُ إلا
ســــبحةً لا تخـــاف مــــن مســــتبدٍّ
فحبــــتْ عمـــــرهُ ثباتـــــاً، فأضـــحى
لـــيس يـــزداد مـــن تـــواترُ عـــدٍّ
كــــم بتقليبهـــــا انبــــرى لمصـــــابٍ
بـــدعاءٍ لـــدى النوائـــب جلـــدِ
وابتهالاتـــــهُ غـــــدتْ همســـــاتٍ
لإلــــهٍ مقـــدسِ الســــرِّ فــــردِ
إنّ ذكــــرَ الإلـــــه إعـــــلانُ حــــقٍّ
صــــارخٍ فــــي معربـــدٍ معتـــدٍّ
ولكـــــمْ ســــبحةٍ تواكـــــب نجـــوى
هــــيَ للهِ مثــــلُ شـــكرٍ وحمـــدِ
وبهـــا كـــم لهـــتْ بنـــاني، إذا مـــا
نـــام جـــدي، وقـــد تعشـــقتُ ســـهدي
فحســــبتُ الحبـــاتِ أضـــحت عيونـــاً
أو كزحـــفِ الأمـــواج هاجـــت بمـــدٍّ
أو نجومـــــاً صـــــغيرةً ســـــابحاتٍ
فـــي معـــاريج أفقهـــا الممتـــدِّ
حومـــــتْ حولهـــــا لحـــــاظي هيامـــــاً
فتهـــاوى، فـــي لحظـــةٍ، كـــلُّ بعـــدِ

واحتوتهـــا كفـــي، فأحسســـت أنـــي

قـــد ملكـــتُ البهـــاءَ والســـحر وحـــدي

فـــإذا مـــا أفـــاق جـــدي، دعـــاني

وعلـــى وجهـــه عذوبـــةُ ورِدِ

ســـرهُ أننـــي خلْـــتُ بحبـــي

مـــن جمـــال الحبـــات ســـاعةَ ســـعدِ

لاح لـــي وجهـــهُ شـــفيفاً نقيـــاً

فتســـاوى مـــا كـــان يخفـــي ويبـــدي

وبـــه قـــد ذكـــرتُ قـــولاً كريمـــاً:

لـــيس أحنـــى مـــن قلـــب أمٍّ وجـــدِّ

كنـــتُ أرنـــو لـــه بطـــرفٍ انبهـــارٍ

مثـــلَ ســـفح إذ يشـــرئبُّ لطـــودِ

لاح فـــي طولـــه قصـــيّاً، ولكـــنَّ

قرَّبَتَـــهُ منـــي نـــداءاتُ ودِّ

رفـــدتني منـــه ســـماتُ حنـــانٍ

فحنـــانُ الأجـــداد أكـــرمَ رفـــدِ

وبـــدا لـــي بلطفـــه مثـــل طفـــلٍ

راح يمحـــو مـــا بيننـــا مـــن حـــدِّ

بمـــزاحٍ نهلـــتُ منـــه فراتـــاً

وحـــديثٍ حـــلا بهـــذرٍ وجـــدِّ

فيحيـــل الهـــمَّ العتـــيَّ رحيمـــاً

مثـــلَ صـــابٍ يحلـــو بقطـــرة شـــهدِ:

ظـــل عقلـــي متمتمـــاً بســـؤال

حـــول جـــدّي، فـــلا يفـــوز بـــردِّ:

هـــل غـــدتْ ســـبحةٌ لـــه مثـــلَ رمـــزٍ

كـــان يـــوحي لـــه بأصـــدق وعـــد!

أو تـــراهُ الإيمـــانُ فـــي قلـــب شـــيخٍ

شـــعَّ بـــالحقِّ مـــن يقـــينٍ ورشـــد!

ليـــتَ حلمـــاً يضـــمُّ شـــوقي لأمســـي

لأرانـــي ألهـــو بســـبحة جـــدي

عمان ٢٠١١/١/٣١

حقيقة الشعر

فــي كــأسِ فكــريَ فــيضُ الشــعر قــد حــلاّ
فنــال رائقــهُ مــن كأســه شــكلا
ظللــتُ أملؤهــا معنــىً وقافيــةً
ولفظــةً، فتباهــت بالــذي تُمــلا
تمازجــتْ فانتشــتْ مــن لطــفِ نكهتهــا
كأنهــا أصــبحتْ فــي مزجهــا أحلــى
لــم يختــرِ الشــعرُ شــكلاً فــي مصــادفةٍ
فــالوحيُ ألهــمَ فيــه الحــسَّ والعقــلا
أحــبَّ مثــوىً كريمــاً حــين هــشَّ لــه
وقــد تبــدى ودوداً رائعــاً ســهلا
مــا كــان أســعدهُ والكــأسُ تحضــنهُ
وقــد حبتــهُ بهــاءَ الهيئــةِ المثلــى!
لــم يــدرِ هــل كأســهُ ذلــتْ لــه شــغفاً
أو أنــه لمقــامٍ مــاتع ذلاّ!
مــا أكــرمَ الكــأسَ تلقــاهُ مرحبــةً
وقــد أعــدتْ لــه فــي حضــنها نــزلا!
وحســبهُ أنــه يحيــا بصــحبتها
ولــيس ينســى لهــا رفــداً ولا فضــلا
كــلٌّ لصــاحبه عــزٌّ يشــرفهُ
كأنــه الخــلُّ إمــا رافــق الخــلاّ
للشــعر حشــدُ ضــروبٍ لإعــدادَ لهــا
ليســت ســواءً إذا مــا صــنفتْ عــدلا
فــذا ظــلامُ تفاهــاتٍ، وذا ألــقٌ
وذا يســير علــى هــديٍ، وذا ضــلاّ

وذاك سـيفٌ لمجـدِ الضـادِ ممتشـقٌ

وذاك سـيفٌ لطعـنِ الضـادِ قـد سـلاّ

وكـم صـنوفٍ بـدتْ قتلـى بمولـدها

فالسـخفُ، مـذ ولـدتْ قـد شـاءها قتلـى

وأعجـبُ الأمـر أنّ الميـتَ لـيس لـه

لحـدٌ، وأضـحى بقـدرٍ بـاذخٍ أهـلا

وربَّ شـعر بـلا وزنٍ وقافيـةٍ

لكـنَّ إبداعـهُ قـد فـاخر الأصـلا

كالعقـدِ إذ ضـمّ شـملَ الحسـنِ فـي دررٍ

مـا كـان أروعـهُ إذ جمـع الشـملا!

أو كالمحـارِ بفخـرٍ حـاز لؤلـؤةً

ومـا رأينـا لهـا فـي لؤلـؤٍ مـثلا

سـيانِ إن كـان غـورُ البحـر موطنهـا

أو كـان شـطاً قريبـاً وادعـاً ضـحلا

سـيفتح الشـوقُ فـي يـومٍ محارتهـا

لكـي نراهـا، فـإنّ الحسـنَ لا يسـلى

لسـنا وإنْ غيبـتْ، ننسـى مكانتهـا

فكـم لآلـئ حسـنٍ غيبـتْ جهـلا

فـالوردُ يغلـو إذا مـا الشـوكُ خبـأهُ

فصـار فـي عـين صـبٍّ عاشـقٍ أغلـى

مـا كـان يحفـلُ إمـا كـان موئلـهُ

قفـراً يعـاني الصـدى، أو إنْ غـدا حقـلا

يكفيـهِ حـظٌّ مـن الإعجـاب يسـعدهُ

ينـال منـه حيـاة الحسـنِ أو يبلـى

وربَّ شـوكٍ غـدا للـوردِ حارسـهُ

وقــد تبــاهى بــأن أعطــى لــه ظــلاّ

أو صـــار للــــوردِ إكمـــالاً لروعتـــه

مـــا دام لا يحجـــبُ الأنـــوارَ والطـــلاّ

يلــــذُّ للفكـــــر أن يرقــــى بأخيلــــةٍ

وأن يـــرى شـــأوهُ مـــن أفقهـــا أعلـــى

ولا يـــروقُ لـــه معنـــىً يلـــوح لـــه

ســهلاً، ومــا دونــهُ قــد كــدَّ أو كــلاّ

فمـــا غنـــاءُ بيـــانٍ لا يلـــوحُ بـــه

إلا الوضـــوحُ، فمنـــه الفكـــرُ قــد مــلاّ!

إنْ لـــم يتـــهْ بـــرؤىً حســـناءَ تكنفـــهُ

وأنـــه بغمـــوضٍ بـــاهرٍ يجلـــى

مـــا نفـــعُ شـــعرٍ نـــأتْ عنـــا حقيقتـــهُ

إذ الهـــراءُ عليـــه الـــنظم قـــد دلاّ!

فظـــنَّ ميزانـــهُ ينجيـــهِ مـــن عـــوجٍ

وأنـــه باكتمـــال الـــوزن مـــا اخـــتلاّ

شـــعرُ الحداثـــةِ وافانـــا بلهفتـــهِ

ضـــيفاً، وبـــالجمِّ مـــن إكرامنـــا أولـــى

أو إنـــه النبـــعُ إذ يصـــفو لنـــا هلـــه

وهـــل خـــلافُ انســـيابٍ يمنـــع الـــنهلا!

أو إنـــه الطفـــل نهـــواهُ ونرحمـــهُ

ومـــا لنـــا أبـــداً أن نظلـــمَ الطفـــلا

مـــا ضـــرَّ لـــو أننـــا نعطيـــهِ فرصـــتهُ

لمـــا اســـتحال ســـخياً يغـــدقُ البـــذلا!

أمـــا رأينـــا صـــنوفاً منـــه مشـــرقةً

مـــا زال يشـــدو بهـــا حتـــى غـــدا كهـــلا!

صـــــارت معانيــــــهِ للألفــــاظ عاشـــــقةً

فـــإنْ دعتهـــا ســـعتْ مشـــتاقةً جـــذلى

تبـــــدي جمـــــالَ خفـــــاءٍ لا يعانــــــدنا

وقـــد جـــرتْ خلفـــهُ أفهامنـــا عجلـــى

ويزدهـــــــي بخـــــلُ إيضــــاحٍ يحيرنــــــا

لكـــنْ إلـــى ردحٍ، مـــا أجمـــلَ الـــبخلا!

كالليــــلِ إمــــا طوانــــا فــــي حشاشــــته

وإنْ يكـــــنْ بصـــــباحٍ قـــــادمٍ يتلـــــى

وحـــقَّ للضـــاد أن تهـــوى الجديـــد، فمـــا

يســـتأهلُ الريـــبَ والتأنيـــبَ والعـــذلا

ففيــــهِ ألــــوانُ حســــنْ لا نظيــــرَ لهــــا

إذ ضـــمتِ الفـــذّ والمســـتطرفَ الجـــزلا

ولتـــــرمِ مــــــا لاح ممجومـــــاً ومبتـــــذلاً

عليـــه ران خـــواءُ الهـــذر، واســـتولى

إذ يحكـــمُ الشـــعرَ إبـــداعٌ يشـــيدُ بـــه

وقـــد أفـــاء عليـــه المجـــدَ والنـــبلا

سلمى / اللاذقية

٢٠٠٩/٦/٢٠

ليلة على شرفة

ألـــحَّ علـــيّ الســـهدُ، والليـــلُ قـــد جُنّـــا
فرحــتُ أوافــي فــي حمــى شــرفتي ركنــا

فقـــابلني المثـــوى الحبيـــبُ بلهفـــةٍ
وحــبٍّ وترحــابٍ، فقــد صــار لــي خــدنا

ولا غـــروَ إنْ آنســـتُ فيـــه مـــودةً
وشــوقاً، فمــا زلنــا صــحاباً كمــا كنــا

هنـــا الـــركنُ آتيـــهِ أرومُ هـــدوءه
ومــا ضــاق بــي ذرعــاً ومــا صــدَّ أو ضــنا

هجــرتُ بـــه حضــناً مــن الغــمّ والجــوى
فـــإنّ مـــلاذي فيـــه قـــد أصــبح الحضــنا

فقـــد رشـــفتْ روحـــي حنـــانَ ســـكونه
ففـــرج لـــي كربـــاً، وبـــددَ لـــي حزنـــا

فللصـــمتِ حـــولي همســـةٌ قـــد ســـمعتها
بنشــوة إحســـاسٍ، فمـــا لامســـتْ أذنـــا

ســـمعتُ حـــديثاً رددتـــهُ نســـيمةٌ
تبــثُّ الهــوى والشــوق إن داعبــتْ غصــنا

أصـــخْتُ لعنقـــود يقـــول لجـــاره
أمــا تشــتهي مثلــي، مــع النضــج، أن تجنــى!

خُلقنـــا طعامـــاً يســـعد الطيـــرَ والـــورى
ولســـنا نـــرى إن حازنـــا جـــائع غبنـــا

وأصـــغيتُ للأزهـــار إذ هـــي ســـبحتْ
لمــن قــد حباهــا النــور والتــرب والمزنــا

فتزجـــي الشـــذى حمـــداً نبـــيلاً لخـــالقٍ
وتبــدي جمــالَ الشــكر إذ تعــرض الحســنا

ويثمـــــلُ إحساســـــي بنغمـــــة نأمـــــةٍ

لطيـــر تـــوخى فـــي ذرى دوحـــةٍ وكنـــا

فســـبحان مـــن أعطـــاه بـــالوحي فطـــرةً

ليعـــرفَ أنّ العـــشَّ فـــي مـــأمنٍ يبنـــى

وفـــــوقي نجـــــومٌ ســـــاهراتٌ حســـــبتها

تلألـــــئُ فـــــي عينـــــيَّ أو أنهـــــا أدنـــــى

أحبـــتْ ســـهادي حـــين ضـــاهى ســـهادها

فأجهـــدتُ جفنـــاً حينمـــا أجهـــدتْ جفنـــا

ضـــممتُ بعـــين الشـــوق آفاقهـــا التـــي

ســـعدتُ بـــأن أرقـــى لعليائهـــا ظنـــا

فيـــا ربَّ وهـــمٍ قـــد تبـــدى حقيقـــةً

إذا أبهـــجَ الفكـــرَ المولـــهَ، أو أغنـــى

جميـــلٌ هـــو الـــوهمُ الـــذي أســـتعيره

لأرفـــدَ شـــأواً مجهـــداً صـــابراً مُضـــنى

أغنـــي بشـــعري حـــين أبكـــي بلـــوعتي

ويـــا ربَّ شـــدوٍ طـــاب إن نـــاح أو أنَّـــا

ومـــا ضـــار قيثـــاراً قصـــورُ لحونـــهِ

فظُـــنَّ بـــأنْ قـــد صـــار بالشـــدو لا يعنـــى

فقـــد دهـــمَ الخطـــبُ الجليـــلُ غنـــاءه

فبحـــتْ بـــه الأوتـــارُ، لكنـــه غنـــى

وحـــدقتُ فـــي ليـــلٍ ودودٍ ألفتـــهُ

وقـــد كـــان لـــي كـــالأمِّ بـــل إنـــه أحنـــى

يُجمّعنـــا الســـهدُ الطويـــل تشـــوقاً

وأمســـيةٌ حســـناءُ قـــد حـــدثتْ عنّـــا

هنـــا الليـــلُ محـــرابٌ يقـــدسُ خالقـــاً

وقــد خشــعتْ نفســي لأســمائه الحســنى

هنـــا خلـــوةٌ تـــدعو لشـــحذِ قريحـــةٍ

وكــم فكــرةٍ عــذراءَ قــد شــحذتْ ذهنــا

فرافقتنــــي للـــركن طيـــفُ قصـــيدةٍ

تهــادى وقــد أضــحى خيــالي لــه ســكنى

تعودتـــــهُ يـــــأتي عزيـــــزاً مكرمـــــاً

فمــا احتــاج وعــداً للزيــارة أو إذنــا

فأقبـــلَ مختـــالاً إلـــيّ فلـــم تكـــنْ

عيــون أحاسيســي وأخيلتــي وســنى

فطابـــت لهـــا مـــن زورة الطيـــف نشـــوةٌ

تحيــلُ بكــاءَ الشــعر فــي بثــه لحنــا

فكــم مــن قــوافٍ قــد جلــتْ حســنَ صــورة

ويــا ربَّ لفــظٍ عاشــقٍ عــانق المعنــى

وأكـــرمْ بســـاعاتٍ مـــن الســـهد فجـــرتْ

ينـــابيعَ شـــعرٍ لا تغـــيضُ ولا تفنـــى

وطـــوبى لشـــعر عـــزّ شـــأنُ وجـــوده

وأعطــى وجــوداً لــي، وأكرمنــي شــأنا

ومـــا كنـــتُ يومـــاً حاســـداً شـــعرَ مبـــدع

وهــل عينــيَ اليســرى تغــارُ مــن اليمنــى!

ومـــا الشـــاعر الإنســـان إلا الـــذي أبـــى

لـــداداً وعـــدواناً ولـــم يعـــرف الضـــغنا

أيـــذكرني ليلـــي إذا حـــمَّ موعـــدٌ

وروحــي بطــول الأســر قــد عافــتِ الســجنا!

أيـــذكرني إمـــا ســـلبتُ هزيعـــه

لأجعلــه، كــي أدركَ الصــبح، لــي متنــا!

تســـاوى الــــذي تعطيـــه أيامنـــا لنـــا
ومـــا تأخـــذ الأيـــام فـــي غفلـــةٍ منـــا
ومـــا العـــيش إلا الثـــوبُ يبلـــى جديـــدهُ
فلـــم تتـــركِ الأيـــام مـــن حولـــه ردنـــا
فنلبســـــهُ عمـــــراً لحـــــينٍ مقـــــدرٍ
كمـــا شـــاء مهديـــهِ، ولـــيس كمـــا شـــئنا
فمهمـــا يطـــلْ ســـهدٌ يُعقّـــبْ بضـــجعةٍ
رؤومٍ تشـــيع الـــرَّوْحَ فـــي الـــروح، والأمنـــا
نعمـــتُ وأزهـــاري وكرمـــي بشـــرفةٍ
أفـــاءت علينـــا الأنـــس والســـعد واليمنـــا
ومـــا الرفـــدُ إلا خلـــوةٌ شـــاعريةٌ
تبـــاركُ إعجابـــاً علـــى جودهـــا أثنـــى
فقـــد يمحـــقُ المغنـــى الحـــزينُ ســـعادةً
وقـــد يســـعدُ المحـــزون مـــن روعـــة المغنـــى
مضـــى الليـــل لكنـــي علمـــتُ بأنـــه
يعـــود ويأتينـــا مشـــوقاً إذا عـــدنا

سلمى / اللاذقية
٢٠٠٩/٨/٣

مع الشعر والنقد

لســـتُ أرضـــى أنْ يصـــبحَ الشـــعر عرشـــا
إنْ غـــدا للبيـــانِ والصـــدق نعشـــا
كيـــف أزهـــو بـــه إذا صـــار هـــذراً
وهـــراءً، وصـــار للغـــوِ نقشـــا!
لـــم أشـــأهُ يشـــقى بقســـوة نقـــدٍ
راح يفريـــه، بالتحامـــلِ، بطشـــا
كـــان حســـبي أنـــي أراه نبـــيلاً
لـــم يكـــنْ مـــن نزاهـــة الـــرأي يخشـــى
يعشـــقُ النقـــدَ حـــين يوصـــي بمعنـــىً
أو بلفـــظٍ، مـــع البيـــان تمشـــى
أو إذا مـــا أبـــانَ روعـــةَ شـــعرٍ
وجـــلا ســـرهُ، وفـــاض وأفشـــى
لتظـــلَّ الأبيـــاتُ تحظـــى بنهـــلٍ
مـــن نميـــرِ الفصـــحى، وتلبـــث عطشـــى
ربَّ شـــعرٍ بزيـــفِ نقـــدٍ تـــراءى
مبصـــراً، وهـــو فـــي الحقيقـــة أعشـــى
ولكـــمْ غيـــرهِ عميـــقٍ، ولكـــنْ
لاح ضـــحلاً، بالنقـــد، مينـــاً وغشـــا
وكـــأني بـــه اســـتحال بغاثـــاً
مزقتـــهُ كواســـرُ البغـــي نهشـــا
شـــئتهُ الوشـــيَ مـــن أنامـــلِ فكـــرٍ
فـــاحتفى هانئـــاً بمـــا كـــان وشـــى
إذ حبتـــهُ الفصـــحى محاســـنَ ثـــوبٍ
يزدهـــي بالبيـــان حوكـــاً ورقشـــا

مـــــــا تمنيتــــــــهُ يشــــــابهُ نهجـــــــاً

صــــــار كالـــــــداءِ بيننـــــــا يتفشـــــــى

ظــــــلَّ فيــــــه المقـــــالُ غيبـــــاً وغـــــوراً

وغموضـــــاً ســـــاد الســـــطورَ وغشـــــى

لســــــتُ أعنــــــي بــــــه ضـــــروباً حســـــاناً

هـــــشَّ شـــــعرٌ لهـــــا، وحَيّـــــا وبشـــــا

بـــــل عَنيـــــتُ الـــــذي اســـــتبدَّ ضـــــلالاً

وغـــــدا فـــــي مرابـــــع الضـــــاد وحشـــــا

كـــــم طريـــــفٍ مســـــتحدثٍ بابتكـــــارٍ

صـــــار مثـــــلَ التليـــــدِ عزمـــــاً وجأشـــــا

حـــــاز أحلـــــى اللحـــــون مـــــن غيـــــر وزنٍ

بابتـــــداع بـــــه المشـــــاعرُ تنشـــــى

لا أرى الشـــــعرَ غيـــــرَ طيـــــرٍ دعـــــاهُ

عشـــــقُ عـــــشٍّ، فصـــــيَّرَ الشـــــوقَ قشـــــا

واســـــتحالت أبياتـــــه كفـــــراخٍ

لتصـــــير الفصـــــحى الرحيمـــــةُ عشـــــا

عمان ٢٠١١/٢/١٤

عن صبية أقرب إلى الطفولة، أبوها عربيّ وأمها فرنسيّة...

بين الشَّعر والعين

بمقلـــــةِ الحـــــبِّ والإعجـــابِ والعجـــــبِ
طفقـــتُ أرنـــو لشـــلالٍ مـــن الـــذهبِ
جــرى علـــى رأســها يحكــي النجــوم ســنىً
فــإنْ هــوى فــوق ظهــرٍ شــعَّ كالشـــهبِ
ودار حـــــول محيـــــاً يزدهـــــي ألقـــــاً
وقـــرَّ منتشـــياً فـــي الجيـــد واللبـــبِ
كأنـــه هالـــةٌ قـــد صـــاحبتْ قمـــراً
أجمـــلْ لمصـــطحَبٍ يصـــبو لمصـــطحبٍ!
يظـــلُّ ينســـجُ مـــن نـــورٍ غلائلـــهُ
ليلـــبسَ البـــدرَ مـــن أبـــراده القشـــبِ
تظـــــلُّ ترفعـــــه، دلاً للِمَّتهـــــا
فتســـتثير غمامـــاتٍ مـــن اللهـــبِ
وقـــد تشـــعثه حينـــاً أناملهـــا
ومــا اشــتكتْ قــطُّ مــن جهــدٍ ومــن نصــبِ
أو أنْ يحـــطَّ علـــى عـــينٍ فيحجبهـــا
كمـــا يُحجَّـــبُ وجـــه الأفـــقُ بالســـحبِ
لكنـــه يرتمـــي، آنـــاً، بثورتـــه
كجـــدولٍ مـــن ســـيول النـــار منســـكبِ
فيســـتطيب مقامـــاً لـــذَّ فـــي كتـــفٍ
أعطتـــهُ مـــن لطـــفٍ لمـــسٍ راحـــةَ التعـــبِ
عجبـــتُ مـــن كتـــفٍ، والنـــارُ تلفحهـــا
إذ أنهـــا مـــن لُجـــيَنٍ، كيـــف لـــم تـــذبِ

فــــإنْ مشـــــتْ غــــادتي رفـــتْ غـــدائرها

فيــرقص النــور مــن زهــوٍ ومــن طــربِ

لكــــنْ إذا خطـــــرتْ جنـــــتْ جـــــدائلها

فلـــيس تهـــدأ مـــن وثـــبٍ ومـــن خبـــبِ

مـــا زاد نـــورٌ مضـــى بالشـــوق يحضـــنها

عـــن عاشـــقٍ مـــدنفٍ للصـــنو منجـــذبِ

وحولــــــه تلبـــــث الأنظـــــار راعشـــــةً

كـــأنهنَّ دمـــىً يلهـــو بهـــن صـــبي

ويمتطـــين عبـــابَ الســـحر مـــن شـــغفٍ

ومـــن هيـــامٍ، فـــلا يُـــحْسِنَّ بالرهـــبِ

ومــــا خشـــين بـــه لـــُجّاً، فكـــم غـــرقٍ

أضـــحى لصـــبٍّ مشـــوقٍ غايـــة الأربِ

وكـــم تســـاءلتُ، إذ شـــمس النهـــار مضـــتْ

عنـــي، ولكـــنّ شـــمسَ الشَّـــعرِ لـــم تغـــبِ

كأنهـــــا ســـــلبتْ أختـــــاً وضـــــاءتها

فحـــرتُ مـــا بـــين مســـلوبٍ ومســـتلب!

هـل أحـرز الشَّـعرُ مـن شـمس الضحى ذهبـاً

أو أنهـــا منـــه حـــازت نورهـــا الـــذهبي!

***

وحـــرتُ فـــي أمـــر عـــينٍ خلتهـــا غســـقاً

لكـــنْ بـــلا ســـدلٍ فيهـــا، ولا حجـــبِ

أدلجـــــتُ فيهـــا بألحـــاظي، فظلمتهـــا

حفيـــةٌ رحبـــةٌ مجلـــوةُ الســـربِ

لهـــا غمـــوضٌ شـــفيفٌ لســـتُ أجحـــدهُ

فســـحرُ حـــواءَ يبـــدو واضـــحَ النســـبِ

ونظـــرةٌ مـــن فتـــورٍ كـــاذبٍ مـــرحِ

تهــوى وتعشــقُ فيــه روعــةُ الكــذبِ

فلـــم يكـــنْ ســـقماً فيهـــا، ولا وهنـــاً

فلـــن يســـاورها خـــوفٌ مـــن العطـــبِ

تقلـــبُ الطـــرفَ فينـــا غيـــرَ عالمـــةٍ

مـــا يفعـــل اللهـــبُ المشـــبوبُ بالحطـــبِ

فيـــه وداعـــةُ حلـــمٍ راح يرمقنـــا

فلـــو أهجنـــاه بالتحـــديق، لـــم يثـــبِ

تظـــل أبصـــارنا النشـــوى تعانقـــه

بالحـــبّ والشـــوق والإعـــزاز والحـــدبِ

ومـــا درى أنـــه فـــي طهـــرِ فطرتـــهِ

غـــدا لعشـــاق حســـنٍ كابنـــةِ العنـــبِ

لكنهـــا خمـــرةٌ مـــا زلَّ شـــاربها

فقـــد تســـامت علـــى الـــزلاتِ والريـــبِ

عـــذرتها طفلـــةً تهفـــو براءتهـــا

لعـــالمٍ زاخـــرٍ بـــاللهو واللعـــبِ

حيـــتْ صـــباها، ومـــا زالـــت طفولتهـــا

دنيـــا مـــن العبـــثِ المـــوار بالصـــخبِ

فمـــا لهـــا غيـــر مـــا يلهـــو الصـــغار بـــه

وحـــبٌّ أمٍّ وإخـــوانٍ، وعطـــفُ أبِ

ومـــا أحســـتْ بشـــوق المعجبـــين بهـــا

ومـــا تبـــدى لهـــا للشـــوق مـــن ســـببِ

تجيـــلُ فـــيهم لحاظـــاً، وهـــي لاهيـــةٌ

كـــأنهنَّ نبـــالُ العســـكر اللجـــبِ

مـــا أروعَ الظـــرفَ لـــم يشـــعرْ بفتنتـــهِ

ومـــا تخـــوفَ مـــن لحـــظٍ، ولـــم يهـــبِ!

كزهـــرةٍ زارهـــا نحـــلٌ يـــروم نـــدىً
عســاه يسـكتُ مــا فيــه مــن السـغبِ
حتـــى أصـــاب رحيقـــاً وهـــي غافلـــةٌ
فمــا أحســتْ بمــا عــانى مــن الوصــبِ
لـــولا افتتـــانُ عيـــونٍ لـــم يصـــرْ متعـــاً
حســـنٌ لصـــبٍّ ومبهـــورٍ، ولـــم يطـــبِ
أحببـــتُ ضـــدين مـــن آيـــات ســـاحرةٍ
قـــد بوآهـــا، بفخـــرٍ، أرفـــعَ الرتـــبِ
ومـــا عجبـــتُ لشَـــعرٍ كالنهـــار بـــدا
لمــا ســجا الليــل فــي عــينٍ وفــي هــدبِ
يـــا للنقيضـــين صـــارا وحـــيَ خـــاطرةٍ
رقـــتْ فأذكـــت خيـــال الشـــعر والأدبِ
ترنمـــتْ بصـــداها الـــروحُ فانطلقـــتْ
فـــي عـــالمٍ لبهـــاء الضـــاد منتســـبِ
ودتْ، وقـــد لثمـــتْ ألفاظهـــا ولهـــاً
لـــو أنهـــا بثـــتِ الأشـــواق للكتـــبِ
لعلهـــا بعـــد حـــينٍ تســـتحيل رؤىً
أو تســـتحيل غـــداً أحدوثـــة الحقـــبِ

عمان ٢٠١١/٤/٣٠

من الشعر الرمزي

الموج والصخر

مضى الموجُ يصخبُ في هدرهِ
ويزفرُ ما هاج من أزرهِ
وضجَّ بما فيه من سورةٍ
وما أضمر البأسُ من غدرهِ
وجررَ ذيلَ مباهاتهِ
ليرتجفَ البحرُ من جرهِ
تحدى عباباً طوى سخطهُ
وكتمَّ ما كان من ذعرهِ
وتاه بما لاح من سمتهِ
ومن زبدٍ شعَّ في صدرهِ
وقرَّ على الفلكِ مستكبراً
فأرعشها الخوفُ من كبرهِ
رأتهُ بطغيانهِ ثاملاً
برشفِ الثمالةِ من خمرهِ
ويسعى به صلفٌ عارمٌ
فيسعى التعاظمُ في إثرهِ
ويزحفُ للشطِّ مستعلياً
ليكملَ ما عزَّ من نصرهِ
فخالتهُ في زحفهِ قاهراً
ولا شيءَ يقوى على قهرهِ
فقد عرفتْ قبلهُ بحرهُ
وأهوالهُ في دجى غورهِ

أحبتـــــــهُ لمــــــا بـــــــدا صــــــاحياً

وعافتـــــهُ إنْ لـــــجَّ فـــــي ســــكرهِ

فخاضــــــــتهُ لمـــــا ســــجا لجـــــهُ

لتلتمـــــــيس الفـــــدَّ مـــــن درهِ

ولاذتْ بمينائهـــــــــــا إنْ طغـــــــــى

خضـــــمٌّ، لتـــــأمنَ مـــــن شــــرهِ

وجـــــلَّ الـــــذي قـــــد حباهــــا هـــدىً

وعزمــــاً وحزمــــاً علـــى قــــدرهِ

فمـــــا أعجـــــزَ المـــــوجَ لمــــا جـــرى

لشـــــطٍّ، فخـــــرَّ علـــــى صـــــخرهِ!

رأى الشـــــــطَّ مســـــــتلقياً وادعـــــاً

مطيعـــاً لمــــا جـــاء مـــن بحـــرهِ

توهمـــــــهُ خانعـــــــاً صــــــابراً

وقـــد غَيَّـــبَ الـــذلَّ فـــي صـــبرهِ

وذلـــــك شـــــأنُ الـــــدعيِّ انتشــــى

بمـــا نمَّـــقَ الزيـــفُ مـــن فخـــرهِ

وشــــــأنُ العتـــــــيِّ الجهـــــولِ إذا

دعـــــاهُ الغـــــرورُ إلـــــى قبـــــرهِ

وظـــــــلَّ بحســـــــرتهِ مصـــــــغياً

لقهقهـــــةِ الهـــــزءِ مـــــن جـــــزرهِ

٢٠١١/٩/٧

نظرة أخرى للموت

أتـــــى زائــــــرٌ خلســــــةً، وانتظـــــرْ
وحـــــدق فـــــي ســـــحنةِ المحتضـــــرْ
رآه بأنفاســـــــــــــهِ زافـــــــــــــراً
فتخـــــتلجُ الــــــروحُ إمـــــا زفـــــرْ
ولـــــم تبـــــقِ فيـــــه الحيـــــاةُ ســـــوى
بقيـــــــةِ روحٍ غــــــداً تهتصـــــــرْ
وزائـــــــــرهُ صـــــــــابرٌ حـــــــازمٌ
إذا مـــــا اشـــــرأبَّ لشـــــأنٍ صـــــبرْ
ومـــــا هـــــوَ ضـــــيفٌ يـــــودُّ القـــــرى
برفـــــدٍ يفـــــوز بـــــه إنْ حضـــــرْ
ومـــــا هـــــو صـــــبٌّ هفـــــا شـــــوقهُ
ليلقـــــى حبيبـــــاً نـــــأى أو هجـــــرْ
ومـــــا هـــــو مـــــن رحلـــــةٍ متعـــــبٌ
فحـــــطَّ ليـــــنفضَ جهـــــدَ الســـــفرْ
ولكنــــــــــه وافـــــــــدٌ لا يُـــــــــرى
فلـــــيس لـــــه مـــــن حضـــــور أثـــــرْ
لــــــــه عمــــــــلٌ تالـــــــدٌ واحـــــــدٌ
ولـــــيس جديـــــداً لكـــــي يختبـــــرْ
فلـــــم يضـــــنَ مـــــن مـــــأربٍ خالـــــدٍ
ولـــــم يعـــــرهُ مـــــن عنـــــاءٍ ضـــــجرٍ
عنـــــاهُ الـــــذي هـــــاج مـــــن جوعـــــه
ليشـــــبعهُ مـــــن نفـــــوس البشـــــرْ
ولســــــــــتُ أراه ســــــــــوى طــــــــــائعٍ
لمـــــا قـــــد أراد إلـــــهُ القـــــدرْ

ولســــــتُ لـــــه عــــاذلاً عاتبـــــاً

فمـــا كـــان ينـــوي الأذى والضـــررْ

ولـــــو كــــان يملـــكُ إحساســـــهُ

لكــــان لـــروح المسَـــجَّى اعتـــذرْ

فقـــــد حكمـــــتْ أمــــرهُ قـــدرةٌ

ترســــخُ فيـــه خلـــودَ الـــوطرْ

تهـــــابُ الحيـــــاةُ عقابليــــــهُ

وتخشـــاهُ فـــي داهيـــات الغيـــرْ

تـــــراهُ علــــى النـــار مســـتلقيا

وترهـــب فيـــه اللظـــى والشـــررْ

وتبصـــــرهُ فـــي نصـــال الظبـــى

ولكنـــه مـــا انتشـــى بـــالظفرْ

وتلقـــاهُ فـــي صـــمتهِ ســـاكناً

علـــى رغمـــهِ الـــداءَ إمـــا غـــدرْ!

وتشــــهدهُ فـــي صــــراع الـــوغى

عتيـــداً، ومثـــلَ الطيـــوف استترْ

يظــــــلُّ لأســــــبابهِ خانعــــــاً

لتســعى بـــه فـــي خـــداع الصـــورْ

فيفـــزعَ منـــه شـــبابُ المنـــى

إذا مـــا لشـــيخوخةٍ قـــد ظهـــرْ

وأعجـــبُ مـــا فيـــه ميعـــادهُ

مجيبـــاً لحكـــم قضـــاءٍ أمـــرْ

ومـــا هـــو يـــدنو بإقـــدامنا

ومـــا هـــو ينـــأى بخـــوفِ الحـــذرْ

ولـــيس حزينـــاً بمـــا قـــد جنـــى

ولا هائنـــــــاً، أو بـــــــذنبٍ شـــــــعرْ

إذ العمــــــرُ مـــــا زاد عـــــن ومضـــــةٍ

وحلـــــمٍ تـــــراءى كلمـــــح البصـــــرْ

يلـــــوح لشـــــيخٍ قصـــــيرَ المـــــدى

ويبـــــدو لطفـــــل مديـــــدَ الكبـــــرْ

نـــــــراهُ بأوهامنـــــــا ســــــــاعياً

يحـــــثُّ الخطـــــى كـــــي يبـــــثُّ الخـــــورْ

يلـــــوح لنـــــا كرفيـــــق الـــــردى

وكـــم فـــي اصـــطخاب الـــردى مـــن عبـــر!

يصــــــــاحبهُ ردحــــــــاً عــــــــابراً

ويســـــلوهُ فـــــي الموعـــــد المنتظـــــرْ

إذا هزنـــــا المـــــوتُ فـــــي واحـــــدٍ

رأينـــــا الحيـــــاةَ زهـــــتْ فـــــي نفـــــرْ

فيـــــدبرُ عنهـــــا القنـــــوطُ، وقـــــد

تبـــــاهى الرجـــــاءُ بهـــــا، وافتخـــــرْ

إليهـــــا أتينـــــا علـــــى رغمنـــــا

ورغمـــــاً رحلنـــــا، فلـــــم نُستشَـــــرْ

مـــــن التـــــرب جئنـــــا، وإنـــــا لـــــه

نفـــــيءُ ليحضـــــننا فـــــي الحفـــــرْ

فيجمعنـــــا الجـــــوهرُ المصـــــطفى

كمـــــا يجمـــــعُ العقـــــدُ أبهـــــى الـــــدررْ

وكـــــلٌّ يعـــــود إلـــــى أصـــــلهِ

فـــــإنّ مـــــآلَ الســـــحابِ المطـــــرْ

نمـــــوتُ، فنحيـــــا بأبنائنـــــا

فمـــــا المـــــوتُ يومـــــاً علينـــــا انتصـــــرْ

فآمالنـــــــا مثـــــــــلُ أيامنـــــــــا

فبعـــــدَ الظـــــلامِ الضــــياءُ انتشــــرْ

فتبقـــــى الحيـــــاةُ حليـــــفَ الـــــردى

لكـــــي يـــــألفُ الزهـــــرُ فيهـــا الحجـــرْ

وينشـــى الـــردى مـــن هـــدى فطـــرةٍ

فلـــم تـــكُ وزراً لكـــي تغتفـــرْ

وتبقـــى منـــى العمـــر موروثـــةً

ليحظـــى بهـــا حظنـــا المـــدخرْ

كمـــا تفعـــلُ الـــريحُ إمـــا طغـــتْ

فأضـــحت عرايـــا بقايـــا الشـــجرْ!

فقـــد نثـــر العصـــفُ أوراقـــه

لكـــي تأكـــلَ الأرضُ ممـــا نثـــرْ

فـــإنّ الربيـــعَ ســـيأتي غـــداً

بمـــا مـــن هشـــيمِ الشـــتاء اعتصـــرْ

عمان ٢٠١١/٩/٢٣

حديث عن بحر آخر

بحـــري مـــروءاتٌ بآمـــالِ العـــلا تســـتنهضُ
وأطـــولُ البحـــورِ فـــي عطائـــهِ، وأعـــرضُ
المـــوجُ فيـــه مـــن خيـــالٍ صـــاخبٍ مســـتقرضُ
واللـــجُّ فيـــه بالبيـــانِ والســـنى مفضـــضُ
وشـــطهُ يبـــثُّ للمـــوجِ الهـــوى، فـــيمحَضُ
وصـــدرهُ غـــاداتُ ســـحرٍ بالمعـــاني تـــركضُ

شـــــــــــــبابها مُخلَّـــــــــــــــــدٌ
فحُســــــــــــنُها لا يمــــــــــــرضُ
حتثــــــــــــتُ فكــــــــــــري خلفهـــــــا
علــــــــيِّ عليهـــــــا أقـــــــبضُ
حينـــاً تلاقينـــي بإقبـــالٍ، وآنـــاً تـــرفضُ
لكننــــــــــــي أحبهـــــــــا
وهــــــــل بهــــــــيٌّ يــــــــبغضُ
قصــــــــــــــيدتي ســــــــــــــفينةٌ
تتيــــــــــــهُ إذا تخـــــــــــوِّضُ
طـــــــــوتْ عبابـــــــاً مزبـــــــداً
لكنــــــــــهُ مـــــــــــروَّضُ
واستعرضــــــــــتْ شــــــأواً وقـــــد
باهــــــــت بمـــــــا تســـــــتعرضُ
فإنهـــــــــا فــــــــي عــــــــالمٍ
أركانــــــــــهُ لا تـــــــــــنقضُ
وفكــــــــــــرهُ مســـــــــــــتوفزٌ
مـــــــــــؤمرٌ مُفــــــــــوَّضُ

لـــــــم يســـــــلها هنيهـــــــةً

ولـــــيس عنهـــــا يعـــــرضُ

لكنـــــــه كـــــــالحسِّ إذ

لهاجســـــــي مُعـــــــرَّضُ

فقـــــــد أرى ســـــــفينتي

كالصـــــــرح إذ يُقـــــــوَّضُ

أو قشـــــــةً غريبـــــــةً

علـــــى العبـــــاب تفـــــرضُ

أو أن تلـــــــوحَ مهجـــــــةً

فيهـــــا شـــــجوني تنـــــبضُ

أو أن أراهـــــــا نجمـــــــةً

تحـــــتَ الخضـــــمِّ تـــــومضُ

أعجـــــبْ بـــــأفقٍ بـــــاذخٍ

يعـــــزُّ إمـــــا يخفـــــضُ!

هل من تهاويم السباتِ كان بحري ينهضُ!

أو مـــــن يقـــــينٍ راســـــخٍ

بـــــه الضـــــلالُ يـــــدحضُ!

أو مـــــن إبـــــاءٍ لـــــم تـــــزل

عنـــــه الخطـــــوبُ تـــــنفضُ!

أو من رموزٍ مشرقاتٍ سرها لا يغمضُ!

أو من بقايا ذكرياتٍ في خيالي تربضُ

يـــــا ربَّ شـــــعرٍ بـــــالهوى

وبـــــالجوى يحـــــرضُ

به العناءُ والعذابُ والأسى يُعوَّضُ

أنسى به سوادَ سهدٍ، فهو ليلٌ أبيضُ

عمان ٢٠١١/٩/١٦

في ميلادي الرابع والثمانين

بعد الثمانين

بعـــــدَ الثمــــانينَ أتـــــتْ أربــــعُ
مــــاذا تـــرى مـــن بعــدها يتبــعُ!
غـــدي عصـــيٌّ الســـرِّ فـــي غيبـــهِ
لغيــــر علــــمِ الله لا يخضــــعُ
كأنــــه والغيـــب يســـعى بـــه
مســـافرٌ يمضـــي ولا يرجـــعُ
مــــاذا تــــرى عقبـــاه فـــي رحلـــةٍ
هـــل روضـــةٌ فيحـــاءُ أو بلقـــعُ!
أو وجـــهُ بشـــرٍ باســـمٌ مفـــرحٌ
أو وجـــهُ ســـخطٍ عـــابسٌ مفـــزعُ!
مـــا اســـطعتُ دفـــع الهـــولِ عـــن حاضـــرِ
فالقـــادمُ المجهـــولُ لا يـــدفعُ
أدري بـــأنّ الله قـــد شـــاءني
أرضـــى بمـــا ألقـــى ولا أجـــزعُ
لـــم يـــنسَ عمـــري أننـــي ضـــيفهُ
وأننـــي بالرفـــد أســـتمتعُ
فنلـــتُ مـــن حظـــي كمـــا قـــد قضـــى
لكننـــي عـــن غيـــره أمنـــعُ
تجـــري المنـــى مصـــحوبةً بـــالردى
مَـــن منهمـــا، فـــي جريـــه الأســـرع!
حشاشـــتي ظلـــتْ بإيمانهـــا

للهِ فـــــي محرابهـــــا تخشــــعُ

للمـــــرء روحُ الســـــعد أو شـــقوةٌ

ممـــا تحـــسُّ الـــنفس أو تصـــنعُ

فخيـــــرهُ أو شـــــرهُ لـــــم يــــزل

مـــن قلبـــه أو فكـــره ينبـــعُ

فهـــــل تراني ناهـــــلٌ شـــهده

أو أننـــي مـــن صـــابه أجـــرعُ!

ألفـــتُ جـــوعَ الـــروح لمـــا غـــدتْ

بمطعـــمٍ مـــن عزمهـــا تشـــبعُ

فعفـــتُ جـــودَ الـــذل، لكننـــي

بشـــحٍّ عـــزٍّ صـــابرٍ أقنـــعُ

عـــذراً ثمـــانيني إذا بغيـــةٌ

أضـــحتْ بخطـــو مجهـــدٍ تظلـــعُ

أو قصَّـــرتْ لمـــا نـــأى دربهـــا

أو إن دهاهـــا مـــن ضـــنىً مصـــرعُ

حبســـي عـــزاءُ العمـــر فـــي غيرهـــا

غـــدتْ لمـــا فارقتهـــا تشـــفعُ

رحمـــتُ صـــبري مـــا بكـــى إذ هـــوتْ

فدمعـــهُ المكنـــون لا يُســـفعُ

وحزنـــهُ المخـــزونُ لا ينتهـــي

وشـــكوهُ المكبـــوتُ لا يُســـمعُ

أضـــحى ضـــماداً ناجعـــاً مبرئـــاً

يغفـــو عليـــه جرحـــيَ الموجـــعُ

إذ أمنيـــاتي مـــا ســـلتْ مهـــدها

فلـــم تـــزل مـــن مطمحـــي ترضـــع

أطعـــت فيهـــا شـــوق عمـــر مضـــى
وصـــــبوة مثـــــل اللظـــــى تلفـــــعُ
جعلـــــتُ عمـــــري زارعـــــاً للمنـــــى
وشـــــئتهُ يجنـــــي الـــــذي يـــــزرعُ
مـــا شـــئتها فـــي قفرهـــا أصـــبحتْ
شـــوكاً بعصـــفٍ جـــائرٍ يقلـــعُ
أردتهـــا زهـــراً يبـــثُّ الشـــذى
ممـــا حباهـــا روضـــها المونـــعُ
هـــذي ثمـــانيني التـــي قـــد بـــدتْ
كـــالحلمِ إذ لـــم ينســـهُ المخـــدعُ
أو خلتهـــا كالعقـــد لمـــا ازدهـــى
بمـــا مضـــى مـــن جـــوهرٍ يجمـــعُ
وكـــان يـــدري أنّ مـــا قـــد حـــوى
مـــن درهِ، مـــن ســـمطه ينـــزعُ
عذرتـــهُ، والعمـــر يســـعى بـــه
ولســـتُ فـــي عـــدِّي لـــه أهلـــعُ
حســـبي حيـــاةٌ أنطقتنـــي لكـــي
أبقـــى لمـــن قـــد صـــاغها أضـــرعُ
كانـــت ترينـــي الحـــقَّ نـــوراً ســـرى
كالشـــمس مـــن بعـــد الـــدجى تطلـــعُ
أو أن أرى فـــي معجـــزٍ روعـــةً
ممـــا جـــلاه العـــالمُ الأروعُ
مـــا العمـــر إلا البـــرقُ فـــي ومضـــةٍ
بهـــا ســـنى أعوامنـــا يلمـــعُ
فلـــم نكـــدْ نمحـــو بهـــا ظلمـــةً

أو أن نـــــرى دربـــاً بهـــا يســـطعُ

يبقـــــى ضـــــميري راضـــــياً هانئـــــاً

فـــي نـــبض إحساســـي لـــه موقـــعُ

مـــا طـــاف فـــي فكـــري الأذى لحظـــةً

ومـــا بـــه قـــد هُيِّجـــتْ إصـــبعُ

عفـــوتُ عـــن جـــانٍ وعـــن ظـــالمٍ

عســـــى بعفـــــوٍ رادع يـــــردعُ

دعـــوتُ ربَّ الخلـــقِ فـــي خلـــوتي

لعـــلَّ أطيـــافَ الأســـى تهجـــعُ

هـــذا دعـــاءُ اللائـــذ المرتجـــي

لغيـــر ربِّ الكـــونِ لا يرفـــعُ

عمان ٢٠١١/٩/١١

بتآلفُ الحسن والحب خُلِّدت الحياة، وبتآلفُ عناصر الكون خُلِّد الوجود.

الحسن والحب والوجود

رنـــــــتْ إليــــــه برعشـــــــةِ النظــــــرِ
فأتبعتهــــــا بغمضـــــــــةِ الخفـــــــرِ
صـــــبتْ لمـــــا لاح مـــــن وســـــامته
فاستشـــــعرتْ إثمهـــــا علـــــى الأثـــــرِ
لكـــــــنّ هـــــــذا الشـــــــعورَ فارقهـــــا
لمـــــا تبـــــدتْ طهـــــارةُ الـــــوطرِ
رأتْ محيـــــا الفتـــــــى ونظرتـــــــهُ
قـــد بـــرءا مـــن وضـــاعة الوضـــرِ
رأتــــــه فــــــي صـــــــدفةٍ مقـــــدرةٍ
يرنــــو إليهـــــا بطــــرفِ منبهـــــرِ
وعينــــــهُ مـــــن ضــــنى ضـــــراعتها
كـــادت تبثـــتُّ الولـــوعَ فـــي الحجـــرِ
وفـــــي أســـــاريره الحيـــــاءُ بـــــدا
وضــــاءةً أشـــرقتْ علـــى القمـــرِ
كـــــلُّ ذكـــــتْ نـــــاره بنظرتـــــه
فـــإن بـــدء اللظـــى مـــن الشـــررِ
ورُبَّ لفــــظ طفــــا علــــى شــــفة
فأغرقتـــــه غــــــوارب الحــــــذرِ
ورُبَّ إيمـــــاءَةٍ وقـــــد خفيـــــت
فمـــا رأى ومضــــها ســـوى القـــدرِ
أو بســـــمةٍ تخلـــسُ الوضـــوحَ، فمـــا
تنـــــالُ إلا غمـــــوضَ مســـــتترِ

واهتـــزَّ عطـــفُ الفتـــاة مـــن ولــــهٍ

يشــكو الــذي فـــي اللقــاء مــن قصــر

تضـــــاحكتْ غبطـــــــةً ملامحهــــا

وأشـــرقتْ فـــوق وجههـــا النضــــر

فقلبهـــــا قـــــد غـــــدا بصـــــبوتهِ

قيثـــــارةً، فالوجيــــــب كـــــالوتر

وروحهـــــا أعطيــــــتْ بنشــــوتها

جنـــاحَ وجـــدٍ يحـــنُّ للســـــفر

وعينهــــــــــا لألأتْ ببهجتهـــــــا

فـــزاد حســـنُ الســـوادِ فـــي الحـــور

رأى الفتـــى مـــا أصـــاب غادتــــهُ

فهـــاج فيـــه هيـــامُ منتظـــــر

لاحـــت لـــه مثـــلَ روضـــةٍ أنـــفٍ

فشـــمها فـــي نســـيمها العطـــر

أو لوحـــــــةً للبهـــــاء فاتنــــــةً

فلـــم تـــدعْ روعـــةً ولـــم تـــذر

أحســـــها فــــي شـــغافِهِ زُرعـــتْ

فهاجـــهُ شـــوقهُ إلـــى الثمــــر

يظـــلُّ طـــولَ الحيـــاة يرصــــده

بوجـــدِ صـــبٍّ، وحـــبٍّ مصـــبطر

ســـما هيـــامٌ بهـــا تخيلهــــا

غصـــناً نضـــيراً يضـــوء بـــالزهر

فـــــودَّ لـــــو بثهـــــا تحيتــــهُ

حتـــى يـــرى مـــا يضـــوع مـــن أثـــر

لعلـــــهُ عـــــن هــــواه يخبرهــــا

حتـــــى يـــــذوقا حـــــلاوة الخبــــــر

ســــــارتْ، وقـــــد أســــقيتْ ســــعادتها

مـــن نبعـــــةٍ نزهـــــتْ عـــن الكــــدر

جـــــلَّ الــــــذي صـــــوَّرَ الحســـــانَ لنـــــا

لمـــــا أصــــــار القلــــوبَ كــــالأطر

أو شـــــــــاءها كـــــــــالعقود خالبـــــــــةً

بمــــا حـــــوتْ مـــــن فرائــــد الــــدرر

تبــــدي لنـــــا مــــن جمـــــال جوهرهــــا

ســـحراً ســـرى فـــي الفـــؤاد والبصـــر

جـــــلَّ الـــــذي بــــــالرواءِ أســـــعدنا

بخيـــــرِ فضــــــلِ حبـــــاهُ للعمــــــر

يــــا طيـــبَ نعمـــــى غـــــدتْ بقدرتـــــه

تعطـــي نعـــيمَ الحيـــــاةِ للبشــــر!

بالحــــــبِّ حــــــاز الوجــــــودُ وحدتــــــهُ

وكـــــلَّ مـــــا قـــــد أبــــان مــــن عبــــر

الأفـــــقُ والأرضُ عاشـــــقان، وقــــــد

تناجيــــــا بالســــــــهاد والســـــــمر

والــــــريحُ والغــــــيمُ فــــــي اعتناقهمــــــا

شـــاءا خلـــودَ الفنـــاء فـــي المطـــر

كــــــلٌّ لــــــه ســــــيرةٌ تمجـــــــدهُ

بمـــا بـــدا مـــن تماثــــلِ الســــير

فـــــذرةٌ فـــــي الخفــــاء تحضـــــنها

مجــــرةٌ فـــــي تعـــــاظم الكبــــــر

لا فـــــرقَ بـــــين الــــــذي ســــما كبــــراً

ومــــن بـــدا فـــي نهايـــــة الصــــغر

عظيمـــــــــةٌ كلهــــــا تشــــــيرُ إلــــــى

جـــــلالِ ربٍّ، وصــــــــنع مقتــــــــدرِ

وكلهـــــــــا عاشــــــــقٌ وعاشـــــــــقةٌ

بـــــــأمر ربِّ القضـــــــاء والقــــــدرِ

عمان ٢٠١١/٩/١١

محطات العمر

عمــــــري صــــــبورٌ يهابـــــهُ الكلــــلُ
وإنْ دهتـــــهُ الخطـــــوب والعلــــــلُ
فإنـــــــــه ذاكـــــــــرٌ طفولتـــــــهُ
فمــــن ســــنى فجرهـــا زهـــا الأمـــلُ
ضـــاءت لـــه شمســـهُ التـــي اختلفـــتْ
عـــن شـــمسٍ أفـــقٍ مصـــيرها الطَّفَـــلُ
فشمســــــــهُ بالرجـــــاء ســــــاطعةٌ
فمـــا عليهـــا القنـــوطُ ينســــدلُ
تألقـــــــتْ مـــــــن ذرى ســــــعادته
ومــــن مـــــراحٍ يهــــزهُ الجــــذلُ
ومـــن منـــىً فـــي يديـــهِ مثـــل دمـــىً
ولـــيس يعـــروه مـــن دمـــىً ملـــلُ
ومـــــن تهاويـــــلَ مـــــن تصـــــوُّرِهِ
بهـــا جمـــوحُ الطمـــوح يكتحـــلُ
أعجـــــبْ بأحلامـــــه تطـــــول، وإنْ
غـــدتْ بلمـــح الخيـــالِ تختـــزلُ!
ســـعى إليهـــا الصـــبا فعانقهـــا
وقـــد زهاهـــا العنـــاقُ والغـــزلُ
أضـــفى عليهـــا الطريـــفَ مـــن أربٍ
بـــه التليـــد المشـــوقُ يكتمـــلُ
لمـــا رآهـــا ضـــمادَ حاضـــره
بهـــا حـــرونُ الجـــراح ينـــدملُ
وروضــــةٌ لــــم تــــزل أزاهرهـــا
جـــذلى، بنـــور الصـــباح تغتســـلُ

عبيرهـــــا لــــــم يــــزل تضـــــوعهُ
ثـــــراً، وعبـــــرَ الســـــنين ينتقـــــلُ
وجـــــاء عهـــــد الشـــــباب، فابتهجـــــتْ
بـــــه المنـــــى والقلـــــوبُ والمقـــــلُ
فإنّـــــــه شـــــــامخٌ بعزتـــــــهِ
وبـــــالعلا والرغـــــابِ منشـــــغلُ
ســـــما إلـــــى شـــــأوهِ بنخوتـــــه
ففـــــي تســـــاميه يضـــــربُ المثـــــلُ
لكنمـــــــا أذهلتـــــــه داهيـــــــةٌ
فالعـــــدلُ مـــــن خمـــــر يأســـــه ثمـــــلُ
إذ المنـــــى قطعـــــتْ علـــــى وضـــــمٍ
ورهـــــطُ بغـــــيٍ عليـــــه مقتتـــــلُ
بكـــــى عليهـــــا الهـــــوان مـــــن أســـــفٍ
لمـــــا تبـــــاكى الســـــكوتُ والفشـــــلُ
مـــــاذا ينـــــال الشـــــبابُ مـــــن زمـــــنٍ
إذا طغـــــى الضـــــيمُ فيـــــه، والزلـــــلُ!
وغـــــاب ســـــحرُ الخيـــــال عـــــن أمـــــلٍ
وانهـــــدَّ صـــــرحٌ، إذا بـــــه طلـــــلُ
وخـــــرَّ طـــــودٌ علـــــى الســـــفوح، وكـــــم
عـــــزتْ بـــــه فـــــي جلالـــــه القلـــــلُ
وتلـــــكَ شـــــيخوختي بحســـــرتها
تبكـــــي حمـــــىً بالشـــــقاء ينخـــــذلُ
وتلـــــكَ أرضـــــي يصـــــيح واقعهـــــا:
أيـــــن الحمـــــاةُ الأماجـــــدُ الأولُ!
أحرارهـــــا فـــــي لهيـــــب محنتهـــــا

وتربهـــا مـــن نجـــيعهم خضـــلُ

رنـــا لهـــا حقهـــا يطمئنهـــا

فمـــن ســـناها تـــلألأ الرســـلُ

لـــولا الإبـــاء الـــذي يصـــاحبها

ومنـــه بـــالعزم تقـــبسُ الشـــعلُ

لأخلـــدتْ فـــي غيـــوب مظلمـــةٍ

فلـــيس فيهـــا لمـــدلجٍ ســـبلُ

أمســـي طوتـــهُ الحشـــود مـــن نـــوبٍ

ليســـت بغيـــر المـــراس تحتمـــلُ

ســـعى بأحمالـــه الثقـــال، وهـــلْ

بكـــلٌّ مـــن وقـــرِ صـــخره الجبـــلُ!

شـــاركتهُ الحمـــلَ إذ قرنـــتُ بـــه

فلســـتُ عمـــا اعتـــراه أنفصـــلُ

أهـــداه لـــي مـــا أعـــدَّهُ قـــدرٌ

بكـــلِّ مـــا قـــد لقيـــتُ متصـــلُ

عـــذرتُ فيـــه جمـــاحَ ســـطوته

فلـــيس ينهـــي جماحـــهُ عـــذلُ

أدري بـــأن القضـــاءَ أرســـله

بـــأمرِ ربٍّ إليـــه أبتهـــلُ

لبســـتهُ حلـــةً إلـــى أمـــدٍ

فالـــدهر تبلـــى بمـــرهِ الحلـــلُ

رمـــى بهـــا حاضـــري ممزقـــةً

فلـــيس تحيـــي نســـيجها حيـــلُ

لكـــنْ حبـــاني بغيرهـــا، فبهـــا

شـــيخوختي تحتفـــي وتحتفـــلُ

أظـــــلُّ أزهــــو بهـــا إلـــــى زمـــــنٍ
أخفـــاه عـــن علـــمٍ حاضـــري الأجـــلُ
لكنـــــــه فـــــي غــــــدٍ سيســــــلبها
ومـــــا لـــــه هفــــوةٌ ولا خطــــــلُ
فإنهـــــــــا نعمـــــــــــةٌ مؤقتـــــــــةٌ
للضـــيف مهمـــا يطـــبْ لـــه النـــزلُ
أو أنـــــه ظنهـــــا قـــــد اكتهلـــــتْ
فـــــالثوبُ كـــــالعمر حـــين يكتهــــلُ
أبقـــــى بهـــــا هانئـــــاً بأعطيـــــةٍ
فــــإنْ دعـــــاني الرحيـــــل أرتحـــــلُ
العمـــــر لمـــــحٌ تـــــراه فـــــي حلـــــمٍ
بســــنةٍ قـــــد جـــــرى بهـــــا الأزلُ
فـــــي رحلـــــةٍ تســــــتحيل ثانيــــــةً
مـــن ومـــض بـــرقٍ تظـــلُّ تُنتَحـــلُ
فمـــــا بريــــــثٍ تطـــــولُ ســـــفرتها
ولـــم يُقصِّـــرْ زمانهـــا عجـــلُ
لكنمـــــا الحــــــقُّ خالـــــدٌ أبـــــداً
ومـــا لـــه عـــن خلـــوده حـــولُ
إنْ دولـــةُ الضـــلِّ قـــد بغـــتْ وطغـــتْ
لـــبعض حـــينٍ، فللهـــدى دولُ

عمان ٢٠١١/٩/٢١

السباحة في لجٍّ سماويّ

أيُّ دربٍ تــــــــــــراهُ للتبانـــــــــــهْ

مـــا تســـامى طـــرفٌ ليرقـــى عنانـــهْ

وهــــو دربٌ لديـــه فكــــري ســــجينٌ

فغـــدا الفكـــر عاشـــقاً ســـجانهْ

واســـتحال الإعجـــابُ جـــذوةَ شـــوقٍ

رحـــتُ أذكـــي بصـــبوتي نيرانـــهْ

شمســـــنا فيــــه ذرَّةٌ مــــن هبــــاءٍ

وخـــواءٍ، فـــلا تهـــزُّ كيانـــهْ

ربَّ أخــــرى فيــــه تنــــاءتْ خفــــاءً

فاقـــتِ الشـــمسَ رفعـــةً ومكانـــةْ

بســـــناءٍ ينيــــر أعمـــاقَ كـــونٍ

بســـطَ اللهُ فوقـــه ســـلطانهْ

وهــــو دربٌ بـــدا قريبـــاً ضـــئيلاً

بعـــدَ علـــمٍ أبـــدى لنـــا جيرانـــه

إنْ رنـــا مــــؤمنٌ لهـــا بحجـــاه

رسَّـــختْ فـــي فـــؤاده إيمانـــهْ

جـــلَّ علـــمٌ نـــدنو بـــه مـــن إلـــهٍ

فبفضـــلٍ منـــه نـــرى أكوانـــهْ

وحــــريٌّ بعاقــــل أن يـــــراه

بأحاســـيس فطـــرةٍ وفطانـــةْ

وهـــدىً مـــن تصـــورٍ وخيـــالٍ

وصـــوابٍ مـــن حكمـــةٍ وزكانـــةْ

فيـــراه حتـــى ولـــو لـــم تجئـــهُ

رســـلٌ بينـــوا لـــه أديانـــه

فمضـــــى ضـــارعاً يبـــثُّ صـــلاةً
ودعـــــاءً، وهاتفــــاً: ســــبحانهْ
إنّ هــــذا الوجـــودَ صــــنعٌ فريــــدٌ
وعلــــى ربـــهِ جــــلا برهانـــــهْ
النــــــواميسُ مومئــــــاتٌ إليـــــه
مشـــــرقاتٍ إذ أحســــنتْ تبيانــــه
وضــــروبُ العطـــاء تنبـــئ عنـــه
مغــــدقاتٍ، فقـــد جلـــتْ إحســـانهْ
ســـرحَ الفكـــر فـــي أعاجيـــب غيـــبٍ
مطلقــــاً للخيـــال فيهـــا عناقـــهْ
فهــــي آيـــات عــــالمٍ مـــا جهلنـــا
بعضــــهُ حينمــــا علمنــــا مكانـــهْ
حســــبنا حِسُّــــنا بإعجـــاز صـــنعٍ
أبـــدع العلـــمُ وصــــفه وبيانـــهْ
ربَّ دربٍ مــــــن روعــــــةٍ وجــــلالٍ
مـــا رأى الحلـــم قبلـــه أقرانـــهْ
أيَّ شــــيءْ هـــذي الســـموات لاحـــت
بنجــــوم ســــــنيةٍ مزدانـــــةْ!
أشـــــرقتْ كــــلٌّ نجمــــة فتبــــدَّتْ
بالســــنى مثـــلَ درةٍ أو جمانـــةْ
فاســــتحالت للكــــون أحلـــى عيـــونٍ
مُسْـــهداتٍ حتـــى يـــرى إنســـانهْ
وكـــــأنَ الإلــــه أعطــــاه قلبـــاً
ظـــلَّ يرعـــى، بحرقـــة، ســـكانهْ
أبصـــر الآدمـــيَّ فـــي أســـر شـــكٍّ

وضـــياع، فعقلـــهُ مـــا أعانـــهْ

ثـــم ألفـــاهُ مســـتجيباً لحـــقٍّ

راجيـــاً مـــن إلهـــهِ غفرانـــهْ

مـــذ حبـــاه إنجيلـــهُ، فهـــداهُ

ثـــم أهـــداهُ، بعـــده، قرآنـــهْ

ودَّ أن الضـــلال يصـــبحُ طهـــراً

ونقـــاءً، وغاســـلاً أدرانـــهْ

كـــم عـــذرنا الجـــدَّ القـــديمَ تـــوارى

فـــي حمـــى الكهـــف وهـــو يرجـــو أمانـــهْ

حينمـــا راعـــهُ توعـــدُ هـــولٍ

بـــات يخشـــى مـــن عنفـــهِ ألوانـــهْ

فبـــدا الأحمـــرُ المهـــول شـــواظاً

فـــوق طـــودٍ مفجـــراً بركانـــهْ

وبـــدا الأبـــيضُ المـــدلُ بمـــوجٍ

زبـــداً عارمـــاً غـــزا شـــطآنهْ

وغـــدا الأســـودُ المخـــوفُ رداءً

راح يكســـو فـــي ليلـــهِ أركانـــهْ

وغـــدتْ زرقـــةُ الســـماءِ رمـــاداً

بريـــاح قـــد هيجـــتْ عنفوانـــهْ

مـــا دعانـــا ذعـــرٌ علـــى كهـــفِ جـــدٍّ

أو خشـــينا مـــن عـــالمٍ هيجانـــهْ

فجعلنـــا اليقـــينَ صـــهوة علـــمٍ

وأمـــانٍ، فـــلا نهـــاب حرانـــهْ

يـــا لقـــدْر لنـــا علـــى الأرض إمّـــا

أدرك العقـــل فضـــل علـــم، فصـــانهْ!

فلـــــنكن كـــــالوجود صـــــدق شـــــعورٍ

وهـــــو يزجـــــي لربـــــهِ شـــــكرانهْ

نبصـــــرُ الشـــــمسَ قـــــد زهـــــتْ بضـــــياءٍ

تحمـــــدُ الأرضُ لطفـــــهُ وحنانـــــهْ

ونـــــرى الجـــــدولَ الكـــــريمَ رؤوفـــــاً

إذ يغشـــــي بفيضـــــه بســـــتانهْ

لـــــم يُفـــــرِّقْ مـــــا بـــــين زرعٍ وصـــــخرٍ

فـــــالأزاهير صـــــاحبتْ صـــــوانهْ

ويطـــــوفُ البـــــدرُ المشـــــوقُ بـــــأرضٍ

بهيـــــامٍ لـــــم يســـــتطعْ كتمانـــــهْ

أو نـــــرى الشـــــوكَ لائـــــذاً بـــــورودٍ

لـــــم تشـــــأ، مـــــن جوارهـــــا، حرمانـــــهْ

بوأتـــــهُ مكانـــــةً، فتناســـــتْ

بـــــرحيم مـــــن نبلهـــــا، طغيانـــــهْ

أو نـــــرى الطيـــــرَ يشـــــكرُ اللهَ إمـــــا

حـــــاز مـــــنْ أمـــــنٍ وكنـــــهِ اطمئنانـــــهْ

وحبـــــاهُ للشـــــكرِ أحلـــــى صـــــداحٍ

فتغنـــــى مـــــردداً ألحانـــــهْ

أو يلـــــوحُ الســـــحابُ بـــــراً ودوداً

حـــــين تســـــتعجلُ القفـــــارُ أوانـــــهْ

فـــــإذا الزهـــــرُ قـــــد تفـــــتحَ شـــــكراً

وإذا العطـــــرُ قـــــد أشـــــاع امتنانـــــهْ

عمان ٢٠١١/٩/٢٧

قصة صاحبين

رمقتنـــــــي شـــــــيخوختي باكتئـــــابِ

ثـــم قالــــت: قـــد آنَ حـــينُ الـــذهابِ

أنـــتَ لـــو حـــزتَ عمـــر نـــوح ستمضـــي

فمـــآلُ التـــراب حضـــنُ التـــرابِ

مـــا غنـــاءُ الحيـــاة، والعمـــر أضـــحى

مثـــلَ كنـــزٍ مصـــيرهُ لاســـتلابِ!

فـــدع المـــأربَ الـــذي لـــم تنلـــهُ

لأباطيـــل وعـــدهِ الخـــلابِ

واتـــركِ الســـعيَ فـــوق دربٍ كـــؤودٍ

بعـــدَ جهـــدِ الـــونى وطـــول الطـــلابِ

لســـتَ ورداً يعـــود كـــلَّ ربيـــعٍ

لســـتَ شمســـاً تفـــيءُ بعـــدَ غيـــابِ

لســـتَ بـــدراً قـــد أبعدتـــهُ الليـــالي

ثـــم نادتـــهُ غيرهـــا للمـــآب

أو تحـــاكي النجـــومَ تخفـــى نهـــاراً

ثـــم تبـــدو فـــي الليـــل فـــي أســـرابِ

لا ولا موجـــةً تفـــارقُ شـــطاً

ثـــم تـــأتي لشـــطها باصـــطخابِ

لا ولا نســـمةً تغيـــبُ مســـاءً

ولهـــا الصـــبحُ هـــشَّ بالترحـــابِ

إنمـــا أنـــتَ جـــذوةٌ لفنـــاءٍ

عمرهـــا مثـــلُ عمـــر عـــودِ ثقـــابِ

لمحـــةٌ مـــن تـــألقٍ وضـــياءٍ

ثـــم تمضـــي كنأمـــةٍ فـــي غـــابِ

لـــــــم يصـــــــنها اتقادهـــــا ولظاهـــــا

بـــــــأوارٍ مزمجـــــــرٍ لهـــــــابِ

مـــا أرى العمـــــرَ غيـــرَ قطـــرة شـــهدٍ

تتـــوارى فـــي جرعـــةٍ مـــن صـــابِ

مـــا تبـــدتْ لـــيَ الحـــلاوةُ يومـــاً

بارتشـــــافٍ، ولا بـــــريٍّ شــــرابِ

صـــارتِ القطـــرةُ الخفيـــةُ نســـياً

ضـــائعاً فـــي مـــرارة الأوصـــابِ

فألفـــــتُ الطعـــــمَ القـــــديمَ كـــأني

كنـــتُ عللـــتُ غلتـــي بالســـرابِ

أنـــتَ مـــا زدتَ عـــن ســـؤالِ حيـــاةٍ

عـــن مصـــيرٍ، والمـــوتُ خيـــرُ جـــوابِ

يختفـــي فـــي هنيهـــةٍ كـــلُّ ســـقمٍ

وعنـــاءٍ وغمـــــةٍ وعـــــذابِ

حـــين تطـــوي طـــولَ الســـنينَ ثـــوانٍ

فانيـــات تحكـــي ومـــيضَ شـــهابِ

ليـــت شـــعري هـــل يســـتطيع ومـــيضٌ

كشـــفَ دنيـــا مـــن الأمـــاني الرحـــابِ!

هـــل ســـيغدو الطمـــاح أضـــغاثَ حلـــمٍ

ضـــاع فـــي رحلـــةٍ بغيـــر إيـــابِ!

وجمـــــوعُ الآمـــــال تمســـــي يتـــامىً

ناحبـــاتٍ فـــي وحشـــةٍ واغتـــرابِ

***

رحـــــتُ ألقـــــى شـــيخوختي بـــذهولٍ

وانـــدهاشٍ ونظـــرةِ اســـتغرابِ

قلـــتُ: رفقـــاً رفيقـــةَ العمـــر، صـــبراً

لــــم تـــزل فــــيَّ نفحـــةٌ مـــن شــــبابِ

أتلـــــوميننـي علــــــى فضــــلِ نعمـــــى

بعتــــابٍ يحكــــي وبيــــلَ عقــــابِ!

مـــا بعـــدِّ الســــنينَ أحســــبُ عمـــري

بـــل بعـــدِّ المنـــى، وقهـــر الصــــعابِ

وامتطـــاءِ المصــــابِ وهــــو حـــرونٌ

بعنــــانٍ يقـــــودني للصـــــوابِ

شــــرفُ العمـــــر أن يظــــلَّ حســــاماً

مـــا تهـــاوى مـــن بعـــد طـــول ضـــرابِ

مشـــرعاً فـــي ســـبيل حـــقٍّ ومجـــدٍ

لـــيس يرضـــى بهجعـــةٍ فـــي القـــرابِ

أرفــــعُ الحمــــدَ والــــدعاءَ لربــــي

إنمــــا عزلتـــي غـــدتْ محرابـــي

كـــان حســـبي أنـــي بحـــسِّ خشـــوعي

حـــزتُ مـــن خـــالقي جميـــلَ الثـــوابِ

مـــا اســـتطاع الكـــربُ الجليـــلُ امتلاكـــي

أو طغـــى اليـــأسُ فاســـتباح رغـــابي

أنـــتِ تـــدرين أنّ عمـــركِ رهـــنٌ

بقضــــاءِ المهـــيمنِ الوهـــــابِ

قـــد تمـــوت الزهـــورُ فـــي حضـــن روضٍ

حـــين تحيـــا علـــى رمـــالِ يبـــابِ

فـــي اخـــتلاف الأعمـــار آيُ قضــــاءٍ

مـــن إلــــهِ الحظـــوظ والأســـبابِ

مـــا لخلـــقٍ إلا قبـــولُ حظـــوظٍ

مـــا لهـــم فـــي القبـــول حـــقُّ انتخـــابِ

كســــــحابٍ يجـــــري ليصــــــبحَ غيثـــــاً

فمصـــــــير الســـــــحاب للتســـــــكابِ

أو كفلـــــكٍ تـــــرى العبـــــابَ، ولكـــــنْ

لا تـــرى مـــــا يقـــــرُّ تحـــت العبـــابِ

إنّ لـــــي مـــــن بقيـــــةِ العمـــــر ثوبـــــاً

قـــــدرياً مــــــن أجمـــــل الأثـــــوابِ

أو أراه بـــــــابَ الرجـــــاءِ مبينـــــــاً

كـــــلَّ مـــــا خلفـــــهُ مـــــن الأبـــــوابِ

فـــــأراني أعـــــيش فـــــي صــــــفحاتٍ

خالـــــداتٍ تركتهـــــا فـــــي كتـــــابي

أو لعلـــــي أغـــــدو بقيـــــةَ ذكـــــرى

أشـــرقتْ فـــي ضـــمائر الأصــــحابِ

أو لعلـــــي أصـــــير نبضـــــةَ حـــــزنٍ

فـــــي قلـــــوب الأعـــــزةِ الأحبـــــابِ

ليتنـــــي لا أصـــــير لابنـــــيَ غمـــــاً

بتخفّـــــى فـــــي دمعـــــه المنســـــابِ

هـــل ســـيبقى ليلـــي يـــودُّ حضـــوري

باشـــتياقٍ، إذا أطلـــتُ غيـــابي!

والصـــــباحُ الوليـــــد هـــــل يتصـــــبى

للقـــائي بعـــد الـــدجى المنجـــابِ!

وحشـــــود الأوراق هـــــل تتلـــــوى

والهـــاتٍ مـــن حيـــرةٍ واضــطرابِ!

ويراعـــي المشـــوقُ هـــل يتشـــظى

لوعـــةً مـــن تلهـــفٍ وارتقـــابِ!

والـــدواوينُ هـــل ســـيملكنَ صـــبراً

نـــــاظراتِ نحــــوي بغيـــــر انتحـــــابِ!

هــــــؤلاء الــــــذين لـــــم ألـــــقَ فــــيهم

زيــــــفَ حـــــبٍّ ولا ظـــــلالَ ارتيـــــابِ

وســــــيبقى الحـــــبُّ الصــــدوقُ صـــــراحاً

لـــــم يَشِـــــبْه تصـــــنعُ الألقـــــابِ

عمان ٢٠١١/٢٠/١٠

صورة وجدار

إلـــــيَّ جــــــداري رنــــــا حانيــــــا
وكــــم خلتــــــهُ عالمــــاً مــــا بيــــا

تعودتـــــــــــهُ واقفـــــــــاً صــــــــابراً
ومــــــا لاح مــــــن وقفــــــةٍ وانيــــــا

يلـــــــــوذ بصــــــــــمتٍ، ولكنــــــــــه
يظـــــلَّ إلــــــى مجلســــــي رانيــــــا

فمـــــا كـــــان عـــــن مقعــــدي غــــافلاً
ومـــــا كـــــان عـــــن لـــــوعتي ســـــاهيا

أقامــــــت علـــــى صـــــدره صــــــورةٌ
لمـــــنْ كـــــان ليلـــــي بهـــــا ضـــــاحيا

تبـــــدى ســـــعيداً بهـــــا هائمــــــاً
وقـــــد ضـــــمها هانئـــــاً راضـــــيا

وأبهجــــــــــهُ أنــــــــــه معجــــــــــبٌ
يقاســـــــمني حُبَّهـــــــا الغاليـــــــا

رآنـــــــي أحــــــدقُ فيهـــــا، وقـــــــد
أعـــــادت إلـــــيَّ الجـــــوى الضـــــاريا

وطرفــــــــي يعانقهـــــــا لمحــــــــةً
ليرتـــــدَّ عـــــن حســـــنها باكيـــــا

فيرجــــــعَ شـــــوقي إلـــــى وقـــــدهِ
وكنـــــــتُ تخيلتـــــــهُ خابيـــــــا

علـــــى ثغرهـــــا خُلِّـــــدَتْ بســـــمةٌ
فصـــــارت ســـــنىً مشـــــرقاً باقيـــــا

وقـــــد نـــــمَّ عـــــن نبلهـــــا وجههـــــا
ومـــــا كـــــان أجملـــــهُ واشـــــيا!

عـــذرتُ الـــذي قـــد غـــدا عاشـــقاً
بهـــاءً علــــى صـــدره ثاويـــا
فقـــد كـــان، مـــن قبلهـــا هاجعـــاً
فأضـــحى بهـــا مســـهداً واعيـــا
حبتـــــهُ حيـــــاة أحاسيســـــهِ
ونبضـــاً يظـــلُّ لهـــا داعيـــا
ومـــا لمتـــهُ إنْ صـــبا وانتشـــى
فصـــار لهـــا الوالـــهَ الثانيـــا
رآنـــي أبـــثُّ العـــذابَ الـــذي
بشـــعري غـــدا ناحبـــاً راثيـــا
غبطـــتُ الـــذي كـــان مـــن حســـنها
يُـــروَّى ليتركنـــي صـــاديا
وأصـــبح روضـــاً حـــوى زهـــرةً
ليشـــتمَّ منهـــا الشـــذى الســـاريا
وصـــار لهـــا حضـــنها المصـــطفى
وأمســـى لهـــا المجلـــسَ الـــدانيا
وأصـــبح لـــي راصـــداً خالـــداً
يعـــدُّ وجيبـــي وأنفاســـيا
ويلحظنـــي صـــامتاً ناطقـــاً
ويبصـــرني نائمـــاً صـــاحيا
فأحسســـتُ حُبِّـــيَ، مـــن غيـــرةٍ
يحيـــلُ فـــؤادي لظـــىً داميـــا
تمنيـــتُ لـــو غـــادرتْ صـــورةٌ
جـــداري، وعنهـــا غـــدا قاصـــيا
فأنزلتهـــا عـــن ســـنى عرشـــها

لأودعهـــــا المكمَـــــــنَ النائيـــــا
أمـــــا ظـــــلَّ قلبـــــي مقامـــــاً لهـــــا
فصـــــان لهـــــا قـــــدرها الســـــاميا!
فحســـــــبي خيـــــالٌ أراهـــــا بـــــه
وقلـــــبٌ يظـــــلُّ لهـــــا راعيـــــا
وقلـــــتُ لنفســـــيَ فـــــي حيرتـــــي
أمـــــا كنـــــتُ مســـــتكبراً عاتيـــــا!
وهـــــل كنـــــتُ فـــــي فعلتـــــي منصـــــفاً
رحيمـــــاً، أو الظـــــالمَ الجانيـــــا!
كصـــــادٍ، مـــــن الـــــوردِ لا يســـــتقي
ليجعـــــلَ مـــــن قفـــــرهِ ســـــاقيا
صـــــبوتُ لبـــــدري غـــــدا غيبهـــــاً
وخلـــــفَ دجـــــى غيمـــــةٍ خافيـــــا
حننـــــتُ إلـــــى بســـــمةٍ حلـــــوةٍ
لأنســـــى زمـــــانَ النـــــوى القاســـــيا
وذبـــــتُ اشـــــتياقا إلـــــى طلعـــــةٍ
أضـــــيءُ بهـــــا دربـــــيَ الـــــداجيا
وأزجـــــي هـــــوايَ لهـــــا علهـــــا
بـــــوهمي تبـــــثُّ هواهـــــا ليـــــا
حســـــبتُ الجـــــدارَ رنـــــا حســـــرةً
إلـــــيَّ، وعـــــاتبني راجيـــــا
وخلـــــتُ أســـــاريرهُ أصـــــبحتْ
مُحيّـــــاً بأحزانـــــهِ كابيـــــا
أعـــــدتُ لـــــه الرســـــمَ مســـــتغفراً
فلـــــن أصـــــبحَ الجـــــائرَ الباغيـــــا
فعـــــدتُ إلـــــى صـــــورةٍ أســـــعدتْ

كيـــــاني، ولســـــتُ لهــــا ســــاليا

لأحظـــــى بـــــأحلى ابتســــامٍ لهـــــا

يُهـــــوِّنُ لـــــي خطبـــــيَ الـــــداهيا

فمـــــا جحـــــدتْ روضـــــةٌ زهرهـــــا

ولـــــم تبغـــــهِ ظامئـــــاً ذاويـــــا

ومـــــا كـــــدرتْ نبعـــــةٌ ماءهـــــا

ليبقـــــى لناهلـــــهِ صـــــافيا

ومـــــا منعـــــتْ ليلـــــةٌ نورهـــــا

لتُطلِـــــعَ لـــــي نجمهـــــا الهاديـــــا

ويـــــا ربَّ بـــــرقٍ رعـــــى مـــــدلجاً

وكـــــان لـــــه فـــــي الســـــرى كافيـــــا

ســـــألبثُ أرنـــــو إلـــــى صـــــورةٍ

ليبقـــــى فـــــؤادي بهـــــا ناديـــــا

فيبقـــــى قشـــــيباً رداءُ الهـــــوى

فمـــــا شـــــئتهُ جافيـــــاً باليـــــا

فتبعـــــثَ ذكـــــراه بـــــي صـــــبوةً

تعيـــــد الصـــــبا الزاهـــــرَ الزاهيـــــا

يظـــــلُّ الجـــــدار بأفراحـــــهِ

لصـــــورتهِ صـــــادحاً شـــــاديا

ويرمقنـــــي حامـــــداً شـــــاكراً

إلـــــى أن يـــــرى مقعـــــدي... خاليـــــا

فظـــــلَّ ســـــكون الـــــدجى مصـــــغياً

فلـــــم يلـــــقَ إلا الصـــــدى الفانيـــــا

٢٠١١/١٠/٢٥

جاء في الحديث الشريف: ابتسامتك في وجه أخيك صدقة.

لغة بلا أبجدية

لغـــــــــةٌ آدميــــــــــــةُ الأبعـــــــــادِ

مـــا لهـــا فـــي اللغـــات مـــن أنـــدادِ

فهـــيَ مـــن صـــنع ضـــحكةٍ وابتســـامٍ

وإخـــــــــــاءٍ وألفـــــــــــــةٍ ووِدادِ

وهـــيَ فصـــحى وإن ســـلتْ كـــل لفـــظٍ

بمعـــــانٍ خُطَّـــــتْ بغيـــــر مـــــدادِ

فالأســـــــاريرُ أشـــــــرقتْ ببيـــــانٍ

لـــــيس ينمـــــى لأمـــــةٍ أو بـــــلادِ

أســـــرتني بـــــلا حـــــروفٍ، فراحـــــت

تتغنـــــى بهـــــا حـــــروفُ الضـــــادِ

أفـــــلا تجمـــــعُ الـــــورى باتحـــــادِ

أخـــــويٍّ، أكـــــرمْ بأســـــمى اتحـــــادِ!

شـــــاءها الله أن تُكَمِّـــــلَ خلقـــــاً

بســـــموٍ فـــــي خـــــاطرٍ واعتقـــــادِ

وشـــــذى بســـــمةٍ تعطـــــرُ وجهـــــاً

يزدهـــــي فوقـــــه صـــــفاءُ فـــــؤادِ

أو نراهـــــا لاحـــــت كنأمـــــة طفـــــلٍ

مـــــا لآيـــــاتِ ســـــحرها مـــــن نفـــــادِ

أو نراهـــــا دنيـــــا تلألـــــئُ نـــــبلاً

برئـــــتْ مـــــن ضـــــراوة الأحقـــــادِ

لـــــم يشـــــأها الإحســـــاسُ زيغـــــاً وزيفـــــاً

وخـــــداعاً، ومبعثـــــاً للتعـــــادي

فتســــــامت علــــــى صـــــغارٍ وغـــــيٍّ
وخلــــــتْ مــــــن عــــداوةِ الحســـــادِ

لــــم تــــؤثمْ بســــورةٍ مــــن ضـــلالٍ
وصــــــراع الأشــــــباهِ والأضــــــدادِ

وبــــــدتْ مثــــــلَ صــــــهوةٍ بعنــــــانٍ
مــــن حنــــانٍ مطيعــــةٍ فـــي القيـــادِ

ليــــــرى الآدمــــــيُّ عنـــــد أخيـــــه
صـــدقَ قربـــى تنزهـــتْ عـــن لـــدادِ

لغـــةٌ فـــي القلـــوبِ ضـــاعت، فلاحـــت
فـــي وجـــوهٍ عنـــد الخطـــوب الشـــدادِ

ســــطرتها بنــــانُ حــــبٍّ، فأضــــحتْ
مــــن تــــراثِ الأجــــداد للأحفــــادِ

فــــوق ثغــــرٍ ومقلــــةٍ وشــــعورٍ
وضــــميرٍ مضــــمخ بالرشــــادِ

هــــيَ نعمــــى للطفــــل مــــذ صــــاحبتهُ
ورعتــــهُ مــــن لحظــــة المــــيلادِ

لــــيس يلقــــى فيهــــا صــــعوبة فهــــمٍ
أو ونــــىً مــــن تعلــــمٍ واجتهــــادِ

فهــــيَ مثــــلُ النشــــيدِ مــــن عنــــدليبٍ
خلــــدتْ فيــــه فطــــرةُ الإنشــــادِ

فبــــــدا شــــــدوهُ بإيحــــــاء ربٍّ
كابتهــــالٍ، أعظــــمْ بــــه مــــن شــــادِ!

ربَّ كــــربٍ بــــدا كجــــرحٍ رغيــــبٍ
فغــــدتْ لمســــةٌ لــــه كالضــــمادِ

وأســــيرِ مصــــفدٍ بــــات ينســــى

بحنـــــــوٍّ جهامــــــــة الأصـــــــفادِ

وحـــــــزينٍ نامـــــت أمانيـــــه يأســــاً

فـــــدعتها ابتســـــامةٌ مــــن رقـــــادِ

وشـــــــقيٍّ بنـــــــار عســـــرٍ تلظـــــى

فاســـــــتحالتْ برحمــــــــةٍ لرمــــــادِ

مـــــا وُهبنــــا الشـــــفاهَ إلا لتبقـــــى

بـــــافترارٍ وضـــــيئةً بـــــالودادِ

لتـــــرى كـــــالزهور عنــــد انفـــــراجٍ

فـــذةَ الحســـنِ حلـــوةً كالشــــهادِ

أو نراهــــا مثـــــلَ الينــــابيع فاضــــت

فـــارتوى مــــن فراتهـــا كـــلُّ صـــادِ

أو نراهــــا مثـــــلَ الســـــنابل جـــوداً

فحبتنــــا ســـــعادةَ الحصّـــــادِ

مـــا ملكنـــا لطـــــفَ الملامـــح إلا

لنـــــرى الفـــــرقَ بينهــــا والجمـــادِ

ونــــرى الفــــرقَ بـــين إشــــراق حـــبٍّ

ووجـــــومٍ فـــــي غضــــبةٍ واحتـــدادِ

فالأســـــــاريرُ أصـــــــبحتْ ناطقـــــاتٍ

مفصــــحاتٍ عـــن الكــــلام المـــرادِ

واســـــتحال البِشْـــــرُ الوضـــــيءُ تحايــــا

صـــامتاتٍ، بــــلا لســـانٍ تنـــادي

وتبـــاهى الترحيـــب فـــي ومـــض عـــينٍ

بحبـــورٍ، كطلعـــة الشــــمس بـــادِ

مـــا حُبينــــا العيــــونَ إلا لتبقـــــى

عفـــة اللحـــظِ كالشـــعاع الهـــادي

لنـــــرى فــــي الــــورى رفـــاقَ حيـــاةٍ

فــــي دروبٍ مـــــن الهـــــدى والرشـــــادِ

لـــــــمَ لا تصـــــــبحُ الأخـــــوةُ فينـــــا

شـــــــرعةً للســـــــرور والإســـــــعادِ!

كـــــــورودٍ حيـــــــتْ شـــــآبيبَ نـــــورٍ

صـــــادقاتٍ فــــي الحـــــبِّ والميعــــادِ

أو مـــــــروجٍ هفـــــــتْ لرقـــــــةِ غيـــــثٍ

هاطــــلٍ فــــي الأوانِ، ســــمحٍ جـــوادِ

كلنــــا حــــاز مــــن حيــــاةٍ وجــــوداً

فــــــي لقـــــــاءِ الأرواح والأجســـــــادِ

مـــا رضـــينا خُلْفـــاً بـــدينٍ ولـــونٍ

فنأينـــا عـــن ســـطوةٍ واضـــطهادِ

كـــلُّ أدياننـــا أتـــتْ مـــن إلـــهٍ

واحـــدٍ قـــدَّر الهـــدى للعبـــادِ

فرقتنـــا ألواننـــا، فاجتمعنـــا

فـــي رغـــابٍ وفـــي شـــرابٍ وزادِ

أيُّ فـــرقٍ تـــراهُ بـــين بيـــاضٍ

واحمـــرارٍ وصـــفرةٍ وســـوادِ!

كـــلُّ هـــذي الألـــوانِ تعنـــي أناســـاً

تتســـاوى فـــي المـــوت والمـــيلادِ

لـــم تنـــلْ مـــن ســـموِّ روحٍ قشـــورٌ

أو دعـــتْ نبـــلَ جـــوهرٍ لفســـادِ

فـــاللآلي تعـــزُّ فـــي صـــدفاتٍ

وتـــرابٍ، وفـــي نضـــيدِ قـــلادِ

وابتســـام الرجـــاء فـــي الخطـــب أجـــدى

مـــن عبـــوسِ القنـــوط فـــي الأعيـــادِ

لغـــــةُ الحـــــبِّ والتســـــامح تبقـــــى

حيـــــةً فـــــي ضـــــمائر الآمـــــادِ

عمان ٢٠١١/١٠/٢٨

ليلتي

هتفتْ ليلتي وهشَّ دجاها

لقدومي، ورحبتْ بي سماها

وتصبتْ ساعاتهاُ لخيالي

وخشوعي، وعانقتني رؤاها

وترامى السكونُ حولي شفيفاً

حسبَ الفكرَ بردةً، فارتداها

فشدا الحسُّ، وازدهت كلماتي

بالذي كان خاطري وشاها

وتهادت فيها المعاني كما لو

بأماراتِ حسنها تتباهى

ما اصطفيت الألفاظ فيها جزافاً

ذاكَ أن المعنى الجليل اصطفاها

أو أسرتُ المعنى إذا رام مسرىً

لسمواتِ روعةٍ يهواها

لم أشأهُ مستسلماً لعنانٍ

ظالمٍ في مهامهِ الغيِّ تاها

شئتهُ فارساً، وقد كرمتهُ

صهوةُ العزِّ، ليس يرضى سواها

أو تخيلتهُ لحوناً عذاباً

ملأتْ مسمعي برجع صداها

أو تراءى كليلةِ السهدِ عندي

كلُّ نجمٍ مسهدٍ قد رآها

سرني أنْ حسبتهُ لِسُطوري

مشرئباً لكي يرى فحواها

هائئـــــــاً إنْ رأى ســـــــرورَ ســـــــطوري

بائســـــاً إنْ رأى شـــــكاةً وآهـــــا

فيــــرى الطفـــلَ كيـــف أصـــبح شـــيخاً

فـــي حيـــاةٍ مـــا كـــان يخشـــى فناهـــا

مـــا عنـــاني مـــن ليلتـــي غيـــرُ صـــمتٍ

فتســـــاوى ديجورهـــــا وســـــناها

إنّ فـــــي الصـــــمت مبعثـــــاً لخيـــالٍ

تفهـــمُ الـــــنفسُ بعـــــده دنياهـــــا

رحـــتُ أفنـــي الهزيـــعَ بعـــدَ هزيـــعِ

وســــــويعاتُ ليلتـــــي تتنــــــاهى

لـــم يضـــرها بـــأسُ اخـــتلاسٍ وقطـــعِ

أو ينـــلْ طـــولُ ســـلبها مـــن مـــداها

فهـــيَ تحظـــى فـــي كـــلّ يـــومٍ بعمـــرٍ

مســـــتجدٍّ يردهـــــا لصـــــباها

كنـــتُ منهـــا أحـــوز كـــلَّ مســـاءٍ

رَوْحَ روحٍ وأمنهـــــا ومناهـــــا

وأراهـــا صـــارت خدينـــةَ عمـــرٍ

بعقـــودٍ حبيبـــةٍ ترعاهـــا

فهـــيَ منـــه تعيـــدُ مـــا منحتـــهُ

وهـــو منهـــا يعيـــدُ مـــا أعطاهـــا

وهـــيَ تنســـى الأعمـــارَ مـــن بعـــدِ عـــدٍّ

وهـــو مـــن بعـــدِ عـــدها ينســـاها

هـــل غـــدتْ ليلتـــي مناهـــلَ وعـــدٍ

فقصـــيدي يعـــبُّ مـــن أحلاهـــا!

وإليهـــا ترنـــو عيـــونُ القـــوافي

وامقـــــــاتٍ تبثهـــــا نجواهــــــا

أيُّ ســــــرٍّ فـــــي ليلتــــــي مســــتكنٍّ

يجعـــــلُ الشـــــعرَ عاشـــــقاً مثواهـــــا!

فهــــو يبقـــــى طــــولَ النهـــــار مشـــــوقاً

فـــــإذا أقبـــــلَ المســــــاءُ أتاهــــــا

تتبـــــارى الألفــــاظُ فـــــي حــــبِّ شـــعرٍ

فزهــــــاهُ حبورهــــــا وهواهــــــا

وابتســــــامٌ علــــــى شـــــفاهِ المعــــاني

ولكــــمْ جمـــــلَ ابتســــامٌ شـــــفاها!

أو تراهـــا فــــي روعـــة الـــوحي أضــحتْ

روضــــــةً طيـــــبَ الإلـــــهُ ثراهــــا

كــــلُّ لفـــظٍ فـــي الشـــعر زهـــرة حســـنٍ

نشــــرَ الحـــبُّ عطرهــــا وبهاهــــا

أو جلــــــتْ ليلتــــــي جـــــلالَ ســـــماءٍ

ودَّ شـــــعري لــــــو أنـــــه يرقاهـــــا

لـــــن تضـــــيرَ الثــــرى ســــماءُ شـــموخٍ

فهـــــو يهـــــوى ســــموها وعلاهــــا

حســــــبهُ أن تظـــــلَّ ترنـــــو إليـــــه

وكفــــاهُ مــــن حســــنها أن يراهــــا

لـــــي بشـــــعري إلـــــى الإلـــــهِ طريـــــقٌ

فبـــــهِ الـــــنفسُ أدركــــتْ تقواهــــا

ليلتـــــي تســـــتحيلُ محــــرابَ روحــــي

حـــين ترجـــو الإلـــهَ فــــي دعواهـــا

شــــرفُ الشـــعر أن يصـــيرَ وصـــولاً

للــــذي لا نــــرى لـــــه أشـــــباها

لســــتُ أرضــــى للشــــعر إلا كمــــالاً

لأراه ينـــــال قـــــدراً وجاهـــــا

إنّ حبـــــي للضـــــادِ بعـــــد «كتـــابٍ»

وهـــبَ الـــروحَ رشـــدها وهـــداها

وكفـــاني مـــن الثـــواب ليـــاذي

بانبهـــارٍ بـــه عرفـــتُ اللهَ

عمان ٢٠١١/١١/٢

يا عراق

عـــــراقُ أضِـــــئْ بـــــالطموح الغـــــدا
لتنســـــى بـــــه أمســـــكَ الأســـــودا
وأبشـــــرْ بيـــــومٍ بـــــدا مطلقـــــاً
وكـــــان بأرزائـــــهِ صُـــــفّدا
أعـــــدْ للمحامـــــدِ إشـــــراقها
لترجعـــــكَ الماجـــــدَ الســـــيدا
وأرجـــــعْ لبغـــــداد أيامهـــــا
لتأخـــــذَ مـــــن مجـــــدها موعـــــدا
فلـــــم يـــــكُ مـــــا مـــــرَّ مـــــن صـــــمتها
إســـــاراً وســـــجناً ولا مرقـــــدا
ولكنـــــه الجمـــــرُ إمـــــا ثـــــوى
وتحـــــتَ الرمـــــاد اصـــــطفى مرصـــــدا
فيرنـــــو لأحزانـــــه ضـــــاحكاً
ويـــــا ربَّ طيـــــرٍ حـــــزينٍ شـــــدا

فظـــــلَّ يُكـــــتِّمُ غـــــمَّ اللظـــــى
فمـــــا كـــــان للجمـــــر أن يخمـــــدا
تُصَـــــبِّرُ أتونـــــهُ عـــــزةٌ
ومـــــاضٍ بآياتـــــه خلـــــدا
فيلبـــــثُ مســـــتوفزاً ثـــــائراً
فقـــــد آنَ للنـــــار أن توقـــــدا
يـــــرى فجـــــرَ يمـــــنٍ بلألائـــــه
وكـــــلِّ بشـــــائرهِ قـــــد بـــــدا

وفـــــي قلـــــبِ بغـــــداد أنشـــــودةٌ
كـــأنّ الوجيـــبَ بهـــا أنشـــدا
فـــتلمحُ مــــن خلفـــهِ عالمـــاً
بهيـــاً وضـــيئاً رحيـــب المـــدى
وتبصـــرُ ليـــلَ الطغـــاةِ انقضـــى
بكـــلِّ غياهبـــه بـــددا
وبغـــدادُ ترقبـــهُ راحـــلاً
حســـيراً، وفـــي خطـــوهِ مجهـــدا
ولـــم تخـــشَ فـــي عمرهـــا ظلمـــةً
فعمـــرُ الـــدجى لـــم يكـــنْ ســـرمدا
فقـــد غـــاب بغـــيٌ علـــى رغمـــهِ
وغـــرَّبَ عـــن أرضـــها مبعـــدا
تنـــاءى عـــن الأرض تصـــخابهُ
فمـــا أبقـــتِ الـــريحُ إلا الصـــدى
عـــراق أمانيـــكَ ليســـتْ رؤىً
ولكـــنْ يقـــينٌ يهـــزُّ العـــدى
فكـــم مطلـــبٍ كنـــتَ أيقظتـــهُ
فظـــلَّ كمـــا شـــئتهُ مســـهدا
رأيـــتَ جيـــوش العـــدى أقبلـــتْ
فظنـــتْ بـــأنْ أحـــرزتْ ســـؤددا
وأنّ عقابيـــلَ بهتانهـــا
تحيـــلُ التـــرابَ لهـــا عســـجدا
وأنّ الـــذي فعلـــتْ منـــةً
وخالتـــهُ حقـــاً فلـــن يجحـــدا
عـــراقُ لـــكَ اللهُ فـــي طغمـــةٍ

وقـــد بـــرأتْ مـــن طغـــى واعتـــدى
وللظلـــــمِ أكثـــــرُ مـــــن حيلـــــةٍ
فيبـــدو الضـــلالُ بهـــا كالهـــدى
صـــبرتَ علـــى الســـيفِ مـــن جـــائرٍ
ففـــي قلـــبِ أرضـــكَ قـــد أغمـــدا
وأعظـــمْ بجـــرحٍ مضـــى ســـاخراً
مـــن الســـيف، فـــالجرحُ مـــا ضُـــمِّدا
أبـــى ذلـــةَ البـــرءِ حتـــى غـــدا
صـــداحاً بلحـــنِ الجـــوى غـــردا
إذ العســـفُ يـــزرع فيـــكَ الـــردى
فمـــنْ مثلـــهِ شـــاء أن يحصـــدا
يريـــكَ خـــداعَ أســـاريره
لتجهـــلَ، مـــن لطفهـــا، المقصـــدا
فمـــا نســـيَ الـــوحشُ أنيابـــهُ
وكـــم مخلـــبٍ فاتـــكٍ جـــردا
وأنـــتَ بمـــا حـــزتَ مـــن عـــزةٍ
صـــبرتَ فأفزعـــتَ منـــكَ الـــردى
عرفنـــاكَ طـــوداً ســـنيَّ الـــذرى
وفـــي أفُـــق المجـــد قـــد صـــعدا
فهشـــتْ إليـــه ســـماءُ العـــلا
حبـــوراً، فصـــار لهـــا فرقـــدا
ومـــا هاجـــهُ العصـــفُ مـــن زعـــزع
ومـــا هـــزهُ الهـــولُ إن أرعـــدا
نمتـــكَ إلـــى مجـــدها أمـــةٌ
فإنـــكَ رمـــزُ النـــدى والفـــدى

فأصـــــــبحتَ فـــــي عقــــــدها درةً
أجـــــلَّ وأجمـــــلَ مـــــا نضـــــدا
وكنـــــتَ لهـــــا الغـــوثَ فـــي حربهـــا
وكنـــــتَ الســــلاحَ لهــــا، واليــــدا
وكنـــــتَ المنـــــافحَ عـــــن حقهـــا
إذا مـــا بغــــى الخصـــم أو هـــددا
إذا مـــــا ابتغـــــتْ عينهـــا زينـــــةً
حننـــتَ فصـــرتَ لهـــا المــــرودا
وإنْ ضــــيقَ العســــر عيشــــاً لهـــا
بســـطتَ لهـــا عيشـــها الأرغــــدا
وإمـــــا غــــدا حظهـــــا مشـــــقياً
غــــدوتَ لهـــا حظهـــا المســــعدا
فــــوا اللهِ مـــا جـــلَّ قـــدرٌ لهـــا
إذا لـــــم تكـــــنْ هامهـــــا الأصـــيدا
بغيـــــركَ مــــا أدركـــــتْ أمتـــــي
فلاحـــــاً، ومـــا صــــانتِ المحتـــــدا
ومـــــا أنجبـــــتْ عالمــــاً حاذقـــــاً
هــــداها إلـــى العلـــم لمـــا اهتـــدى
ومـــــا مهـــــدتْ دربهـــــا للعـــــلا
بمـــا كـــان عزمـــكَ قـــد مهـــدا
ومـــا شــــيدتْ صـــرحَ عـــزٍّ لهـــا
بمـــا كـــان عزمـــكَ قـــد مهـــدا
تعشـــــــــقَ بغـــــــداد تاريخهــــــا
ومـــا كـــان عاشـــقها الأوحــــدا
أصـــــــار قلـــــــوبَ أحبائهـــــــا

وعشـــــــاقها خُشَّــــــعاً شُـــــــهَّدا

وهـــــــبَّ لهــــــا ســــــفرهُ معجبـــــــاً

وممتــــــــدحاً مجــــــدها المفـــــــردا

وكــــــان ارتـــــــدى كـــــلَّ أثوابهـــــا

فخـــوراً، وقـــد ســـرهُ مـــا ارتـــدى

عــــــراقُ أرى مولــــــــداً باذخـــــــاً

لعهــــــــدٍ نُباركــــــــهُ مولــــــــدا

أعِــــدْنا لعهــــــد الرشـــــيد الـــــذي

نــــــــراهُ لأمتنـــــــا المرشـــــــدا

عــــــراقُ ســـــــتلبثُ فـــــي أمـــــةٍ

إمـــــامَ المــــــروءاتِ والمنجـــــدا

عمان ٢٠١١/١١/١١

وحدي مع الأيام

وحـــدي مـــع الأيـــام بـــين خـــواطري
وهواجســـي ونـــوازعي ومشـــاعري
أحببتهـــا مـــذ شـــاطرتني وحـــدتي
فاســـتأثرتْ عنـــدي بحـــظٍّ مشـــاطرِ
كـــلٌّ تمنـــتْ أنهـــا مـــا فارقـــتْ
حســـي، ومـــا ســـكنتْ صُـــدورَ دفـــاتري
لتظـــلَّ تهجـــع فـــي لـــواعج خـــافقي
وتظـــلَّ تحيـــا فـــي خيـــال الشـــاعرِ
كانـــت تحـــسُّ الســـطرَ أصـــبح لحـــدها
لمـــا أماتتهـــا يراعـــة ســـاطرِ
وتظـــنُّ أنْ اللفـــظَ أفشـــى ســـرها
لتصـــير لغـــواً فـــي لســـانٍ هـــاذرِ
فالصـــبر يعطيهـــا الحيـــاةَ وإن غـــدا
جرحـــاً رغيبـــاً فـــي فـــؤادٍ صـــابرِ

مـــا شـــئتها شـــكوى تجـــيش لحونهـــا
حزنـــاً، وتبكيهـــا عيـــون قيـــاثري
أو شـــــئتها صـــــخابةً ندابـــــةً
ترنـــو لهـــا ســـخطاً لحـــاظُ منـــابري
لـــم يبـــقَ لـــي فـــي العمـــر غيـــر قصـــيدةٍ
تشـــكو، علـــى رغمـــي، همـــوم الحاضـــرِ
أكـــــرمْ بأشـــــعارٍ بـــــدَوْنَ لنـــــاقمٍ
تُهمَـــاً، فصـــرنَ مثـــالبي وجرائـــري!

كالمبصــرِ الشــوكَ الــذي فــي روضــتي
ويشــيحُ عمــداً عــن جمــال أزاهــري
أو كالــذي قــد قــال عــن شــمس الضــحى
هــي شــمعةٌ تفنــى بليــل الســامرِ
رافقــــتُ أيـــامي بلهفـــة صـــاحبٍ
وصـــحبتُ عمـــري باشـــتياق مســـافرِ
أدري بـــأني بعـــد حـــينٍ راحـــلٌ
وكأنمـــا عمـــري ســـويعةٌ زائـــرِ
أو أنـــه عبـــقٌ يضـــوعُ هنيهـــةً
ويضـــيعُ فـــي مســـرى النســـيم العـــابرِ
حســـبي مـــن الـــدنيا أمـــانُ مضـــاجعي
لأحـــسَّ باطمئـــانِ عـــشّ الطـــائرِ
وعبـــوسُ حظـــي لا يثيـــر كـــآبتي
وتجهـــمُ الأيـــام لـــيس بضـــائري
وعطـــاءُ رزقـــي لـــن يصـــير ضـــراوةً
تـــدعوه شِـــرَّتُها لـــبطشٍ غـــادرِ
ليظـــلَّ حقـــي كالحقيقـــة خالـــداً
حـــراً، فمـــا لإبائـــه مـــن آســـرِ
مـــا لمـــتُ أيـــامي إذا هـــي ضـــيقتْ
رزقـــي، وضـــنتْ بالجزيـــل الغـــامرِ
لكـــنْ شـــكرتُ لهـــا عظـــيمَ هباتهـــا
وســـعدتُ بالرفـــد العمـــيم الزاخـــرِ
مـــا همَّهـــا لـــومٌ ولا شـــكرٌ، ومـــا
عبئـــتْ بلفتـــةِ عـــاذلٍ أو عـــاذرِ
فـــالله فـــي تقـــديره قـــد شـــاءها

تُعـــنَ لهيمنــــةِ القضــــاء القـــاهرِ

لــــم تعنَـــو فطرتهـــا بوقـــع خطوبهـــا

وبمـــا تـــرى مـــن نـــاكرٍ أو شـــاكرِ

وحـــدي مـــع الأيـــام يطـــوي بعضَـــها

عمـــري، فتطويـــه بعـــزمٍ آمـــرِ

وأرى لهـــا صـــوراً يحـــار تخيلـــي

فيهـــا، فمـــا لضـــروبها مـــن حاصـــرِ

فتلـــوح لـــي حينـــاً تفـــيض بشاشـــةً

وتلـــوح لـــي آنـــاً بحقـــدٍ ســـافرِ

أو أنْ أراهـــا فـــي صـــباحة غـــادةٍ

خلابـــةٍ تزهـــو بحســـنٍ بـــاهرِ

لكنهـــا لـــم تســـتحلْ ولهـــاً ســـرى

فـــي مهجتـــي، أو فتنـــةً فـــي نـــاظري

عجبـــاً لمـــنْ مـــا زلـــتُ منهـــا ســـالباً

عمـــري، فترمقتـــي بطـــرفٍ ســـاخرِ

فجميـــعُ مـــا قـــد حزتـــهُ ســـتعيدهُ

صـــلفاً بقســـوةِ مســـتبدٍّ قـــادرِ

مـــا زدتُ عـــن بـــرقٍ مضـــى بوميضـــه

ليغيـــبَ فـــي أصـــداء رعـــدٍ هـــادرِ

فـــإذا حيـــاتي لمحـــةً مـــن لحظـــةٍ

خنعـــتْ لســـلطان العزيـــز الفـــاطرِ

مـــاذا تراتـــي غانمـــاً مـــن ومضـــةٍ

مـــا زال يرقبهـــا يقـــينُ مغـــادرِ

ســـنواتُ عمـــري كلهـــا قـــد أصـــبحتْ

حلمـــاً، ولكـــنْ مـــلءَ عـــين الســـاهرِ

الحــــزنُ فيـــه والحبـــور تعانقـــا

ونحــوسُ عمــري فــي مهــادِ بشــائري

واليــأسُ فيـــه كالرجـــاء، فلـــم تعـــدْ

تغنـــي مطـــامحُ خاســـرٍ أو ظـــافرِ

ومنـــاي مـــا عـــادت تتـــوق لواعـــدٍ

وتهـــابُ ســـطوةَ رادع أو زاجـــرِ

لكـــنّ شـــعري ظـــلَّ لـــم يعصـــفْ بـــه

زيــفٌ، فمـــا خلــطَ الحصـــى بجــواهري

وحـــدي مــــع الأيــــام تــــدعوني إلـــى

خطـــلٍ، فأردعــــهُ بعفــــةِ طـــاهرِ

وأرى خلاقــــي ناصـــحاً ومناصـــراً

أعظـــمْ بـــه مـــن ناصـــح ومناصـــرِ!

لا خيـــرَ فـــي عمـــرٍ طويـــلٍ راغـــدٍ

إن لـــم يكـــن نبـــلُ الضـــمير مـــؤازري

قـــد يغفـــر اللهُ الـــذنوبَ لتائـــبٍ

أمـــا الضـــلالُ فمـــا لـــه مـــن غـــافرِ

أمضـــي وفـــي قلبـــي الخشـــوعُ لخـــالقي

وعلـــى أســـاريري نقـــاءُ ســـرائري

عمان ٢٠١١/١١/٨

دروس من الطبيعة

طافــتِ النملــةُ حــولَ المــرج تســتطلعُ دربــهْ
تتهــادى تــارةً هونــاً لكــيْ تفحــصَ تربــهْ
أو تغــذُّ الســيرَ بالوثبــةِ تتلوهــا بوثبــةٌ
لـم تهـبْ مـن حفـرةٍ كـأداءَ، أو كلـتْ بهضـبةٌ
طفقتْ تسـعى، فمـا لاحـت لهـا الرحلـةُ صـعبةٌ
فـإذا جاعـت سـخا المـرجُ لكـيْ تأكـلَ عشـبهْ
ولهـــا إنْ عطشـــتْ مـــنْ
نقـــرةِ الصـــخرةِ شـــربةٌ
تعبـــتْ، لكنهـــا تملـــكُ إصـــراراً ورغبـــةٌ
لـــم تـــزلْ فيهـــا عيـــونٌ
راصـــداتٌ، مشـــرئبةٌ
ولهـــا الأرجـــلُ بـــالعزمِ وبالقـــدرةِ، صـــلبةٌ
مـــا أحســـتْ بضـــياع
وقنـــوطٍ، أو برهبـــةٌ
غيـرَ أنَّ الـدربَ قـد أفضـى إلـى وحشـةِ غربـةٌ
غـاب عـن إدراكهـا الـدربُ، فـدنيا النمـلِ رحبـةٌ
لـــم تعـــدْ تعـــرفُ شـــرقاً
فيـــه، أو تعـــرفُ غربـــهْ
مـا رأتْ مـا يرتجـي العشُّ، كـأنّ الأرضَ جدبـةٌ
ليصـــيرَ الظـــنُّ بـــالأرزاقِ للنملـــةِ كربـــةٌ
لـــم يعبهـــا ســـوءُ حـــظٍّ
أو يضِـــرْها وقـــعُ خيبـــةٌ
لـــنْ يصـــيرَ الفشـــلُ الـــداهمُ للصـــابرِ ذنبـــهْ

حسبها أن أحرزتْ من
سعيها قدراً وهيبةْ

لم تشأ لليأسِ تسليماً، فإنّ اليأسَ سبةْ
فطرةُ الصبر على الشدةِ فيها مستحبةْ
قالتِ النملةُ، والنورُ قضى في الدرب نحبَهْ:
أنا أدري ما لسير الليلِ من سوء المغبةْ

إنني أرقتُ فجراً
قد زهاني أنْ أحبهْ
فهو أوفى صاحبٍ ما
خان لي وداً وصحبةْ
فبهِ أبصرُ رزقي
ماثلاً أحسنُ جلبهْ

فسيجلو النورُ ما كان الدجى حاول حجبهْ
أنا بنتُ الأرضِ ترعاني بألوانِ المحبةْ

فغداً أكسبُ منها
كلَّ ما أستطيع كسبهْ

وسواءٌ كان حباتٍ، وإما كان حبةْ
جلَّ منْ صيرَ عزمَ النحلِ في أعظمُ رتبةْ

وحبا المخلوقَ، مهما
دقَّ في الخلقةِ، لُبَّهْ

عمان ٤/١٢/٢٠١١

إلى الشاعر الكبير الأستاذ "سعيد يعقوب" بمناسبة تكريمه في اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين بعد فوزه بجائزة وزارة التربية....

تهنئة من القلب

طويــــتُ الليـــلَ أبحـــثُ عـــن قصـــيدِ
لأهدِيَــــهُ إلـــى العَلَـــم المُجيـــدِ
فصـــرتُ بلهفتـــي الحـــرَّى ويُهـــدي
جـــواداً ســـاعياً خلـــفَ الطريـــدِ
نـــأتْ عنّـــي المعـــاني والقـــوافي
لأدركَهُـــنَّ بالجهـــد الجهيـــدِ
فكـــم معنـــىً عنيـــدٍ غـــاب عنّـــي
فرحْـــتُ أشـــدُّ ناصـــيةَ العنيـــدِ
وقافيـــةٍ ركبـــتُ لهـــا خيـــالاً
فعـــادت وهْـــيَ تصـــدحُ فـــي نشـــيدي
لتُصـــبحَ للفريـــد الفـــذِّ أهـــلاً
فـــإنّ الفـــذَّ أحـــرى بالفريـــدِ
ولكنّـــي ســـألتُ الضـــادَ عَوْنَـــاً
لعـــلّ الشـــعرَ يـــأتي بالمزيـــدِ
وهَبْـــهُ صـــاغ لـــي مـــدحاً نفيســـاً
كعقـــدٍ ضـــاءَ فـــي صـــدرٍ وجيـــدِ
فمَـــن لـــي بـــالروائع فـــي مـــديحٍ
ومَـــنْ لـــي بالسَّـــنِيِّ وبالجديـــدِ!
وهَـــبْ شـــعري غـــدا دُرّاتِ دُرٍّ
فهـــل يُهتـــدَى النضـــيدُ إلـــى النضـــيدِ!
وهـــل يُرضـــي الثنـــاءُ ابنـــاً عزيـــزاً

فـــإنّ رضـــاه أفراحـــي وعيـــدي!
ســـمعْناه شـــعره، فهفـــتْ قلـــوبٌ
وأذهـــانٌ لمُبتَكـــرٍ ســـديدِ
وأطربنـــا بألحـــانٍ عِـــذابٍ
فلـــيس لمـــا ســـمعْنا مِـــن نديـــدِ
غـــدْت للمُعجَـــب المفتـــون سِـــحراً
وطابـــت للمشـــوق وللمُريـــدِ
أظـــلُّ أعيـــدُ مـــا أحببـــتُ منـــه
لكـــي تحلـــو القـــراءةُ للمُعيـــدِ
كحُسْـــنٍ مـــا أردتُ لـــه انقطاعـــاً
وكـــم للحســـنِ مـــن صـــبٍّ عميـــدِ
هُنـــا الإبـــداعُ يُهديـــه بيـــانٌ
لشـــعرٍ عـــزَّ بـــالأسِّ الوطيـــدِ
فـــأطلقَ صـــيحة الإجـــلال تـــدوي
مباهجهـــا مـــع الرَّجْـــع البعيـــدِ
لتشـــكرَ فـــرْجَ شـــعرٍ حـــين أعطـــى
ســـنابلَ هزَّهـــا فـــرحُ الحصـــيدِ
مضـــى الإعجـــابُ يســـأل مِـــن زهـــولٍ
عـــن الإعجـــاز فـــي النَّسَـــق المجيـــدِ:
أشَـــقَّ غياهـــبَ الـــدنيا قصـــيدٌ
يشِـــعُّ ســـناهُ كـــالفجر الوليـــدِ!
أمِ انقـــادت مطايـــا مِـــن خـــلالٍ
لتوصِـــلَهُ إلـــى المعنـــى الشـــريدَ!
أمِ انبثقـــتْ جـــداولُ مِـــن فُـــراتٍ
تَهَـــشُّ لجـــودِهنَّ صـــدورُ بيـــدِ!

أمِ اضـــطرمتْ لـــواعجُ مِــن هُيــامٍ
صــبَتْ شــوقاً إلــى خُــودٍ وغيــدٍ!
أمِ ارْبحَّـــتْ ربـــوعٌ حـــين دوّتْ
نــداءاتٌ لتثـــأرَ للشـــهيدِ!
أمِ انـــدفعتْ مـــن الأقصـــى جـــراحٌ
كمـا انـدفقَ النجيـعُ مـن الوريـدِ!
لشـــاعرنا العطايـــا والهـــدايا
علـــى شـــعرٍ يـــروقُ لمســـتزيدِ
يـــرى الألفـــاظَ مـــوتَى دونَ نظـــمٍ
فينظمُهـــا لتحيـــا مِـــت جديـــد
لتُهـــدَى، وهْـــي أبهـــى أعطيـــاتٍ
إلـــى غُـــررٍ وســـاداتٍ وصـــيدٍ
لَـــئِنْ نـــال الجـــوائز فهْـــيَ حـــقٌّ
لمبتـــدع بروعتِـــهِ وحيـــدِ
ولكـــنّ الجـــوائزَ فانيـــاتٌ
وعمـــرُ الشـــعر كالأبـــد الأبيـــدِ

ولـــنْ ترقـــى جـــوائزُهُ إليـــه
فلـــيس لهـــا ســـوى قـــدْرٍ زهيـــدِ
وإنّ الشـــعرَ حُـــرٌّ حـــين تبـــدو
جـــوائزُهُ السَّـــنِيَّةُ كالعبيـــدِ
وكلـــم شـــعرٍ يـــؤولُ إلـــى خلـــودٍ
ومـــالٍ صـــار كـــالعَرَضِ البديـــد
تحيّـــاتي وإعجـــابي وحبّـــي
وإكبـــاري إلـــى ولَـــدي... «ســـعيدِ»

عمان ٢٠١١/١١/٢٦

فهرس الديوان

العنوان	الصفحة	العنوان	الصفحة
الإهداء	٥	الأسيرة	٤٥ ـ ٤٦
المقدمة	٦ – ٧	مع القوافي	٤٧ ـ ٤٩
السيرة الذاتية	٨	عذراً يا عمر	٥٠ ـ ٥٢
مع والله والنفس	٩ – ١٢	عندما تصبح الحقيقة كالأسطورة	٥٣ ـ ٥٦
في حفل قران	١٣ – ١٦	الحق العربي يتحدث	٥٧ ـ ٥٩
ليتنا كالملائكة	١٧ – ١٨	مناجاة كرمة	٦٠ ـ ٦١
الرحلة	١٩ ـ ٢١	أحزان الضاد	٦٢ ـ ٦٤
أحبك يا عراق	٢٢ – ٢٤	الكون والإنسان	٦٥ – ٦٦
دعاء	٢٥ ـ ٢٦	انحناءات شامخة	٦٧ ـ ٧٠
مع العزلة	٢٧ – ٣١	لماذا أحببت اللغة	٧١ ـ ٧٥
أمام لوحة سريالية	٣٢ – ٣٥	صورة أخرى للشمعة	٧٦ ـ ٧٧
سباعيات	٣٦ ـ ٣٨	قطرة ماء تتحدث	٧٨ ـ ٨١
الحق فطرة الوجود	٣٩ – ٤٢	مع عندليب	٨٢ ـ ٨٤
ثنائيات ساخرة	٤٣ ـ ٤٤	الوعد الخالد	٨٥ ـ ٨٦
هنيهات تأمل	٨٧	الله والطفل	١٣٧ ـ ١٤٠
تسابيح خلوة	٨٨ ـ ٨٩	شوكة في مرج من الزهور	١٤١ ـ ١٤٥
العمر والقدر	٩٠ ـ ٩١	لقاء العشرين والثمانين	١٤٦ ـ ١٤٩
تساؤل	٩٢	صورة أخرى للدرة	١٥٠ـ١٥٥
حينما يصبح الصبر ذلة	٩٣ ـ ٩٤	أحزان شيخ	١٥٦ ـ ١٥٨
حقيقة الدنيا	٩٥ ـ ٩٧	إلى طفلة نائمة	١٥٩ـ١٦١
حديث عن كوكبنا	٩٨ ـ ١٠١	الجبل والسيل	١٦٢ ـ ١٦٣
أناء الليل والشعر	١٠٢ ـ ١٠٥	سبحة جدي	١٦٤ ـ ١٦٧
من ذكريات الطفولة	١٠٦ـ١١١	حقيقة الشعر	١٦٨ـ

			١٧١
الشعر كما أحب أن أكون	١١٢-١١٥	ليلة على شرفة	١٧٢-١٧٥
رسوم وأشياء لا تقبل الفناء	١١٦-١٢٠	مع الشعر والنقد	١٧٦-١٧٧
يا بغداد	١٢١-١٢٣	بين الشَّعر والعين	١٧٨-١٨١
لغة الحياة	١٢٤-١٢٦	الموج والصخر	١٨٢-١٨٣
الغناء الخادع	١٢٧-١٢٨	نظرة أخرى للموت	١٨٤-١٨٧
ليلة قدرية	١٢٩-١٣٢	حديث عن بحر آخر	١٨٨-١٨٩
ابتهالات وتأملات	١٣٣-١٣٦	في ميلادي الرابع والثمانين	١٩٠-١٩٣
الحسن والحب والوجود	١٩٤-١٩٧	ليلتي	٢٢٠-٢٢٣
محطات العمر	١٩٨-٢٠١	يا عراق	٢٢٤-٢٢٨
السباحة في لج سماوي	٢٠٢-٢٠٥	وحدي مع الأيام	٢٢٩-٢٣٢
قصة صاحبين	٢٠٦-٢١٠	درس من الطبيعة	٢٣٣-٢٣٤
صورة وجدار	٢١١-٢١٤	تهنئة من القلب	٢٣٥-٢٣٧
لغة بلا أبجدية	٢١٥-٢١٩		